

ظاهرة تدجين الشعوب

بيان لأهم أسباب وعلاجات هذه الظاهرة في المجتمع العراقي
وفق مدرسة الثقلين ورؤى المرجع اليعقوبي (دام ظله) والشواهد التاريخية

بقلم
الشيخ فيصل التميمي

من إصدارات جامعة الصدر الدينية فرع كربلاء المقدسة

ظاهرة تدجين الشعوب (٢)

من عادة الناس للأصنام تعبدُها
من خسة الناس لا من رفعة الصنم

شيخ الخطباء
الشيخ محمد علي اليعقوبي
(رحمه الله تعالى)

ظاهرة تدجين الشعوب (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والحمد لله كما هو أهله، وأفضل الصلاة وأتم السلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يتكفل هذا الكتاب بدراسة ظاهرة اجتماعية خطيرة ألا وهي ظاهرة التدجين والخنوع والقبول بحالة الاستسلام للقوى الظالمية المستبدة، وخصوصاً في المجالين الديني والسياسي، كما يتعرض لأهم أسباب هذه الظاهرة ومناشئها الفكرية والاجتماعية والتربوية والسياسية والنفسية، سواء في أوساط المجتمع العراقي أو في غيره من المجتمعات الأخرى.

ويضم الكتاب بين طياته عرضاً لبعض الحلول والعلاجات التي من شأنها تخليص المجتمع من براثن هذه الظاهرة المرضية الفتاكة، مستنيراً بهدي المدرسة القرآنية والسنة الشريفة للنبي الأعظم وأهل بيته الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

كما استفدنا بشكل رئيسي في هذا الكتاب من فكر المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) حيث استشهدنا بالكثير من خطابه وكلماته المباركة، التي تناول فيها هذه الظاهرة من قريب أو من بعيد، للحيلولة دون إصابة المجتمعات بهذا الداء الاجتماعي

الوبيل، ومن دواعي اهتمامه (دام ظله) بعلاج هذه الظاهرة إنه دعا الكتّاب والمفكرين والباحثين للتأليف والكتابة بالتفصيل في هذه الظاهرة، وبيان أسبابها وعلاجها، في أكثر من مناسبة حيث قال (دام ظله): (إني أدعو العلماء والمفكرين والمثقفين والكتّاب إلى تفعيل الدراسات الاجتماعية والنظر فيها بعمق والاستفادة منها لترقى بمستوى أمتنا حتى تكون مستعدة لاحتضان دولة الإمام الموعود (عليه السلام) وقيادته المباركة التي تنطلق من هذه الأرض المعطاء، ويجب أن تكون هذه الدراسات صريحة وشفافة ومخلصة لنتمكن من التأسيس عليها وسنجد حينئذٍ أن كثيراً من المظاهر التي تعد إيجابية هي سلبية وبالعكس [وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ]).^١

وقد أقدمنا مع قلة الشأن وضعف الهمة على هذه الخطوة بما يوجد به قلمنا القاصر وفهمنا المحدود، في كتابة هذه الوريقات المتواضعة تلبية لنداء المرجعية الرشيدة الشاهدة، وهذا الدعوة من مرجعيتنا المباركة في الخروج من ذل التدجين والاذلال هي ليست دعوة للقتال أو التمرد ونشر الفوضى بل هي صرخة لتحريك الوعي وإحداث التغيير في الواقع الفاسد، ولأجل الخروج من هذه حالة المزرية التي أصابت الشعب، باستخدام الحكمة والتعقل وبالرجوع إلى العلماء المخلصين والحكماء الواعين من وجهاء المجتمع.

وسنحاول في هذه الدراسة أن نكون حياديين وموضوعيين وأن لا ننظر إلى الأمور بعين واحدة، لكي لا نظلم أحداً في تشخيصنا للأسباب أو تحديد النتائج التي أدت بالمجتمع العراقي للإصابة بهذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة، سألين الله تعالى

ظاهرة تدجين الشعوب (٧)

أن يوفق الجميع وأيانا لما فيه الخير والصلاح، ويغفر لنا الهفوات والزلات إنه هو الغفور الرحيم.

فيصل التميمي

كربلاء المقدسة

٢٥ ذ.ج ١٤٣٧

ظاهرة تدجين الشعوب (٨)

تعريف مصطلح التدجين

من الضروري بيان التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلح (التدجين) لكي يكون القارئ الكريم على بينة من المعنى المراد منه في هذا الكتاب. يُعرف مصطلح التدجين لغةً: بأنه (اسم) مصدر دَجَّنَ، وتَدَجَّنَ الحَيَوَانَاتِ، أي القيام بتلْيِينِ طَبَائِعِهَا وَتَطْوِيعِهَا وَإِخْضَاعِهَا، وَجَعَلَهَا أَلِيفَةً دَاجِنَةً وَخَاضِعَةً ومروضة.

أما المراد من مصطلح (التدجين) في هذا الكتاب: فهو مصطلح يشير إلى سياسة التخويف والاستضعاف التي تمارسها جهات معينة، سواء أكانت جهات حكومية سلطوي أو جهات دينية أو غير ذلك، ضد المجتمع ككل أو ضد فئة معينة منه لأجل تركيعه وإذلاله ونهب خيراتهِ، فتجعل المجتمع حينئذ طبع ومستسلم وغير معترض على الظلم الذي يقع عليه، وإن لم يرضَ به المجتمع في داخل، ويتم للحكومات الظالمة تحقيق هذه الأهداف الشيطانية من خلال وسائل عدة سنتعرض لها إن شاء الله تعالى، كما إنَّ (الفرق بين المستضعف والضعيف واضح وجلي، فالضعيف هو من كان معدوم القدرة والقوة، والمستضعف هو من أصابه الضعف بسبب ظلم وجور الآخرين، سواء كان الإستضعاف فكرياً أم ثقافياً أم كان أخلاقياً أو اقتصادياً أم سياسياً أم إجتماعياً، فالعبارة هنا جامعة شاملة تستوعب جميع أنواع الإستضعاف).

أنواع التدجين

توجد عدة أنواع من التدجين استعملت ضد المجتمع، وفي ميادين مختلفة، وقد ينبع التدجين والخوف من داخل النفس الإنسانية بسبب عوامل وظروف قاسية تجعل الإنسان عرضة لها، فضلاً عن الأسباب الخارجية التي تحيط بالإنسان وتؤثر على سلوكه وحياته بشكل عام، ونحن سنُبين هذه الأنواع كالاتي:

١. التدجين الديني: وهو التدجين الذي يمارسه علماء السوء باسم الدين، الذي تلعن به قساوسة القداسة المزيفة، فضحكوا وعلى مر العصور على ذقون الناس وراحوا يستعبدونهم ويجعلونهم مطية لشهواتهم وأنانياتهم ومصالحهم الشخصية، وقد يُعبّر عنهم أحياناً بـ(وعاظ السلاطين) أو (حاشية بلاط السلطة)، وهؤلاء يمثلون الظاهرة المنحرفة التي أطلق عليهم المفكر الاسلامي السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) في كتابه المجتمع الفرعوني بـ(الرهبانية الجادة) و(الرهبانية المزيفة) ولهؤلاء شواهد عديدة نذكر منهم على سبيل المثال علماء السوء في البلاد الإسلامية زمن الدولة الأموية والدولة العباسية ورجال الكنيسة أيام العصور المظلمة في أوروبا وصولاً إلى أروقة الحوزة الانتفاعية في الزمن الحاضر، ولهذه المؤسسة الدينية الفاسدة عدة نشاطات سيئة تجاه المجتمع سنتعرض لها بشكل مفصّل ومستقل في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، نظراً لشدة خطرها على الأمة، ولأنها تشكل السبب الرئيس والأول في تدجين الناس وعبوديتهم.

٢. التدجين السلطوي: وهو الذي يمارسه الحكّام تجاه شعوبهم بتطبيق الأنظمة الدكتاتورية التي تسلب الناس حريتهم وتقهر ارادتهم ضمن إطار الازلال

والاستضعاف وتركيع إرادة الشعوب، لأجل خدمة مصالح الحاكم وحاشيته وحزبه.

٣. التدجين الفكري: وهو من نتائج الفهم الخاطئ لبعض الأفكار والمعتقدات سواء أكانت دينية أو غير دينية كعدم وعي المفاهيم الإسلامية والنصوص الدينية الواردة في الكتاب العزيز أو على لسان المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) كالتي تدعو إلى ممارسة أسلوب التقية مع الظلمة وعدم إظهار المعتقد الحقيقي الذي يتبناه الفرد أمامهم للأمن من شرهم وبطشهم، أو الفهم الخاطئ لمفهوم الانتظار للإمام المهدي (عليه السلام) في زمن غيبته المباركة الذي ترجمه البعض بشكل سلبي ففهمه البعض على أن هذه النصوص تحث على الانكماش والعزلة عن الناس وتعطيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة للصبر والتسليم بما يفعله الظلمة انتظاراً للفرج الذي سيحققه الإمام المهدي (عليه السلام) عند خروجه. كما وينتج التدجين الفكري أيضاً من جهة أخرى بسبب مطالعة النصوص الدينية المكذوبة على المعصومين (عليهم السلام) كالأحاديث المنسوبة زوراً للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي تناقلتها كتب أبناء العامة، وهذه الروايات المكذوبة هي من صنيعه حكّام الجور الذين وضّفوا الأقلام المأجورة من علماء السوء لتسطير هذه المنظومة الفكرية الخاطئة، وترسيخها في عقول الناس، وهذا الأسلوب يطلق عليه أسلوب التجهيل، وبهذا يكون التجهيل مقدمة لتدجين الأمة ومن هنا نتعرف على أهمية العلم وضرورة تسليح أبناء الأمة بنور الوعي والمعرفة، فالأمة الجاهلة يعتاش على خيراتها وثرواتها الانتهازيون وأصحاب المطامع والنفوس الضالة، وهناك لوناً آخر من التدجين الفكري وهو التدجين الفكري على أساس مذهبي أو قومي أو عرقي فالأنظمة الغربية المعادية للإسلام وللعرب تريد أن تُصدر لنا منظومة فكرية خاطئة

(الأكراد والعرب)، (المسلمين وغيرهم)، (الدول المتقدمة والدول النامية) نحن العرب أغبياء وليس لنا حضارة ولن نقوم لنا قائمة، وأن الابداع وعالم الاختراعات هو بيد الغرب وعلمائهم وكل ما لدينا هو عيال عليهم.

٤. التدجين الأسري: ونقصد بها عوامل القسوة التربوية الخاطئة الذي يمارسها بعض أولياء الأمور تجاه أبنائهم، مما سبب في زرع حالة الخوف والروح الانهزامية في نفوسهم، وقتل روح الحماسة والشخصية الثورية الراضية للظلم والاستبداد.

٥. التدجين المدرسي: وينتج بسبب التعامل السيء الذي يمارسه بعض المعلمين مع تلاميذهم، فيسببون لهم عقد نفسية تدعوهم إلى الخجل من ممارسة النشاط الصفي أمام زملائهم، والخوف من مواجهة الجمهور أو من طرح الأسئلة أو الإشكالات العلمية على الاستاذ. ونحوها من مضاعفات سلبية، تؤدي بالنتيجة إلى قتل الابداع في نفوسهم.

٦. التدجين الأمني: وهو الذي ينتج بسبب ممارسة الأعمال الإجرامية في المجتمع من قبل العصابات الارهابية أو غيرها والتي تمارس أساليب العنف المختلفة، من تهجير واغتصاب وقتل فردي وجماعي وبصور بشعة ومروعة، مما يبث في نفوس الناس رعباً شديداً، يجعل بعضهم مشلولين عن المقاومة، ويدعوهم للهرب من هذا الواقع المخيف أو الرضا بحياة الذل والاستسلام والخنوع.

٧. التدجين النفسي: ويتضمن الملف النفسي عدة أمراض متنوعة في هذا المجال، تدعو الإنسان إلى عدم امتلاك مقومات الشخصية الإنسانية السليمة وفق المعايير الطبيعية، فضلاً عن فقدانه لسمات الشخصية المتميزة والقوية، كعدم التحلي بروح الشجاعة والإقدام على مواجهة المخاطر واقتحام الأهوال

والصعوبات وكممرض الرهاب الاجتماعي وأمراض الفوبيا وعقد الحقدرة وفقدان الثقة بالنفس وغيرها من الأمراض والعقد النفسية.

٨. التدجين الاقتصادي: وهو الذي تمارسه الدول الكبرى في العالم لأجل الهيمنة على الدول الضعيفة الأخرى من خلال عدة أساليب منها الجانب الاقتصادي لتجعلها دولاً مستوردة ومحتاجة لها على الدوام، بل وتعرقل عجلة الزراعة والصناعة والتجارة فيها، حتى تبقى هذه الدول النامية. كما يسمونها هم - بقرة حلوب تدر عليهم بالأرباح والمكاسب المالية، وهذا ما يجعلها بالتالي تحت هيمنة الضغط الاقتصادي بل والسياسي لتلك الدول المستكبرة فد(نحن الشعوب العربية شعوب استهلاكية وليس لنا أية مصادر أو نتاجات إبداع لكي نصدرها للعالم، سوى الخيرات التي تنتجها بركات الأرض والذي يقع على رأسها البترول).

٩. التدجين السياسي: والذي يُعرف اليوم بثقافة الانبطاح؛ وهي ثقافة تقوم على أساس من الخوف أو المجاملة أو المحابة والطمع والمحسوبيات لأجل الحصول على مكاسب سياسية أو شخصية، ويجمع هذه الثقافة المدجّنة للفكر والقيم الإنسانية مصطلح واحد بحسب المعيار الإسلامي هو مصطلح النفاق (من المؤسف ضعف كثير من المتصدين لقيادة الحركة الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية وهزيمتهم داخل نفوسهم إما مجاملة للغرب وكسب ودهم أو لتيسير وصولهم إلى السلطة وعملاً بالبراغماتية التي تتطلبها السياسة من وجهة نظرهم).^٢

١٠. التدجين الإعلامي: حيث يُعد التلفاز وشبكات الأنترنت وما تحوي من قنوات للتواصل الإجتماعي، بالإضافة إلى الصحف والمجلات والسينما والمسرح وسائر

وسائل الدعاية والإعلان، من أخطر الأدوات لتلويث أفكار الناس وصياغة عقولهم وفق الرؤية التي تريدها القوى الظالمة في العالم، وللمزيد من المعلومات في هذا المجال يُنظر كتاب (الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والإسلامي، للدكتور محمد منير سعد الدين).

١١. التدجين العشائري: ونقصد به بعض النظم العشائرية الظالمة والقاسية التي تحكم الأفراد ضمن نطاق العشيرة من أعراف وتقاليد وعادات الاجتماعية، التي يخاف الفرد من الخروج عنها خشية الفضيحة أو خشية مصادرة السمعة الطيبة، على الرغم من خطائها ومخالفتها للعقل والدين في بعض الأحيان، فيسعى الفرد لمجاملتها ولو على حساب راحته، والمرأة لها النصيب الأوفر في هذا المجال من المتاعب والصعوبات، قال سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله): (من الآلهة الأخرى الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي يضعها الناس ثم يعطونها قداسة وأهمية بحيث لا يستطيع الفرد الخروج عنها خشية العار والفضيحة والضغط الاجتماعي ونحوها).^٣

١٢. التدجين الشيطاني: إن الشيطان يريد أن يستعبد الإنسان بكل ما أوتي من قوة وهو لا يرضى منه الغواية والمعصية بالقليل من طاعته والسير خلف خطاه، بل دائماً يطمع بالكثير من معصية الله تعالى ومخالفة أوامره، فإبليس كان يطمع بإغواء الأولياء فكيف بحال من هو دونهم، لذا فالشيطان يجند أوليائه وأتباعه لكي يجعل بني آدم في عداد أتباعه خاضعين وطائعين، وضمن حواضر داجنة تخضع لأوامره بتأثير الشهوات والأهواء والميول الدنيوية، وله في هذا الباب أساليب وطرق عدة، تعرض القرآن الكريم لذكرها، قال تعالى:

أ- (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).^٤
 ب- قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ ذُرِّيَّتَهُ
 إِلَّا قَلِيلًا).^٥

ت- (الْمَ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ
 اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).^٦

ث- (قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَاتِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ).^٧

ج- (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ
 طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا
 وَاسْتَفْزَزَ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكِهِمْ
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا).^٨

ووفقاً لما مرّ من بيان لأنواع التدجين الذي يتعرض له البعض في ميادين الحياة
 المختلفة، فإن القاسم المشترك لهذه الأنواع المختلفة هو الاتصاف بالتكبر والتجبر
 وروح التعالي على الآخرين، بسبب ما يراه الإنسان من الغنى عنهم، ويذكر المرجع
 اليعقوبي (دام ظلّه) تطبيقات ملازمة الغنى والاستغناء مع ظاهرة التعالي والتكبر

٤ - آل عمران/ ١٧٥.

٥ - الاسراء/ ٦٢.

٦ - يس/ ٦١.

٧ - الاعراف/ ١٧.

٨ - الإسراء/ ٦٢.

على الآخرين، انطلاقاً من قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ} حيث يقول: (إنّ هذه المتلازمة المنافية لمنطق العقل تتجلى في حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً، ولنبدأ من داخل الأسرة حيث يغتمر الرجل بسلطته وقيمومته فيطغى ويظلم أهل بيته وكم رأينا من رجال لما صار بأيديهم مال أهملوا أهلهم وتوجهوا إلّ اللهو والمتعة أو الوقوع في أسر الشهوات الجنسية أو عدم مراعاة مشاعر زوجته ونحو ذلك فيخرب بيته بيده. والمرأة تعتدّ بنفسها لجمالها أو لأنها من الأسرة الفلانية أو لأن لها مرتباً شهرياً جيداً أو لشهادتها الراقية ونحو ذلك فتشعر بالاستغناء عن الرجل وتطغى وتتمرد وتتعالى وتقصّر في واجباتها فتهدم أو اصر العلاقة الزوجية. ومن الأمثلة على ذلك طغيان بعض حملة العلم واستعلاؤهم وترفعهم عن الآخرين ورفضهم النصيح والتذكير واستهزاؤهم بمن يقوم بذلك، وفرض وضع خاص للتعامل معهم كعدم الرضا الا بتقبيل اليد وإظهار التبجيل والتعظيم لهم ونحو ذلك. أما طغيان الزعامات ومن بيدهم شيء من السلطة فقد ملأ التاريخ بمصائبه وكوارثه، وكذا الزعامات الاجتماعية كبعض رؤساء العشائر والمتنفذين وأمثالهم).^{١٠}

بنو اسرائيل والاستضعاف الفرعوني

(رؤية قرآنية)

تعاقبت الأنظمة الفرعونية بتسلطها على رقاب بني إسرائيل مدة زمنية طويلة ذاقوا فيها أقسى أنواع الذل والهوان ومختلف ألوان الاستضعاف والظلم، وقد تطرق القرآن الكريم لذلك في عدة آيات شريفة، منها قوله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)^{١١}، (وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَمْ عَظِيمٌ)^{١٢}، (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ).^{١٣}

وبعد هذه الحقبة من البلاء والتمحيص أراد الله تعالى أن ينجمهم من هذا الاستعباد والتدجين الفرعوني فأرسل أنبيائه الكرام وفي طليعتهم نبيه الكليم موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) لكي ينقذهم من الجهالة وحيرة الظلاله، ويحررهم من هذا الظلم المطبق ببرائته على أنفاسهم، وبالفعل فقد تم ذلك، حيث أهلك الله تعالى على يد نبيه الكليم موسى (عليه السلام) طاغية عصره (فرعون) الذي أهلك الحرث والنسل فأغرقه الله تعالى في البحر هو وجنوده ومراكبه، قال تعالى: (فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ).^{١٤}

لكن المشكلة لم تكمن في شخص الحاكم الظالم فحسب، بل في المجتمع المحكوم أيضاً، فبعدها تعايش المجتمع الإسرائيلي ولعدة أجيال متعاقبة حالات

١١ - القصص / ٤.

١٢ - البقرة / ٤٩.

١٣ - الشعراء / ٢٢.

١٤ - القصص / ٤٠.

الذل والتدجين والاستعباد الفرعوني أَلِف هذه الحالة وترسخت في نفسه، وانطبعت معالم الاستسلام للظلم في محيى هذا المجتمع بشكل كبير وأصبحوا أسارى العبودية والانقياد السليبي، فأصبح من الصعب اقتلاع جذور هذه الأمراض الإجتماعية والنفسية، وتطهيره منها بسهولة، إلا بعد مرور مدة من الزمن وانقراض هذا الجيل المصاب بهذه الأدواء الوبيلة، فد الأمة التي تتحرر بعد عصر من الذل والاستضعاف والاستعباد، لا تستطيع أن تتخلى تماماً عن حالتها النفسية والثقافية الموروثة عن عصر الطاغوت، ولا بدّ من فترة برزخية تمر بها كي تكون قادرة على إقامة حكم الله في الأرض، وفق معايير إلهية بعيدة عن مؤثرات عصر الطاغوت، وسواء امتدت هذه الفترة البرزخية أربعين عاماً كما حدث لبني إسرائيل، أو أقل أو أكثر، فهي فترة عقاب إلهي هدفها التزكية والإصلاح والبناء لأنّ مجازاة الله ليست لها جنبه انتقامية، ولا بدّ أن يبقى بنو اسرائيل فترة أربعين عاماً من (التيه) في الصحراء ليتربّى جيل جديد حامل لصفات توحيدية ثورية، ومؤهل لإقامة الحكم الإلهي في الأرض المقدسة).^{١٥} (إن أسوأ ما ينتجه حكم الطواغيت والمتجبرين هو تحطيم الإنسان وسحق كرامته وتدمير القيم الصالحة في المجتمع، فالتغيير في السلطة لا بد أن تستهدف إعادة كرامة الإنسان وبناء المجتمع الصالح والحكم العادل، ليشعر الناس بالتغيير فعلاً، وأن الظلم قد زال وحلّ العدل محلّه، أما مجرد تغيير الظالم والأتیان بأخر فلا قيمة له).^{١٦} لذا فإنّ الأنبياء والعلماء يسعون دائماً إلى تغيير الظلم إلى العدل والإنصاف والمساواة وحرية وكرامة الإنسان، لا تغيير الظلم فحسب.^{١٧}

١٥ - تفسير الأمثل، ج ١، ص ٢٣٢.

١٦ - خطاب المرحلة بعنوان: (ليكن هدفكم بناء الانسان الصالح والدولة الكريمة).

١٧ - يُنظر خطابات المرحلة، ج ٥، خطاب بعنوان: (حوارات سياسية في الذكرى الخامسة لسقوط صدام المقبور).

ومن ارهاصات هذه الأمراض التي تتولد من اضطهاد المتسلطين هو الخوف من بطش الظلمة والاتصاف بالروح الانهزامية والاتكالية والميل إلى عبادة الآلهة المصطنعة والذوات المتجبرة وغيرها من المضاعفات السيئة، وسنعطي بعض الشواهد القرآنية التي تكشف حقيقة إصابة بني إسرائيل بهذه الأمراض الاجتماعية والنفسية، وهي:

أولاً/ الرغبة في عبادة الآلهة المصطنعة:

بعدما هلك فرعون وخرج بنو إسرائيل من البحر، رأوا مجموعة من الناس يسجدون لأصنام لهم، فطلبوا من النبي موسى (عليه السلام) أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه، كحال هؤلاء القوم، قال تعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)^{١٨}، فلاحظ سخافة هذا الطلب، وهم للتورأوا الآيات الكبرى بنجاتهم وانفلاق البحر كالطود العظيم، وإغراق من يدعي أنه الرب الأعلى، لكنهم لم يعيروا لكل ذلك أي اهتمام ولم يؤثر في نفوسهم، بل تجاوزوا على الساحة الإلهية وصادروا اتعاب نبيهم الكليم (عليه السلام) بتفوههم بهذه الترهات الفارغة ولما تجف أقدامهم من ماء البحر بعد، وهذا الطلب الأحمق منهم يرجع في حدود ما نفهم. إلى ثلاثة أسباب رئيسة، وهي:

السبب الأول: قلة الإيمان بالله الواحد الذي وضعف معتقدتهم بالغيب

والاذعان لربوبية الله تعالى،

السبب الثاني: نزعة التدجين والاذلال وحب العبودية التي تجذرت في نفوسهم

جراء طول المدة التي عايشوا فيها الانظمة الفرعونية المستبدة، فأرادوا إلهاً محسوساً ومادياً يسجدون له ويبدون له الخضوع والذل.

السبب الثالث: الجهل، وهذا هو السبب الذي ذكره النبي موسى (عليه السلام) رداً على طلبهم، عندما أرادوا إلهاً مصطنعاً (قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ).^{١٩} ولعل هذا السبب يرجع أيضاً للخلفية الثقافية والفكرية التي ورثها بنو إسرائيل من مخلفات سياسة التجهيل الفرعوني، وهذه الأسباب مجتمعة شكلت عائقاً كبيراً أمام الإصلاحات التي بادر إليها النبي موسى (عليه السلام) في المجتمع الإسرائيلي واتعباه أيما تعب، وتوجد شواهد قرآنية عديدة تبين ذلك.

ثانياً/ عبادة العجل واتباع القيادة المزيفة:

والمشهد القرآني الثاني الذي نستعرضه في هذا الباب هو عبادة بني إسرائيل للعجل واتباع القيادة المفسدة وهو (السامري) واستضعاف القيادة النابتة المصلحة وهو (النبي هارون (عليه السلام))، قال تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)^{٢٠} وخلاصة القصة (إن موسى (عليه السلام) بعد نجاته بني إسرائيل من قبضة الفراعنة أمر بالذهاب إلى جبل الطور مدة ثلاثين ليلة لتسلم ألواح التوراة، ثم مُدَّت هذه الليالي إلى أربعين ليلة من أجل اختبار قومه. واستغل السامريّ الدّجال هذه الفرصة، فجمع ما كان لدى بني إسرائيل من ذهب الفراعنة ومجوهراتهم، وصنع منها عجلاً له صوت خاص، ودعا بني إسرائيل لعبادته. فأتبعه أكثر بني إسرائيل، وبقي هارون (عليه السلام) أخو موسى (عليه السلام) وخليفته مع أقلية من القوم على دين التوحيد، وحاول هؤلاء الموحدون الوقوف بوجه هذا الإنحراف فلم يفلحوا، وأوشك المنحرفون أن يقضوا على حياة هارون (عليه السلام) أيضاً).^{٢١} وفي هذا المشهد المؤلم عدة عظات وعبر نقف عندها، تؤكد في مجملها

١٩ - الأعراف/ ١٣٨.

٢٠ - البقرة/ ٩٢.

٢١ - تفسير الأمل، ج ١، ص ٢٢٦.

النظرة التحليلية التي تطرقها لها أنفاً حول تركيبة العقلية الفكرية والبنى الاجتماعية والتربوية لبني إسرائيل، منها؛ إن بني إسرائيل الذين كانوا فيما سبق مُستضعفين، أصبحوا بعد استنشاق نسيم الحرية وهلاك الظلمة يكفرون بعقيدة التوحيد ويستضعفون القيادة النائية الصالحة (هارون) ويركعون للآلهة المزيفة (العجل الذهبي) وينخدعوا بالقيادات الكاذبة (السامري)، وهذه الجرائم منشؤها وأسبابها هو ما ذكرناه أنفاً بالإضافة إلى أسباب أخرى:

- انعدام الإيمان بالله سبحانه، قال تعالى: (وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).^{٢٢}
- الجهل، قال تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)^{٢٣}. لذا انطلت عليهم حيل السامري وانخدعوا بالقداسة المزيفة له ولإلهه المزعوم.
- التأثر بالتدجين الفرعوني الذي عبّد بني إسرائيل، قال تعالى: (وَتَلَكَّ نِعْمَةً تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ)^{٢٤}
- عدم الثقة بالقيادة النائية الصالحة.
- حُب الدنيا والميل إلى بريقتها الأخاذ، والتعلق بالماديات، لذا فضّلوا السجود للذهب الذي صاغوه بأيديهم عاجلاً بدلاً من السجود لله الواحد المتعال، الذي أراهم آياته الواضحة والباهرة على يد نبيه المخلص موسى (عليه السلام).

٢٢ - البقرة/٩٣.

٢٣ - الأعراف/١٣٨.

٢٤ - الشعراء / ٢٢.

ثالثاً/ الامتناع من دخول الأرض المقدسة والخوف من الظلمة:

على الرغم من مرور عدة أعوام على مجيء المخلص الإلهي وهو النبي موسى (عليه السلام) وهلاك الطاغية فرعون وزمرته الظالمة، بقيت آثار التدجين الفرعوني مستمكنة من قلوب مجتمع بني إسرائيل ومتجذرة في نفوسهم، وقد ظهر ذلك جلياً بتمنعهم من دخول الأرض المقدسة (فلسطين) التي أمرهم الله تعالى بالذهاب إليها، خوفاً من القوم الجبارين الساكنين فيها وهم العمالقة، قال تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) ^{٢٥} لكن هؤلاء عصوا هذا الأمر، وأصروا على عدم الذهاب مادام فيها قوم جبارين (العمالقة)، (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) ^{٢٦} ، وأكثر من ذلك تركوا أمر مواجهة هؤلاء الظالمين لموسى (عليه السلام) وحده قائلين له: (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) تألم موسى لهذا الموقف ودعا ربه (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) فكتب الله تعالى عليهم التيه أربعين عاماً في صحراء سيناء، ^{٢٧} عقوبة لهم وبعد مرور هذه المدة التي انقضى فيها هذا الجيل الذي لا يستحق دخول هذه الأرض المقدسة، جاء أحفادهم الذين أهلوا لدخولها، فدخلوا الأرض المقدسة.

وهذا التيه في الصحراء (تية مكاني) كان نتيجة طبيعية لتيه سبقه وانتجه، وهو التيه والانحراف عن طاعة القيادة الحقة، قال المرجع اليعقوبي مبيناً سبباً من أسباب تيه الأمة: (قد يشتبه على الأمة أمرها وتختلط عليها الأوراق فتضع

٢٥ - المائدة / ٢١

٢٦ - المائدة / ٢٢.

٢٧ - ينظر تفسير الأمل، ج ١، ص ٢٣١،

التصرف في مورده غير المناسب وهذا ما يحصل باستمرار عندما تبتعد الأمة عن قيادتها الحقيقية فتتيه في أودية الفتن).

رابعاً/ استضعاف القيادة النائية المتمثلة بالنبي هارون (عليه السلام):

إن المجتمع الذي تربي ولسنوات عديدة تحت مطرقة النظام الديكتاتوري الفرعوني المملوء بأساليب الاستعباد والتدجين والابتزاز والاذلال وامتصاص خيرات الآخرين ونهب ثرواتهم، ولا يعرف للقيمة الانسانية أي معنى، بل يدعي فيه الحاكم أنه الرب الأعلى للكون ويلهث وراء مصالحه الشخصية، فمن الطبيعي أن يكتسب هذا الشعب المستضعف بعض هذه المميزات والخصائص السيئة بشكل مباشر أو غير مباشر، ويتأثر بهذه الخصال، فالناس على دين ملوكهم كما يقولون، فكما إن المجتمع يكون مستضعفاً من قبل القوي الظالم فهو من جهة أخرى وتطبيقاً لهذه التربية الفاسدة يستضعف بعضهم بعضاً.

وظاهرة الاستضعاف التي ورثها المجتمع الإسرائيلي من الانظمة الفرعونية الظالمة تعامل بها مع قادته المصلحين، حيث نقل لنا القرآن الكريم مجريات الاحداث التاريخية التي حصلت للنبي هارون (عليه السلام) والتي ذكرناها قبل قليل، وهي عندما غاب عنهم النبي موسى (عليه السلام) أربعين يوماً بسبب ذهابه إلى ميقات ربه، عمّد السامري خلالها إلى إضلال بني إسرائيل، وهذه الواقعة التاريخية تشابه وتحاكي حادثتين وقعتا في الأمة الإسلامية:

الواقعة الأولى/ بعد رحيل النبي القائد (صلى الله عليه وآله) حيث عمّد أقطاب السقيفة الى مؤامرة الانقلاب على البيت النبوي الطاهر واعتدوا على حرمة وغصبوا حق الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخلافة وكادوا أن يقتلوه، وانتكحوا حرمة بيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهذه الحادثة

تكشف انعكاسات النفسية التربوية والاجتماعية لبعض من دخل الإسلام ظاهراً، فالقوم كانوا في عهد الجاهلية مُستضعفين كما بينت ذلك السيدة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها المباركة حيث بينت حالهم في حقبة ما قبل الإسلام، قائلة: (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ مُدْقَةَ الشَّارِبِ وَهُزَّةَ الطَّامِعِ وَقُبْسَةَ الْعَجْلَانِ وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ وَتَقْتَاتُونَ الْقَدَّ أَذْلَّةَ خَاسِئِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ بَعْدَ اللَّيَالِيِ وَاللَّيَالِيِ) ^{٢٨} وبعد مجيء الإسلام على يدي النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) أصبحوا ملوك الحجاز وانعطفت عليهم الدنيا بعد شماسها لكنهم ما إن رحل عنهم النبي القائد (صلى الله عليه وآله) حتى مارسوا أسلوب الاستضعاف الذي اكتسبوه أيام الجاهلية مع أهل بيته وشيعتهم طلباً للرئاسة والحكم واستجابة لعبودية الذات والنفس الأمارة بالسوء.

وهذا المشهد المؤلم يترجمه الحديث النبوي الشريف الوارد في حق الامام علي (عليه السلام): (أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ^{٢٩} وفيما نفهمه من هذا الحديث، إن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) شبهه الامام علي (عليه السلام) بالنبي هارون (عليه السلام) لعدة جهات منها: من جهة المنزلة الرفيعة ومن جهة الشراكة في مهام الرسالة الإلهية ومن جهة الوصاية والخلافة من بعده ومن جهة إن ما جرى على النبي هارون (عليه السلام) سيجري على أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد رحيله (صلى الله عليه وآله) ولذا قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما اخرج القوم من بيته مقيداً وهو

٢٨ - الزهراء فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) تأليف عبد الزهراء عثمان محمد. ص

ينظر إلى قبر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) شاكياً حاله له: (ابن أمّ إنَّ القَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي).^{٣٠}

وجاء في الخبر المنقول عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الرواية الآتية التي تؤكد أيضاً مشابهاة أفعال حزب السقيفة للضالين من بني اسرائيل، حيث قال (عليه السلام): كنت أمشي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة؟ قال (صلى الله عليه وآله): ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها، ثم أتينا على حديقة اخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة؟ قال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها، حتى أتينا على سبع حدائق أقول يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أحسنها؟ ويقول: لك في الجنة أحسن منها. فلما خلاله الطريق اعتنقني ثم أجهش باكياً، وقال: بأبي الوحيد الشهيد، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال ضغين في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي أحقاد بدر وترات أحد، قلت: في سلامة من ديني؟ قال في سلامة من دينك، فأبشريا على فان حياتك وموتك معي، وأنت أخي وأنت ووصي وأنت صفي ووزير ووارثي والمؤدي عني وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي عني، وأنت تبرئ ذمتي وتؤدي أمانتي، وتقاتل على سنتي الناكثين من امتي والقاسطين والمارقين، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فاصبر لظلم قريش إياك، وتظاهرهم عليك، فانك بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه، وهم بمنزلة العجل ومن تبعه، وإن موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلوا فوجد أعوانا أن يجاهدهم بهم، وإن لم يجد أعوانا أن يكف يده ويحقن دمه، ولا يفرق بينهم. يا على ما بعث الله رسولا إلا وأسلم معه قومه طوعا وقوم آخرون كرها فسلط الله الذين أسلموا كرها على الذين أسلموا

طوعاً، فقتلوهم، ليكون أعظم لأجورهم، يا على إنه ما اختلفت أمة بعد نبيا إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقة والاختلاف على هذه الامة، وساق الخبر إلى قوله وصبرا على بلائه وتسليما ورضا بقضائه) ^{٣١}.

الواقعة الثانية/ ما جرى للقيادة الدينية الصالحة زمن الطاغية صدام وما بعد سقوطه حيث عمدت بعض الجهات الدينية والسياسية والتي كانت مستضعفة أبان النظام الديكتاتوري البعثي إلى استضعاف المرجعية الناطقة التي تمثلت بالسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وبالخلف من بعده وهو المرجع اليعقوبي (دام ظله) الذي تكالب على تسقيطه وتحجيم دوره والقضاء على مشروعه الرسالي عدة جهات، حتى ممن ادعى الانتساب إلى خط أستاذه الصدر الشهيد (قدس سره)، فضلاً عما سواهم من الجهات الأخرى لأنهم حسب فهمهم يرون فيه منافساً لسلطانهم ورقماً صعباً يزاحمهم على منصب المرجعية والقيادة الدينية في الساحة العراقية والإقليمية.

وبنظرة واحدة واعية نجمع فيما كلا الحادثتين نفهم إن الأحداث التاريخية الجارية في الأمة بل سائر الأمم ماهي إلا سُنن جارية تتكرر عبر الأجيال، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة). ^{٣٢} وهذا ما أشار إليه المرجع اليعقوبي (دام ظله) في حديثه عن حادثة السقيفة باعتبارها ظاهرة وحالة تتكرر على مر الأعوام وليست حادثة تاريخية استثنائية (إن السقيفة مفتوحة كحالة وان انتهت كحدث أي إن النفوس الحاملة بالسلطة والجاه والاستئثار والرئاسة على العباد موجودة في كل زمان ومستعدة لأنها ترتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه الأولون ولا تصغي إلى وصية

٣١ - بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٥٤.٥٥.

٣٢ - بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٣٥.

القائد الحق فتترتب على مثل هذا التصرف نفس النتائج السيئة التي ترتبت على حادث السقيفة والتي اشرت إلى جملة منها في محاضرة (ماذا خسرت الامة حينما ولت أمرها من لا يستحق) والكلام عبارة عن إلفات نظر لحالة عامة تعيشها الامة كلما ابتعدت عن المنهج الالهي).^{٣٣}

ونذكر فيما يأتي بعض المقتطفات من خطاب المرجع اليعقوبي الموسوم بـ(قابلية الشعوب على الاستعباد) الذي حلل فيه ظاهرة تدجين الشعوب وفق رؤية قرآنية دقيقة سلط فيها الضوء على مسيرة الظلم الفرعوني وكيفية استعباده لبني إسرائيل، إنطلاقاً من الآية الشريفة: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) حيث قال (دام ظله): (إن فرعون استخف بعقول قومه ووجدهم سلسي القيادة طائشين نزقين لا حكمة لهم ولا رشد ولا وعي ولا بصيرة ينعمون مع كل ناعق فمضى في مشروعه الاستكباري والاستعلائي واستعباد الناس وتسييرهم وفق هواه، وهم صدقوا ظنه فهم حين أطاعوه ورضوا بحالة العبودية ... وتعلل الآية الكريمة: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) هذه الحالة عند قوم فرعون بأنهم كانوا فاسقين خارجين عن حدود العقل والفطرة ومجردين من الخصائص الإنسانية الكريمة، ورضوا لأنفسهم حياة الذل والهوان والعبودية.. وهذا يعني إنهم لو لم يكونوا فاسقين خارجين عن صراط الحق طائعين لأهوائهم لما استطاع فرعون ان يستعبدهم ويستخف بهم... والتأمل في سلوك فرعون مع شعبه الذي حكته الآيات الشريفة السابقة يشير الى الأساليب التي يتبعها الطواغيت والمستكبرون لتدجين الشعوب واستخفافها وهي لا تختلف عن أساليب اليوم إلا من حيث الشكل والأدوات التي تتغير تبعاً للزمان وإلا فالحقيقة واحدة، قال تعالى: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي

أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ
أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَاتِرِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ)) والأساليب هي:

١- سلب حالة الوعي والادراك والفتنة التي عبّر عنها القرآن الكريم بـ(البصيرة)
وتكريس حالة الجهل والتخلف والانقطاع عن أسباب المعرفة الحقيقية
والاهتمام بالقشور وقلب موازين التقييم من معنوية حقيقية جوهرية الى
مادية سطحية زائفة وهكذا ضمن عملية غسل دماغ تسلب عقولهم ووعيهم
ويتحولون الى قطع منفذ للأوامر، ولذا قال لهم (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) فدعاهم الى
النظر الحسي ولم يدعوهم الى التأمل والتدبر والتفكير لئلا تظهر الحقائق
ويُفترض المخادع، والأمور التي دعاهم فرعون الى إبصارها قريبة محسوسة أما
موسى (عليه السلام) فيدعوهم الى الايمان بأمر غيبية بعيدة عن إدراك الناس
الغافلين، وتحاط عملية غسل الدماغ احياناً بالقدسية والخطوط الحمراء
التي لا تقبل النقاش، وهنا يكون دور لعلماء الدين المحبين للدنيا والواجهات
المؤثرة في المجتمع (السحرة ومعبرو الاحلام في قوم فرعون) لإضفاء هذه
القدسية وشرعنة ما يفعله الطغاة وإدامة سلطتهم وهيمنتهم وإحكام الطوق
على الشعوب المستعبدة باسم الدين وشعائره، لكن أي دين؟ لقد وصفهم أمير
المؤمنين (عليه السلام) بأنهم (لبسوا الإسلام لبس الفرو مقلوباً)^(٣٤) وهذا ما يدفع
الزعامات الحريصة على مواقعها الى استخدام كل أساليب البطش والقسوة
المادية والمعنوية بحق المصلحين الواعين الذين ينهضون لإيقاظ الأمة وتبصيرتها

وترشيد سلوكها، وتحريها من الاغلال والاصار التي تُحجّر على عقولهم وتلوث باطنهم وفطرتهم^(٣٥).

٢- استحقرار الآخر (فرداً او شعباً) والاستهزاء به لسحق شخصيته وإظهار عجزه وضعفه ليقتنع بأنه مخلوق ليكون تابعاً لغيره فموسى (عليه السلام) عند فرعون (مبهين) لأنه من بني إسرائيل المستضعفين المواطنين من الدرجة الثانية الذين لا يحق لهم العمل إلا في المجالات المتدنية كرعي الأغنام وخدمة الأغنياء والمترفين، وكان المظهر الخارجي لموسى (ﷺ) متواضعاً قال أمير المؤمنين في وصفه (وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَا أَلْقِيَا عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ).

٣- ووصفه فرعون ثانية بأنه (ولا يكاد يبين) مستغلاً ما كان معروفاً عن موسى (عليه السلام) قبل خروجه من مصر بأنه كانت له عقدة في لسانه فلا يكاد يبين ما يريد قوله بوضوح فخدعهم بهذه الحالة التي كانت قبل بعثه بالنبوة. فلما بعثه الله تعالى بها شكى حاجته (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ)، (وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً) ودعا ربه بإطلاق لسانه (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي) وقد استجاب الله تعالى دعاءه وأطلق لسانه (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى).

٣٥- راجع خطاب المرحلة ج ٩ ص ٢٠٢ تحت عنوان: (ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم).

٤- إقناعهم بحاجتهم لهؤلاء المستكبرين وانهم لا يستطيعون الحياة بدونهم وخلق حالة رعب وقلق وخوف (فوبيا) من البديل (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) كان نهر النيل والانهار والجداول المتفرعة عنه التي روي إنها وصلت الى ٣٦٠ فرعاً مصدر حياة المصريين ورخائهم وازدهارهم وفخرهم وعزتهم، فصّور لهم ان هذه الشبكة الإروائية تجري بأمره ووفق تدييره وهي تحت سلطته وقدرته، وموسى (عليه السلام) لا يملك شيئاً من هذا والذهاب معه يحرمكم من هذه العزة والرخاء.

٥- خلق حالة الانهيار به لدى الطرف الآخر وجعله باهتاً امام هذه الجبروت والعظمة التي هي زائفة في الحقيقة فتأخذ بألباب الناس ومجامع قلوبهم وعقولهم ويكون غاية هم الناس أن ينالوا شيئاً من فتات دنياهم (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي)، (فَلَوْلَا أَلْقَيْ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) وحالة الانهيار تولد تبعية وانقياد لما أنهر به: ولا يفكر المنبهرون حينئذٍ في الخروج عن طاعتهم فضلاً عن التفكير في إزالتهم وإقامة النظام البديل، فالمستكبرون يوهمون الناس بأن من يتطلع الى القيادة والأمرة لابد ان يكون كالفراعنة متزيناً بالذهب والفضة ويملك الثروة طائلة، وهذا غاية الاستخفاف بالناس أن يجعل دليل صدق النبوة والسفارة الإلهية وتبليغ رسالة الله تعالى حيازته للثروة والذهب والاعراض عن الآيات والبيانات التي جاءهم بها وهو نفس إشكال قريش في الآية (٣١) من سورة الزخرف (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ).

وكان سرد هذه الحكاية عن آل فرعون هو موعظة وتحذير لقريش من سلوك هذا المنهج الضال، ولا شك ان عملية الإصلاح في المجتمع المترف اقتصادياً والمستقر يكون أصعب ويواجه عقبات جمّة ورفضاً من عامة الناس فضلاً عن المتسلطين،

وكرّر فرعون الأشكال الذي أثارته الأمم المكذّبة على انبيائها بأن الله تعالى لو شاء أن يبعث رسولاً لجعله ملكاً ولو اختاره انساناً فلا بد أن تأتي معه الملائكة (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا) ولم يغب عن فرعون إثارة النعرات والعصبيات الجاهلية بقوله (يا قوم) وهم الاقباط المتسيّدون قوم فرعون لعزل موسى ومن معه من بني اسرائيل، وهنا يأتي قوله تعالى: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ) وفيه إشارة إلى أن فرعون كان يعرف انه مخادع وأن أدلته لا قيمة لها لكنه استخف بعقول قومه واستصغر شأنهم واستعمل وسائل الخداع والمكر مع الاغراء والترهيب فوجدهم طائعين ومسلمين له.^{٣٦}

المجتمع الفرعوني وأقسامه

وفق نظرة المفكر الاسلامي الشهيد الصدر الأول (قدس سره)

ولكي تكتمل للقاءي الكريم ملامح صورة المجتمع الظالم والمستعبد نذكر فيما يأتي طوائف هذا المجتمع الممزق وفق نظرة المفكر الاسلامي الشهيد الصدر الأول (قدس سره) الذي اتخذ من المجتمع الفرعوني نموذجاً لهذه الظاهرة البائسة، حيث جاء فيها، إن الفرعونية على مر التاريخ التي تبني العلاقات بين الانسان وأخيه الانسان على أساس الظلم والاستغلال، ومن هنا تهدر ما في الانسان من قدرة على الإبداع والنمو الطبيعي على سلامة علاقات الانسان مع الطبيعة و عملية التجزئة الفرعونية للمجتمع تفرز عدة أقسام:

الجماعة الأولى: ظالمون مستضعفون، في نفس الوقت الظالمون الثانويون أو بحسب تعبير أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أعوان الظلمة . فهؤلاء يشكلون حماية للفرعون والفرعونية وسنداً في المجتمع لبقاء الفرعونية واستمرار وجود إظهارها.

الجماعة الثانية: ظالمون يشكلون حاشية ومتملقون، أولئك الذين لا يمارسون ظلماً بأيديهم بالفعل ولكنهم دائماً وابدأ على مستوى نزوات فرعون . يسبقونه بالقول من اجل ان يصمموا مسلكه ومسيرته

الجماعة الثالثة: وهم الذين عبر عنهم الامام علي (عليه السلام) ب(همج رعاع) جماعة هم مجرد آلات مستسلمة للظلم، ولا تدرك ان في المجتمع ظلماً ، هذه الفئة طبعا تفقد كل قدرة على الإبداع البشري في مجال التعامل مع الطبيعة

الجماعة الرابعة: وهم أولئك الذين يستنكرون الظلم في انفسهم أولئك الظلم في انفسهم أولئك الذين لم يفقدوا لهم امام فرعون والفرعونية فهم يستنكرون الظلم لكنهم يهادنونه ويسكتون عنه فيعيشون حالة توتر وقلق في انفسهم وهذه الحالة ابعدها ما تكون عن حالة تسمح للإنسان بالإبداع والتجديد والنمو على ساحة علاقات الانسان مع الطبيعة وهؤلاء يسميهم القران ظالمي انفسهم.

الجماعة الخامسة: وهي الطائفة التي تهرب من مسرح الحياة بتعدد عن المسرح وتهرب منه وهذه الرهبانية موجودة في ملء مجتمعات الظلم على مر التاريخ وهي تتخذ صيغتين: الأولى: صيغة جادة ،رهبانية جادة تريد ان تفر بنفسها لكي لا تتلوث بأحوال المجتمع هذه الرهبانية الجادة عبر عنها القران بقول (ورهبانية ابتدعوها) وهذه الرهبانية يشجعها الإسلام لأنها موقف سلمي تجاه مسؤولية خلافة الانسان على الأرض وهناك صيغة مفتعلة يترهب ويلبس مسح الرهبان ولكنه ليس راهبا في أعماق نفسه وإنما يريد بذلك ان يخدر الناس ويشغلهم عن فرعون وظلم فرعون ويسطوا عليهم نفسياً وروحياً.

الجماعة السادسة: وهم المستضعفون، فإن الفرعونية حينما جزأت المجتمع الى طوائف استضعفت طائفة معينة منهم لأنها هي الطائفة التي يتوسم أن تشكل إطاراً للتحرك ضده ولهذا استضعفها بالذات. وقد علمنا القران الكريم ضمن سنن التاريخ أيضاً إن موقع أي طائفة في التركيب الفرعوني لمجتمع الظلم يتناسب عكسياً مع موقعه بعد انحسار الظلم وهذا معنى قوله تعالى: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

مقارنة بين إصلاحات الإمام السجاد (عليه السلام) والرئيس الأمريكي (إبراهام لنكولن)

إن الأساليب الإصلاحية التي انتهجها الأئمة الأطهار والأنبياء الكرام (عليهم الصلاة والسلام) تتميز عن سائر الأساليب الإصلاحية التي يمارسها بقية البشر من ناحية العمق وقوة التأثير والإخلاص في أداء الرسالة ونُبُل الأهداف وسموها وما إلى غير ذلك من مميزات، لما يمتلكونه من رصيد غيبي وإمداد إلهي في الدعوة إلى الله تعالى وشريعته السمحاء.

ونخص بالذكر كشاهد تأريخي ينفعنا في هذا البحث هو ما حققه الإمام السجاد (عليه السلام) لتخليص العبيد من ربة العبودية وذل الابتعاد عن الإسلام الأصيل ولأجل استنشاق نسيم الحرية الحقيقية في ظل طاعة الله تعالى وعبوديته، حيث كان (الإمام زين العابدين (عليه السلام)) يشتري العبيد ويقوم بتربيتهم ثم يعتقهم ويتركهم في المجتمع، ليطالبوا بالعمل والحرية ويضحوا من أجل ذلك، لقد كان يربي ويغذي جيل الثورة الرسالية ليس الثورة السياسية فقط، وإنما الثورة على جميع المستويات وجميع الأصعدة... ويقوم (عليه السلام) في ذات الوقت بنشر الإسلام والتوعية الإسلامية بين العبيد الذين جلبتهم فتوحات بني أمية غير العقلانية، وكانون يشكلون خطراً على الدولة الإسلامية وعلى الإسلام، (الإمام (عليه السلام)) كان يبث في هؤلاء روح الدين ويربي فيهم مبلغين حقيقيين ويقوم بثورة من نوع آخر).^{٣٧} بالإضافة إلى الأدعية التي كان الإمام (عليه السلام) يبثها في ربوع الأمة حيث كانت تتمتع بعضها (بخلفيات الفكر الثوري فقد كانت الأمة الإسلامية بحاجة إلى خلفية ثورية

٣٧ - يُنظر التاريخ الإسلامي، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله).

متكاملة ، وليس الى الكلام والشعر الذي يبث حقداً ، أو يثير العواطف المرتجلة والآنية . لقد كانت الامة بحاجة الى نظرية متكاملة للثورة).^{٣٨}

في حين إن الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية (ابراهيم لنكولن) فشل في تحقيق الحرية الحقيقية لمجتمع العبيد على الرغم من إلغاءه لقانون الرق حيث (انقذ (ابراهيم لنكولن) العبيد في الولايات المتحدة الأمريكية أبان الحرب المعروفة بين الشمال والجنوب، وألغى قانون الرق من الدستور، وأخرج العبيد الذين كانوا يعملون عند أسيادهم البيض في مصانعهم وارضهم وتجارتهم، الى الحياة الحرة المستقلة، وانتهت بذلك سلطة السادة على العبيد، ولكن الكثير من هؤلاء كانوا قد تعودوا على الذل والعبودية، فذهب الكثيرون منهم الى اسيادهم ليبقوا تحت سلطتهم رغم الذل الذي كانوا يلاقونه، إن سبب ذلك يكمن في أن نفوسهم قد استعبدت).^{٣٩} وكان المنهج الذي سار عليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) في هذا المضمار يتمثل بما يأتي:

١- إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان يشتري العبيد والإماء، ولكن لا يُبقي أحدهم عنده أكثر من مدة سنة واحدة فقط، وأنه كان مستغنياً عن خدمتهم، فكان يعتقدهم بحجج متعدّدة ، وبالمناسبات المختلفة، إذن، فلماذا كان يشتريهم ؟ ولماذا كان يعتقهم ؟

٢- إنه (عليه السلام) كان يعامل الموالي، لا كعبيد أو أمأ، بل يعاملهم معاملة إنسانية مثالية، ممّا يغرّزُ في نفوسهم الأخلاق الكريمة ، ويحبّب إليهم الإسلام ، وأهل البيت الذين ينتمي إليهم الإمام (عليه السلام).

٣٨ - يُنظر المصدر نفسه.

٣٩ - يُنظر المصدر نفسه.

٣-إنّه (عليه السلام) كان يُعلم الرقيق أحكام الدين ويملوهم بالمعارف الإسلامية ، بحيث يخرج الواحد من عنده محصّناً بالعلوم التي يفيد منها في حياته ، ويدفع بها الشبهات ، ولا ينحرف عن الإسلام الصحيح .

٤- إنه (عليه السلام) كان يزود كلّ مَنْ يُعتقه بما يُغنيه ، فيدخل المجتمع الجديد ليزاول الأعمال الحرّة ، كأبي فرد من الأمة ، ولا يكون عالة على أحدٍ، إن المقارنة بين هذه الملاحظات ، وتلك ، تعطينا بوضوح القناعة بأنّ الإمام كان بصدد إسقاط السياسة التي كان يُزاولها الأمويون في معاملتهم مع الرقيق.

كما ورد عن سعيد بن مرجانة، وجدنا أن الإمام (عليه السلام) قد أعتق غلاماً اسمه (مطرف) وجاء في ذيل الحديث، أن عبدالله بن جعفر الطيّار كان قد أعطى الإمام زين العابدين (عليه السلام) بهذا الغلام (ألف دينار) أو (عشرة آلاف درهم) ففي إمكان الإمام (عليه السلام) أن يبيع الغلام بهذا الثمن الغالي، ويعتق بالثمن مجموعة من الرقيق أكثر من واحد، ولكن الإصرار على إعتاق هذا الغلام بالخصوص مع غلاء ثمنه يحتوي على معنى أكبر من العتق: فهو تطبيق لقوله تعالى : (لن تنالوا البرّ حتّى تُنفقوا ممّا تُحبون) ^{٤٠} وهو إيماء إلى أن الإنسان لا يعادل بالأثمان ، مهما غلت وعلت أرقامها، ولعلّ السبب الأساسي هو: أن غلام ثمن الغلام لا يكون إلا من أجل أدبه ، وذكائه ، وحنكته، وقوّته ، وغير ذلك مما يجعله فرداً نافعاً ، فإذا صار حرّاً ، وهو متّصف بهذه الصفات ، يفيد المجتمع ككلّ ، فهو أفضل عند الإمام عليه السلام من أن يكون عبداً يستخدمه شخص واحد لأغراضه الخاصّة ، مهما كانت شريفة وبهذا واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) مشكلة الرقّ، واستفاد منها، في صالح المجتمع والدين. ^{٤١}

٤٠- آل عمران / ٩٢.

٤١ - راجع جهاد الامام السجاد، السيد محمد رضا الجلاي، ص ١٥٤.

لذا (بعث الله تعالى الانبياء (عليهم السلام) من أجل بناء الانسان، وجاهدوا من أجل بناء بشر مثاليين، وهؤلاء هم الذين قاموا بالثورات وضحوا من اجل التعبير، وهذا هو العمل الاساسي الذي قام به الامام علي بن الحسين (عليه السلام) لقد بثّ (عليه السلام) في الامة الاسلامية، روح الدين التي تحتوي - فيما تحتوي - على رفض الطواغيت والتهيئة من أجل إقامة حكم الله، والعمل من اجل انقاذ الانسان من براثن الظلم والعبودية... ولو كان الائمة المعصومين (عليهم السلام) والنبي (صلى الله عليه وآله) من قبلهم وكذلك انبياء الله قبله، لو كانوا يتركون الناس، إذن لكان الناس يستعبدون من قبل الطواغيت، ولما كانت هناك ثورات ولا حركات ولا تغيير وبالتالي لم يحدث تقدم ولا اية حضارة، انما انبياء الله هم الذين حرروا الانسان منذ أول حقب التاريخ، وبثوا في روحه حب الحرية والتضحية من أجلها، فربوا رجالا صالحين كأصحاب الحسين (عليه السلام) الذين حاربوا معه في كربلاء وابلوا كل ذلك البلاء، ولو كان اولئك الرجال كسائر من في الكوفة، لكانوا يحاربون الى جانب يزيد، إنما الائمة هم الذين ربوهم على حب الحرية والجهاد في سبيل الله والايمان بالآخرة والتضحية من أجلها).^{٤٢}

رجال الدين المزيفين وشرعنة الطغيان والاستبداد

. الكنيسة في العصور الوسطى نموذجاً .

لم يجد رجال السلطة أحداً للقيام بتدجين الشعوب وتخديرها أفضل من رجال الدين المزيفين الذين باعوا الله وباعوا دينه وباعوا عباده وخانوا أمانته واشتروا بآياته ثمناً قليلاً، وتاريخياً لم يستطع أحد أن ينافس المتلبسين بزي الدين في دورهم الشيطاني ذلك لما للدين من هيبة وقُدسية وإجلال في قلوب الجماهير، فقد نقل لنا التاريخ كيف قام رجال الدين المسيحيين بتولي رجال السلطة في أوروبا، ففي القرن الرابع الميلادي اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية وقام بفرضها على الإمبراطورية فرضاً، ثم بمرور السنين سجل التاريخ أحداثاً عن ذلك النزاع المرير الذي كان ينشب من حين لآخر بين رجال الدين ورجال السلطة حول من يجب أن يكون له السلطان المطلق على الناس، رجال الدين أم رجال السلطة؟، حتى أن البابا (نقولاً الأول) أصدر بياناً في العصور الوسطى قال فيه: إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها، وإن أساقفة روما ورثوا سلطات بطرس في تسلسل مستمر متصل، ولذلك فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاماً كانوا أو محكومين.

وفي القرون الوسطى مارست السلطة الدينية ذلك السلطان بالفعل أبشع ممارسة على الحكام والمحكومين، مما نشر الطغيان والفساد في الأرض باسم الله وبالتحايل على نصوص الدين، وعاشت أوروبا في ظلام دامس ما يقرب من ألف عام، وتم ذلك حين قام رجال الدين يفسرون الدين وفق مصالحهم وأطماعهم،

كفهمهم لكلام السيد المسيح (عليه السلام) الذي يقول: (أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله) حيث زعموا آنذاك أن قيصر يحكم عالم الناس بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، ويبقى الله بعيداً عن شئون الحكم لا يتدخل فيما يفعل قيصر بالناس، وبهذا التفسير الإجرامي لكلام السيد المسيح تم إعطاء قيصر المشروع الدينية المطلقة في أن يفعل بالجماهير ما يحلو له من تنكيل واضطهاد وفرض ضرائب وقهر واستغلال واستبداد وإقطاع. ٤٣

وقال مصطفى إنشاصي في مقال له بعنوان: (طغيان الكنيسة في العصور الوسطى الأوروبية) جاء فيها:

(توجت الكنيسة تصرفاتها الشاذة وبدعها الضالة بمهزلة لم يعرف تاريخ الأديان لها مثيلاً، عندما احتاجت إلى مزيد من السلطة الدينية والنفوذ المالي لمواجهة أعدائها، وقد كان ألد وأخطر أعدائها (المسلمين) أثناء الحروب الصليبية التي بدأت تلوح علامات هزيمتها فيها بعد أن بلغ ضعف الحماس الديني في نفوس الأوروبيين مبلغاً كبيراً وفقد المقاتلون ثقتهم في الكنيسة نتيجة لخيبة أملهم في النصر الذي وعدتهم به وعداً قاطعاً، ففكرت في وسيلة تجعل المقاتل يندفع للاشتراك في الحملة الصليبية فكانت تلك الوسيلة هي (صكوك الغفران)! حيث أصدر المجمع الثاني عشر المعروف باسم (مجمع لاتيران) سنة ١٢١٥م قراراً يمنح البابا حق امتلاك الغفران للمذنبين!).

ويقول ول ديورانت: (إن صكوك الغفران كانت توزع على المشتركين في الحروب الصليبية ضد المسلمين. ولم يكن يحظى بالحصول على صك الغفران إلا أحد اثنين؛ الأول؛ رجل ذو مال يشتري الصك من الكنيسة حسب التسعيرة التي تحددها هي، والثاني؛ رجل يحمل سيفه ويبذل دمه في سبيل نصرته الكنيسة

والدفاع عنها وحراسة مبادئها، وقد مثل ذلك ذروة الطغيان الكنسي ضد الفقراء والأمراء على حد سواء، وكانت أول أمرها من أسباب قوة الكنيسة ودعائم شموخها، حيث قويت الكنيسة وتدعمت سلطتها بالجحافل البربرية التي تطوعت للقتال في سبيلها من أجل الحصول على الغفران. ومن مظاهر الطغيان الكنسي أيضاً:

- ١- الطغيان الديني: بتأسيس (محاكم التفتيش) وهذه المحاكم هي ديوان أو محكمة كاثوليكية نشطت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، مهمتها اكتشاف مخالفات الكنيسة ومعاقبتهم بشدة.
 - ٢- الطغيان السياسي: حيث تحول رجال الدين إلى طواغيت وسياسيين محترفين، وتملكتهم شهوة عارمة للتسلط ورغبة كبيرة في الاستبداد، بزعم تطبيق الشريعة وأن البابا ظل الله على الأرض.
 - ٣- الطغيان المالي: نستطيع أن نقول دون أدنى مبالغة أن الأناجيل (المسيحية) لم تنه عن شيء نهىها عن اقتناء الثروة والمال، ولم تنفر من شيء تنفيرها من الحياة الدنيا وزخرفها، وجاءت القرون التالية فشهدت مفارقة عجيبة بين مفهوم الكنيسة عن الدنيا وبين واقع الكنيسة العملي.
- وقد انتج هذا الطغيان والاستبداد من جانب الكنيسة آنذاك إلى ردة فعل عنيفة من قبل المجتمع الأوربي تمخض عن ولادة ما يسمى بـ(العلمانية) التي تقضي بفصل سلطة رجال الدين (رجال الكنيسة) عن السياسة، وإبعاد مفسدهم عن المجتمع من خلال تقييد هيمنتهم السياسية، لكن للأسف تطور هذا المفهوم ليشمل مصطلح (العلمانية) كل حركة أو جهة معادية للدين وليس لرجال الدين المزيفين والمستبدين فحسب، ف(إن العلمانية ليست كما يشاع مجرد فصل الدين عن الدولة، بل هي في نهاية الأمر وحقائقته؛ فصل الدين عن الحياة، ليتصرف

الحاكمون بأمرهم على إشاعة الباطل وتدجين الأمة على قبول الهوان والتبعية للأعداء بتقنين الباطل وحكم الطاغوت ومن العجب أن يتحدث نفر من المنسويين للإسلام بكل سذاجة وبورع بارد حينما يدعوننا ألا نتحدث عن خطر العلمانية، وألا نفضح العلمانيين، وألا نتهمهم بالخروج والضلال الميين).^{٤٤}

وصحّ المرجع اليعقوبي في إحدى كلماته مصطلح (العلمانية) ليعبرز المعنى الحقيقي لها، قائلاً: (العلمانية.. صوّرها خصومها الذين يتاجرون بالدين ويتخذونه وسيلة لتحقيق مصالحهم على أنها محاربة الدين ومعاداته وحينئذ سيكون رد الفعل السريع هو الرفض والمواجهة، لكن البعض يعرفها على أنها إلغاء سلطة رجال الدين الذين يسيئون استخدام الفتوى الدينية والقداسة لتحقيق مصالحهم اللامشروعة بدفع من المستفيدين منهم، فهم - أي العلمانيون - لا صراع لهم مع الدين كتعاليم سامية تتكفل بإسعاد الإنسان وضمان حقوقه في حياة حرة كريمة. وهم بذلك يصلون إلى نصف الحقيقة وعليمهم السعي لتحصيل النصف الآخر لأننا جميعاً نرفض استغلال الدين للدنيا وجعله جسراً يعبرون عليه لتحقيق نزواتهم وأهوائهم الشخصية، بل إن أئمتنا المعصومين (سلام الله عليهم) قادوا حملة توعية واسعة لفضح المتسترين بلباس الدين والذين يرفعون اللافتات الإسلامية نفاقاً وقد وصفهم الإمام الحسين (عليه السلام): (عبيد الدنيا، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الديانون) وحذّروا الأمة من اتباع رجال الدين المزيفين (إذا رأيتم العالم مكباً على دنياه فاتهموه في دينه).

والذي يراجع تاريخ نشوء العلمانية التي انطلقت من أوروبا قبل قرون يجد أكثر من شاهد على أنها كانت تمرداً على دكتاتورية رجال الدين وتخلفهم واستعباد الناس وسرقة أموالهم بسلطان الفتوى والتحالف مع الملوك الظالمين المستبدين لكنهم في

(٤٢) ظاهرة تدجين الشعوب

خضمّ صراعهم مع التطبيقات السيئة للدين تخلّوا عن الدين نفسه وخسروا المبادئ السامية التي تركزها عقيدة التوحيد لأنهم لم يستطيعوا التفكيك بين الدين - كتحاليم وشريعة وعقيدة - والمتلبسين به من طلاب الدنيا).^{٤٥}

٤٥ - خطابات المرحلة، ج ٥، رقم (١٦٩)، خطاب بعنوان: حوارات في الفكر الإسلامي، الحوزة العلمية والتيارات الوافدة.

أساليب التدجين البعثي الصدامي مع الشعب العراقي

يرى المرجع اليعقوبي إن من أبرز الأسباب التي جعلت الشعب العراقي يقبل بحالة الظلم والاضطهاد ويستسلم لجشع المتسلطين ولا يرفع عقيرته في وجوههم محتجاً عليهم، هي طول مدة تسلط الحكومة البعثية على العراق والتي مارست ضده مختلف الجرائم وأبشعها، مما أصاب الشعب حالة من (التدجين وعدم الاحتجاج على الظلم) لذا فلنأخذ جولة سريعة مع هذه الأساليب القمعية والإذلالية التي مارستها السلطة البعثية مع الشعب العراقي منذ مجيئها للحكم سنة ١٩٦٨ ونبين كيف أمعنت في ظلمه وراحت ترتكب أبشع أنواع الجرائم وأساليب التكريع لإرادته لكي نتعرف ولو شيئاً بسيطاً على حجم الأضرار التي لازال المجتمع العراقي يعاني من موروثاتها السلبية:

١. القيام بفرض التجنيد العسكري الإلزامي:

كانت المؤسسة العسكرية الصدامية من أكثر المؤسسات - بعد المؤسسات القمعية - انتهاكاً لحقوق الإنسان وكرامته، وقد تعددت تشكيلات الجيش إلى صنوف عديدة كالجيش النظامي والحرس الخاص والجيش الشعبي وجيش القدس وقوات النخوة وفدائيو صدام وقوات الانضباط العسكري وقوات الطوارئ وغيرها، وكان النظام الصدامي يلزم الشباب بالانخراط في السلك العسكري بعد اتمام الدراسة الاكاديمية، أو بعد الفشل في عبور مراحلها، فيلزم من أكمل الدراسة الجامعية (سنة وستة أشهر) في حين يلزم من لم يتم المرحلة الثانوية ب(ثلاث سنوات) يعاني منها الشاب العراقي شتى صنوف الظلم والاحتقار والاذلال والقهر والحرمان والابتزاز، فيخرج بعد هذه المدة منك القوى بدنياً ونفسياً وذهنياً.

ففي تلك المؤسسة المسماة بـ(العسكرية) يتم أمتهان العلم والعقل والمعرفة وأصحاب الشهادات والخبرات، بشعارات سوقية لا ينم إلا عن الانحطاط الفكري والاخلاقي لتلك المؤسسة واستهتارها بقيم العلم والانسان العراقي، فمن هذه الشعارات: (خريج مريج كله بالإبريج) وشعار آخر (أنزع كرامتك خارج الوحدة العسكرية ثم ادخل) وشعار آخر يقول: (الجندي هو ذلك الخط الوهمي بين البيرية والبسطال مروراً بالنطاق) فأى أمتهان وأي وصف يوصف به الشاب العراقي الذي يتم استدعائه بحجة (خدمة العلم والوطن) أما المتخلف والهارب من الخدمة العسكرية ومن جور السلطة، فحدث ولا حرج فإنه يستباح مصيره ويتعرض إلى المطاردة والسجن والاعتقال وحتى لحكم الإعدام أو السجن المؤبد، حتى جسده لم يسلم من العبث والتشويه.

هذه المواقف والمصطلحات المنحطة كنا نسمعها ونراها في فترة ما يسمى (بالخدمة العسكرية) وهو غيظ من فيض أما مراكز ومعسكرات التدريب وساحات المعارك فحدث ولا حرج ففيها تعرض الفرد العراقي إلى أبشع أنواع الجرائم والانتهاكات والاعتداءات وسلب للحريات وقُيد عقله لسنوات طويلة ضاعت فيها أحلى مراحل العمر والحياة باسم خدمة العلم والدفاع عن الوطن من العدوان الخارجي، في حين إن العدو الحقيقي هو جاثم على صدور العراقيين في الداخل.

٢. اجبار الشعب بالانتماء . ولو صورياً . لحزب البعث الكافر، وكان المقبور صدام يردد كلمته الشهيرة قائلاً: (المواطن العراقي بعثي وإن لم ينتم) ولعل الانتماء الشكلي (الصوري) الذي كانت السلطة تريده من الشعب هو لعدة غايات منها فتح المجال على أوسع نطاق أمام الناس ليفسح لهم الطريق في التفكير بالانضمام بشكل جدي وفعلي للحصول على بعض الامتيازات، وثانياً يربط الناس بالحزب والدولة وعدم قطع العلاقة بها، فإن الحيادي في نظر السياسة الصدامية بمثابة

معارض لها، وثالثاً هو نوع من أنواع الاذلال والهيمنة والتسلط، ورابعاً لكي يُشعر الطاغية شعبه بأنه لا يسمح وبشكل قاطع وعملي بأي متنفس لحزب أو جهة أخرى بالعمل في العراق، ولسان حال ومقام السلطة كل العراقيين هم بعثيون وأن لم ينتموا لصفوفه.

٣. توظيف مجموعة كبيرة من الدوائر والمؤسسات الحكومية التي تُعنى بالجانب القومي والإرهابي، وكان أفرادها يحصون على الناس أنفاسهم، ويمارسون مع المعتقلين أشنع أنواع العنف والتعذيب النفسي والجسدي.

٤. المعاقبة وبشدة على أي استفسار يصدر من المواطن العراقي كما يعاقب من يطالب السلطة ببيان سبب عمل تمارسه، فضلاً عن مخالفتها، ولسان حال ومقال السلطة (نفذ ولا تناقش) ونتج من ذلك بث حالة من الرعب الشديد خوفاً من مخالفة نظام السلطة الصارم لدرجة إن البعض كان يخاف من التحدث مع زوجته أو أولاده ضد الطاغية أو أزماله، خشية الوشاية به، بل إن البعض لفرط خوفه الشديد راح يبالغ في تمجيدهم حتى أصبحوا - كما يقال - ملكيين أكثر من الملك، حفاظاً على حياتهم ومصالحهم من بطش السلطة، ومن الغريب العجيب في هذا المجال ما أقدمت عليه النظام الصدامي في معاقبة حتى من رأى في منامه ما يشير إلى مخالفة السلطة أو التخطيط لذلك، وكذلك معاقبة من شتم رمز السلطة أو تلفظ بمزحة مضحكة تتهم بالطاغية أو أحد أزماله أو تسخر منهم، وقد تعرّض البعض للمساءلة والاستجواب بسبب تعليمه صيغة الأذان أو كتابة الصلاة لصديقه، فما هو ظنك بمن يخطط فعلاً لتشكيل خلية حزبية أو تنظيم سري؟! كما (سنّ الطاغية صدام خلال فترة حكمه بعض القوانين الفارضة للإعدام ومنها قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٨٤٠ في ١١/٤/١٩٨٦ الذي ينص على عقوبة السجن المؤبد ومصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة من أهان بإحدى طرق

العلانية رئيس الجمهورية أو من يقوم مقامه أو مجلس قيادة الثورة أو حزب البعث العربي الاشتراكي أو المجلس الوطني أو الحكومة. وتكون العقوبة الإعدام إذا كانت الإهانة أو التهجم بشكل سافر وبقصد إثارة الرأي العام ضد السلطة. ويعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات أو بالحبس أو الغرامة من أهان بإحدى طرق العلانية المحاكم أو القوات المسلحة أو غير ذلك من السلطات العامة أو الدوائر أو المؤسسات الحكومية).^{٤٦}

٥. قطع صلة الشعب العراقي بالعالم الخارجي إعلامياً واجتماعياً، وبهذا بات العراق أشبه ما يكون بزنانة سجن كبير يضم خلف قضبانه آهات المحرومين والمظلومين الذي لا ناصر لهم ولا معين.

٦. استخدام السلطة الظالمة لأساليب الإذلال النفسي مع الشعب، ونذكر منها على سبيل المثال:

• الجباية المالية الاجبارية أو شبه الاجبارية، بحجج وذرائع مختلفة، كالتبرع للمجهود الحربي أيام الحرب العراقية الايرانية، ودفع المبلغ الشهري كاشتراك في تنظيم حزب البعث، وتارة بعنوان جمع التبرعات لترميم الحضرة الكاظمية المقدسة، وغيرها من الأهداف التي يعرف الناس كذبتها، وإن هذه الأموال تذهب إلى جيوب المنتفعين من السلطة لإرضاء غرورهم وشهواتهم ليس إلا، وهذه المحاولات المتكررة بالإضافة إلى تحقيق حالة الإذلال النفسي، فهي أيضاً تهدف إلى استنزاف الشعب اقتصادياً.

• الاستجواب والتفتيش الدوري لعوائل المتهمين والمعدومين، ووضعهم تحت المراقبة من قبل الجواسيس ووكلاء الأمن وممارسة أساليب الابتزاز معهم

ومحاربتهم في ارزاقهم والتضييق عليهم، ليكونوا عبرة لمن يفكر بمعرضة السلطة أو ينضم إلى صفوف خلايا المعارضة.

• المحاربة بالرزق أو ما يسمى ب(التركيع الاقتصادي) من خلال تجويع الشعب وتقليل موارده المالية، والقيام بصرف رواتب محدودة لموظفي الدولة، التي بالكاد تلي حاجات المواطن الشهرية، لكي يبقى الشعب في دوامة البحث عن لقمة العيش وتوفير مستلزمات الحياة الضرورية له ولعائلته، للحيلولة دون التفكير بالمعارضة أو الثورة، فضلاً عن التقدم نحو ذلك عملياً، كما أقدمت السلطة على قتل واعتقال بعض التجار الكبار والأغنياء والمتمولين اقتصادياً ممن لا ينتمون أو يوالون أو يتعاطفون معها^{٤٧}، والسلطة البعثية اتخذت بهذه الأساليب النهج الشيطاني والمثل الشعبي القائل: (جوع كلبك يتبعك)، كما (قضى النظام الصدامي على غالبية النشاط الاقتصادي الذي يدار من قبل القطاع الخاص من أجل إنهائه والسيطرة على أي مصدر للقوة لدى الشعب حيث هيمنة الدولة على التجارة الخارجية والداخلية والمعامل والمصانع والشركات والبنوك وبسبب هيمنة الدولة على مجمل النشاط الاقتصادي تنامى عدد العاملين والموظفين في دوائر الدولة بشكل كبير فجرى ربط قطاع كبير من العاملين في المجتمع بالدولة حيث

٤٧ - نذكر على سبيل المثال ما أقدمت عليه السلطة من اعتقال ل(٤٢) شخصاً من كبار تجار بغداد مع عدد من العاملين معهم وتم اقتيادهم مباشرة إلى قاعة المحكمة وإصدار حكم الإعدام بحقهم بتهمة احتكار السوق، وبعد سقوط الطاغية تم التحقيق في وثائق الجريمة، فتبين إن الطاغية صدام أصدر توجيهاته يوم ٢٥ من تموز/ يوليو ١٩٩٢ إلى وزير الداخلية ومدير الأمن العام للقيام بحملة كبيرة لاعتقال تجار المواد الغذائية في سوق الشورجة وجميلة في بغداد، ما أسفر عن اعتقال أكثر من مائتي تاجر، انتقي منهم (٤٠) تاجراً أرسلوا عصر نفس اليوم إلى المحكمة وهماك تم إصدار حكم الإعدام على جميع المتهمين، ونفذ الحكم في اليوم التالي مباشرة دون منحهم فرصة مقابلة ذويهم أو توديعهم وبدون حضور الادعاء العام أو رجل دين.

صارت هي مصدر رزقهم الوحيد فاصبح الموظف يحرص على لقمة عيشه ويحتمل كل الضغوط والممارسات السلطوية ضده وضد الشعب دون أن يبدي معارض قوية وقد أنيطت مهام أخرى بالموظف إضافة إلى وظيفته، وتم إخضاعه لضغوط نفسية ومعيشية بهدف الانتماء إلى حزب السلطة، ليمارس دور المخبر).^{٤٨}

● مطالبة عوائل ضحايا السلطة ممن قضوا في سجون التعذيب بثمان رصاصات الإعدام، كإسلوب وقح من أساليب الإهانة والإذلال النفسي، ويطلبون منهم أن يأخذوا أبنتهم الشهيد، ويعبرون عن مطلبهم هذا بأسلوب ملئه الحقد والضغينة قائلين: (تعالوا وخذوا كلبكم).

٧. القضاء على الحركة الدينية في العراق، وذلك من خلال عدة أساليب شيطانية، أبرزها:

أ- اعتقال الرموز الدينية والقيادية البارزة، وتصفيتهم جسدياً، ف(ما إن وصل حزب البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨ حتى جعل نصب عينيه هدفاً أساسياً وهو القضاء على الحركة الإسلامية في العراق واستهل حكمة في بداية السبعينات بإعدام مجموعة من الحركيين وهم أقطاب القيادة في حزب الدعوة (عبد الصاحب دخیل) وخمسة آخرون ممن سموا بعد ذلك بـ(قبضة الهدى) وأنهى المرحلة الأولى من حملته بإعدام قائد الحركة الإسلامية في العراق السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) سنة ١٩٨٠ ولم ينته الأمر عند هذا الحد فقد شهدت السنوات اللاحقة عمليات إبادة جماعية منظمّة ومقابر جماعية لعشرات الآلاف من المنتسبين وغير منتسبين لتنظيمات سياسية إسلامية ..).^{٤٩}

٤٨ - المشروع السياسي والاجتماعي للسيد محمد الصدر، هاني النجار، ص ١٨٠
٤٩ - قيادة الحركة الإسلامية في العراق، الشيخ عباس الزبيدي والشيخ عبد الهادي الزبيدي، ص ٩.

ب- منع المظاهر الدينية وحضّر كل الممارسات العبادية وخصوصاً العلنية منها، ومنع ترويج الكتب والمجلات والمنشورات الدينية، ومحاسبة الشباب على ابقاء لحاهم، لأن اللحية تعطي معنى رمزي للتدين، والسعي الحثيث في تقليص دور المسجد وبقاء اشرافه بيد كبار السن والمعتمدين والمرضى والمعاقين وأضرابهم، والمنع من إقامة صلاة الجماعة وعدم السماح للخطباء بارتقاء المنبر، لأجل تجميد دور المنبر الرسالي الواعي، علماً إن الكثير من العلماء والخطباء وطلبة الحوزة قد نالهم البطش البعثي فلم يبق منهم إلا القليل، بالإضافة إلى أساليب أخرى في هذا المضمار يطول شرحها.

ت- ممارسة سياسة التجهيل، والقضاء على أي حركة فكرية وثقافية، وذلك بتقليص منابع العلم والمعرفة ومحاربة المبدعين، وتصفية النخب الواعية حتى ممن لم ينتسب للجهات الدينية ليتمكن الجهل والتخلف من أبناء المجتمع فيبقون أذلاء تحت وطئة السلطة (ونشر السذاجة والتمسك بالعادات البالية وجعل الدين متنفس فقط دون أن تكون فيه ثورة وإصلاح اجتماعي)° ومن جهة أخرى عمدت السلطة إلى نشر المفسد الأخلاقية والعقائدية والانحرافات الفكرية والاجتماعية، وبأساليب وطرق متعددة ومختلفة، لكي تنخر في جسد المجتمع وتمزق قيمه الأصيلة ومبادئه النبيلة.

ث- القضاء على الجيل المعاصر لحركة السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) من خلال التصفية الجسدية أو بالتهجير أو بزجهم في الحروب، كالحرب الطاحنة التي دارت مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، حيث كانت (السلطة الحاكمة مع مطلع السبعينيات بملاحقة واعتقال أبناء الحركة الإسلامية وعرضتهم إلى تعذيب وحشي إلى حد الاستشهاد... وفي سنة ١٩٧٢م توسعت حملة الاعتقالات لتشمل

العلماء والأساتذة والأطباء والمهندسين وطلاب الجامعات وغيرهم، وكان المفكر الاسلامي السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) من بينهم)^{٥١}، كما كانت المحاكمات الصورية تجري في كل يوم وكانت الأحكام تشمل جماعة تلو الأخرى حيث بلغ إعداد المعدومين آنذاك (٣٠٠-٤٠٠) شاباً يومياً كما ذكرت الصحافية المصرية صافيناز كاظم، وكان كل من يصلي في مسجد أو حسينية وكان من يطلق لحيته وكان من يشارك في زيارة للمراقد المقدسة وكل من يشتري كتاباً شيعياً وكل من يلتقي بمتهم بالانتماء لحزب الدعوة أو أحد افراد أسرته ومن له درجة قريبة من صلة القرابة فهو متهم بالانتماء إلى حزب الدعوة وقد يعدم بهذه التهمة والحقيقة إن معظم المتهمين والمعدومين لم تكن لهم صلة مباشرة بحزب الدعوة، والنظام كان على علم بذلك ولكن هدفه كان أوسع من ذلك كما قلنا في السابق هو القضاء على جيل كامل تأثر وستلهم من السيد محمد باقر الصدر)^{٥٢}،

ج- الوقوف بوجه المد الإسلامي الذي انطلق من الجمهورية الإيرانية بعد انتصار الثورة الاسلامية فيها بقيادة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) للحيلولة دون وصول التوعية الدينية إلى المجتمع العراقي، لذا ركزت السلطة البعثية على تشويه سمعة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) وسمعة ثورته الإسلامية المجيدة، بواسطة توظيف الماكنة الإعلامية المضلة، لتتمكن من تشويه الحقائق وتضليل الرأي المحلي والعالمي تجاهها، حتى لا يتأثر بها الشعب العراقي أو شعوب العالم، بل وأكثر من ذلك فقد أقدم الطاغية صدام بالاعتداء العسكري على إيران، واقحام

٥١ - يُنظر المصدر نفسه، ص ٥٤.

٥٢ - يُنظر قيادة الحركة الإسلامية في العراق، الشيخ عباس الزبيدي والشيخ عبد الهادي الزبيدي، ص ٢٩.

البلدين في حرب إقليمية واسعة النطاق، امتدت إلى ثمان سنوات، طالت الأخضر واليابس، وراح ضحيتها مئات الآلاف من الضحايا من كلا الطرفين.

ح- القيام بتهجير عدد كبير من العلماء ومراجع الدين وطلبة العلوم الدينية غير العراقيين إلى خارج العراق، ضمن حملة التسفير القسري، فقامت السلطة العراقية ابتداء من سنة ١٩٧٠ وانتهاء بسنة ١٩٧٥، فهجّر من العراق في تلك الحقبة المظلمة عشرات الآلاف الذين تم ترحيلهم بطرق لإنسانية، عبرت فيها السلطة عن وحشيتها وبغضها لهذه الجاليات التي رحلت عن العراق بصورة غاية في المأساوية.

خ- تحجيم دور الحوزة العلمية في النجف الأشرف وإلغاء الحوزة في كربلاء المقدسة، وإغلاق وهدم العديد من المدارس والمساجد والحسينيات ومراقبة تحركات علماء الحوزة وطلبها، ومنعهم من مزاولة نشاطاتهم، مما أنتج تخلي الكثير منهم عن أداء وظائفهم الدينية، كصلاة الجماعة والتدريس وإلقاء المحاضرات وإقامة الندوات التنقيفية، والمحافل الإسلامية، ونحو ذلك، ومحاسبتهم على الصغيرة والكبيرة، مما أدى بالبعض لترك هذه الوظيفة الشريفة والتخلي عن الزي الديني، أو الهجرة إلى خارج العراق وهذا ما فعله جملة منهم، فلم يبق في الحوزة النجفية إلا القليل، حتى مجيء السيد الصدر الثاني (قدس سره) بنهضته الإصلاحية التي قارع بها النظام الظالم فأعاد للحوزة هيبتها ودبت الحياة فيها من جديد، بفضل الله تعالى وتسديده.

٨. القضاء على المعارضة المسلحة والخلايا السرية المناهضة للسلطة، وإخماد بوادر أي نار تتقد في البلاد ضدها (حتى خلت الساحة العراقية من مواجهة

السلطة. حيث ذهب المعارضون للسلطة الظالمة إلى المنافي هرباً من بطشها، وتُرك الشعب العراقي يواجه مصيره في الموت البطيء على يد النظام المتسلط).^{٥٣}

٩. القضاء على أي رمز ديني رسالي يتمتع بمواصفات قيادية، للحيلولة دون التفاف الشعب حوله وافراغ الساحة العراقية من الشخصيات القيادية، لذا تعاملت السلطة مع هذا النوع من أبناء الشعب بوحشية وقسوة بالغة فمارست سياسة التصفية الجسدية والسجن وسياسة التهجير والاقامة الجبرية ونحوها من الأساليب القمعية مع من تشك بتمتعه بمثل هذه الصفات ولو في المستقبل البعيد، فضلاً عن يتمتع بها فعلياً، لأن السلطة تعلم بخطر هذه النماذج القيادية على مسيرتها الظالمة، فالقيادات الدينية الاصلاحية تعد من أعظم العقبات في طريق الظلم البعثي آنذاك، لذا عمدوا إلى اقتلاع جذورهم من أرض العراق فور وصولهم إلى السلطة، يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: (أن المجتمع الذي خضع طويلاً لتأثير السياسة الظالمة التوجيه من الظالم لا يمكن أن يصلح بالكلام فهو آخر شيء يمكن أن يؤثر فيه إن الكلمة لا يمكن أن تؤثر شيئاً في النفس الميتة والقلب الخائر والضمير المنحدر، كان لابد للجميع من مثال يهزه هزاً عنيفاً) وهذا المثال والقُدوة هم القادة الرساليون.

١٠. المساهمة في نشر عنصر الجريمة، وإنشاء العصابات الاجرامية في المجتمع كعصابة (أبو طبر) و(أبو موس)^{٥٤}، وفسح المجال أما من يسمون ب(الشقاوات)^{٥٥}

٥٣ - ينظر المصدر نفسه.

٥٤ - يروي إن شخصية السفاح (أبو طبر) ظهرت في فترة (١٩٧٢ و ١٩٧٣) وبتخطيط من المخابرات العراقية لتنفيذ عدد من الاغتيالات والاعتقالات لعدد من الشخصيات السياسية المعارضة لنظام حكم البعث وخصوصاً إنها جاءت بعد فترة من حادث الانقلاب الفاشل الذي تزعمه السفاح ناظم كزار مدير الأمن العام، للإطاحة بنظام حكم البكر وصدام، ما دعا غالبية

لممارسة دورهم التخريبي في المجتمع، وإزعاج العوائل وإذائهم من خلال تصرفاتهم الهوجاء والعدوانية، ف(حاول النظام طيلة عقد الثمانينات مسخ وتشويه الأخلاق في هذا الحي (أي مدينة الثورة والذي سمي فيما بعد بمدينة الصدر) الذي يعد من أكبر التجمعات السكانية في العراق، فانتشرت فيه مظاهر انحلال الشباب وكثرت فيه ظاهرة (الشقاوات) ولا يكاد يخلو قطاع أو شارع منهم وكانوا يفرضون وجودهم على الناس ويسببون الكثير من المشكلات حتى أصبحوا يشكلون خطراً على الوضع العام في الحي).^{٥٦}

١١. تربية الطلبة في المدارس الابتدائية على حُب الطاغية (صدام) كقائد رمز ورئيس محبوب، وتمجيده في الحياة الدراسية الإبتدائية، والسبب وراء التركيز على هذه المرحلة بالذات، هو لجعل الأطفال ومنذ نعومة أظفارهم ينشؤون على حب شخص (الرئيس القائد) وإطاعته، وتركيز روح الولاء له ولحزبه الحاكم، لأن الإنسان ضمن هذه الفئة العمرية يكون أكثر تقبلاً للأفكار والعادات من السن المتقدمة، ومن جملة الأساليب التي تم التخطيط لها في هذا المجال الدراسي هي:

- تطعيم المناهج الدراسية بذكر الطاغية وتمجيده وتمجيد حزبه وانجازاته، بل والقيام بتخصيص درس مستقل يثقف الطلبة في هذا الاتجاه الحزبي أطلق عليه (التربية الوطنية) أو (الثقافة القومية والاشتراكية) وهذا الدرس يستمر مع الطالب إلى المرحلة الثانوية.

المقاهي والنوادي الليلية والأسواق التجارية أن تقفل محالها في أول الليل خوفاً من مدهامة الأجهزة الأمنية وادعائها بأن السفاح متواجد في هذا المكان أو ذاك.
٥٥ - أي الفتوات.

٥٦ - قيادة الحركة الإسلامية في العراق، الشيخ عباس الزبيدي والشيخ عبد الهادي الزبيدي، ص ٣٣.

- يجب رفع الصوت بمدح الطاغية عند دخول المعلم إلى الصف، وبهتافات معينة مثل (عاش القائد صدام).
 - يجب عند ذكر أسم الرئيس تسطير جملة من الألقاب الرنانة قبل ذكر اسمه ثم الدعاء له بالحفظ والرعاية، والمباشرة بالتصفيق له بمجرد ذكره .
 - يجب وضع صورة لشخص (للرئيس القائد صدام) في كل الصفوف الدراسية بل وحتى في غرف المدراء والكوادر الدراسية، لتركيز معاني الولاء والطاعة والخضوع بشكل حسي في نفوس الطلبة والمعلمين.
 - إقامة الاحتفالات بمناسبة مولد الطاغية ومولد حزب البعث الكافر في شهر نيسان بالإضافة إلى المناسبات الأخرى المرتبطة بهما.
 - المحاول بربط الطلبة بتنظيمات شبه حزبية - لوصح هذا التعبير- خارج نطاق الدوام الرسمي للمدرسة، أطلق عليه (الفتوة) و (الطلائع) يمارسون فيه فعاليات معينة، ويكون المشرف عليها أعضاء من حزب البعث، يتم من خلالها تسميم أفكار الطلبة وإنشاء جيل يحب الطاغية وحزبه الحاكم.
١٢. تحجيم دور العشائر واستضعافها وعلى أقل التقادير تحييدها، والسعي الحثيث في ربطها ولأثياً بالسلطة من خلال دس البعثيين والعملاء بين صفوفهم واعتقال واغتيال كل الرموز العشائرية التي تتمتع بمواصفات قيادية وشعبية جيدة في الأوساط الاجتماعية، والمحاولة بفصلها عن الدين والقيم الإنسانية النبيلة، ومسح هويتها العربية الأصيلة وتقاليدها وأعرافها الحسنة والقيام باستبدال زعماء العشائر الملتزمون بالشريعة بنكرات المجتمع أو بشخصيات موالية للبعث البغيض، وكان النظام البعثي يهتم بشكل كبير بمسألة كسب ولاء العشائر والحصول على طاعتها، حتى إن الطاغية (صدام) قد عين نجله الأصغر مسؤولاً عن تنظيم العشائر لأجل هذا الموضوع، ومع ذلك لم تتمكن السلطات المتعاقبة في

حكم العراق من مسخ شخصية أبناء العشائر بالكامل حيث بقي هناك ولاء تقليدي تجاه العلماء ومراجع الدين.

١٣. إدخال الشعب في دوامة حروب إقليمية استنزافية واسعة النطاق كحرب الخليج الأولى مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي دامت ثمان سنوات فأهلكت الحرث والنسل، وحرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١ م وما نتج عنها من حصار اقتصادي مفروض من قبل الولايات المتحدة الأمريكية (وعاش الشعب العراقي بعد ضربتين طاحتين الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠ م وحرب العراق بعد اجتياح الكويت عام ١٩٩٠ م، وتأمّر النظام الحاكم في العراق وبعض حكّام الدولة العربية من أجل القضاء على تاريخ ومبادئ الشعب العراقي، حيث كانت حياته صعبة من جميع النواحي وقد فُقد فيها الأخ والأب والصديق وقد فُقد فيها استقلاله الحقيقي، خاصة بعد حرب الخليج، وقد عاش الشعب العراقي أثناء فرض الحصار على العراق ما بين عامي (١٩٩١ م - ٢٠٠٣ م) مشكلات داخلية كثيرة زادت من نسبة الفقر والجوع وافتقاد الناس لفرص العمل مما سبب بطالة كبيرة وواضحة عجزت السلطة الحاكمة عن استيعابها ومن هنا وكنتيجة طبيعية ظهرت العوامل السلبية في المجتمع فكثرت السرقة وارتفعت معدلات الجريمة بشكل سريع وملحوظ والأغلب كان يطمح في الثراء السريع والذي كان لا يحتاج إلى مقدمات فإن المطلوب هو ممارسة الغش والخداع في بيع السلع والتحايل على الناس، وهكذا أبتعد الكثير من الناس عن روح الدين والتدين وعن العلاقات الاجتماعية الرصينة والمتينة).^{٥٧}

١٤. ممارسة أسلوب التمييز العنصري على أسس طائفية وعرقية وقومية بين أفراد الشعب، لأجل إضعافهم والسيطرة عليهم، وفقاً للمبدأ الإنكليزي السيء الصيت القائل: (فرّق تُسد) وقد تُرجمت هذه السياسة الصدامية على عدة نواحي، منها:

منح الامتيازات المادية والوظيفية في الدولة للمقربين من الطاغية وأزلامه وتسندهم مناصب عالية في السلطة، وإقصاء أبناء الجنوب من الشيعة عن كل المراكز الحساسة في الدولة. وتفضيل أبناء العامة عليهم في هذا المجال وغيره، واستضعاف العشائر غير الموالية للنظام فضلاً عما لو شاركت بحركات المعارضة، وتفضيل العشائر المنطوية تحت الولاء للبعث بالمنح والهيئات المادية وتكريم رؤساءها، لضمان استمرار طاعتهم وخضوعهم للسلطة الظالمة.

المخططات اليهودية لتركيح الشعوب وتدجينها

إن لليهود حلم كبير وقديم في السيطرة على العالم وقد وضعوا لأجل تحقيق ذلك الكثير من الخطط الشيطانية كما عقدوا العديد من المؤتمرات والندوات السرية وألفوا جمعاً من الكتب ورصدوا المبالغ الطائلة سعياً وراء تحقيق هذا الحلم الشيطاني الإستكباري، والذي يتقوم على أسس شريرة عديدة أبرزها هو: استضعاف الشعوب واستعبادها، ونهب ثرواتها، وتسخر طاقتها لخدمة الدولة اليهودية العالمية المرتقبة - كما يعتقدون - ونشر الفساد بشتى أصنافه كالفساد العقائدي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيره، بالإضافة إلى إشاعة الجهل والفوضى واختلاق الحروب وافتعال الخلافات والنزاعات وأيضاً سلب الشعوب حالة الشعور بالمسؤولية وروح المقاومة والثورة ضد الظلم ونحوها من مظاهر الفساد الأخرى، وهذه المظاهر من شأنها أن تركع الشعوب وتضعفها، وتجعلها أمماً مستضعفة من قبل الدول المهيمنة على العالم، وتصبح مُدجّنة ومستعبدة وخاوية الإرادة،

لذا سنستعرض بعضاً من هذه المخططات اليهودية لأجل التنبيه لها وعدم الوقوع في شراكها، ونستشهد ببعض الوثائق والنصوص الواردة في هذا المجال ومن مصادر مختلفة، فنذكر منها على سبيل المثال ما جاء في (بروتوكولات حكماء صهيون) المنسوبة إلى بعض كبار رجالات اليهود، حيث جاء فيها:

• إننا نقرأ في شريعة الأنبياء إننا مختارون من الله لنحكم الأرض وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل .

• في أيدينا تتركز أعظم قوة في الأيام الحاضرة فإن كل الذهب الذي ظللنا نكدسه خلال قرون كثيرة جدًا لا بد أن يساعدنا في غرضنا الصحيح وهو إعادة النظام تحت حكمنا .

• إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع وهو لذلك غير راسخ على عرشه ولا بد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء وسندبر أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو صفقة مريبة. إن رئيسًا من هذا النوع سيكون منفذًا وافيًا لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير.

• يجب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة ويتحتم ألا نترك لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا .

• إنما توافق الجماهير على التخلي عما تظنه نشاطًا سياسيًا إذا أعطيناها ملاهي جديدة وسرعان ما سنبدا الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في أنواع المشروعات كالفن والرياضة وهذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتمًا عن المسائل التي سنختلف فيها معه .

• خير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية.

• إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد.

• من رحمة الله أن شعبه المختار مشنت وهذا التشتت الذي يبدو ضعفًا فينا أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية.

• سنفرض على النشر ضرائب ودمغات وتأمينات مضاعفة سيضطر الكتاب أن ينشروا كتبًا طويلة ستقرأ قليلاً بين العامة من أجل طولها ومن أجل أثمانها العالية وقبل طبع أي نوع من الأعمال سيكون على الناشر أو الطابع أن يلتمس من

السلطات إذناً بنشر العمل المذكور وبذلك سنعرف سلفاً كل مؤامرة ضدنا ونعتبر أن الكتب القصيرة أعظم سموم النشر فتكاً ونحن أنفسنا سننشر كتباً رخيصة الثمن كي نعلم العامة ونوجه عقولها في الاتجاهات التي نرغب فيها.

• لقد عينا عناية عظيمة بالحط من رجال الدين من الأميين في أعين الناس وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كئوداً في طريقنا وسنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جداً من الحياة.

• ستكون لنا جرائد صحف شتى تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية وثورية بل وفوضوية أيضاً.

• يجب أن نكون قادرين على إثارة عقل الشعب عندما نريد وتهديته عندما نريد .

• سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ونفسد أهميتها التربوية .

• إن أمنيتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسياً، نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من إظهار أعضائهم التناسلية.

• سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين - أي غير اليهود - ونفسد أهميتها التربوية.

ولما علم أولئك القوم أن سراً من أسرار قوتنا وترابطنا، واستعصاء أجيالنا على مخططات التدجين والتهوين والتهويد إنما هو إلى أولئك الأمهات العظيمات المربيات، قالوا : لا بد أن نلغي دور هذه الأم المربية ، والزوجة الراحية ، والبنت الحانية .. وأن نفسد هذه اللبنة القوية المتماسكة.

كما دأب اليهود بشكل محموم في السيطرة على الاقتصاد العالمي، وامتلاك أكبر قدر ممكن من ثروات الشعوب وخيراتهم، لأنها تعد من أهم مصادر السيطرة والقوة والهيمنة على البلدان، ولما للجانب الاقتصادي من أهمية عظمى في حياة الشعوب كما هو واضح، فكان اليهود يجمعون في مدة وجيزة ثروات طائلة نتيجة ممارساتهم التجارية غير النزبة فأصبحوا ضمن الطبقات الاجتماعية العليا عند

الشعوب بسبب ثرائهم الفاحش على الرغم من تشتت أفرادهم وتوزعهم في البلدان المختلفة، حتى أصبحت كلمة (اليهودي والتاجر مترادفتين)^{٥٨} كما اتجه المرابون والتجار اليهود بصورة لا تقاوم إلى السيطرة على التجارة التي كانوا يمتلكون بالنسبة إليها مؤهلات خاصة منها؛ تشبعهم في كل مكان وارتباطاتهم ببعض، ومنها؛ تعلقهم الشديد بالمال، وكانت التجارة في القرون الوسطى في أيديهم بصورة رئيسية ولا سيما تجارة العبيد.^{٥٩}

وقد ذكر التأريخ بأن السيطرة اليهودية على اقتصاد الإمبراطورية الرومانية أدى إلى انهيارها وسقوطها، بالإضافة إلى أن روما كانت مليئة بالفساد الأخلاقي (واستمرت السيطرة اليهودية على التجارة والمبادلات التجارية الشرعية وغير الشرعية في العصور المظلمة واشتدت وطأتها واتسع نطاقها حتى وصلت إلى درجة أصبحت فيها اقتصاديات كل بلد في أوروبا بدون استثناء في أيديهم وحدهم).^{٦٠} ومن مخططات اليهود أيضاً هو؛ (الاعتماد على دولة أو أكثر في تطبيق بعض خطط المؤامرة وخصوصاً في ما يتعلق بالحروب التي يريد زعماء اليهود افتعالها بين البشر كون تلك الدول ستقوم بالأعمال القذرة نيابة عن اليهود لأنهم لا يستطيعون القيام بها بصورة علنية).^{٦١}

كما ملأ زعماء اليهود التوراة المحرفة والتلمود والكتب اليهودية الأخرى بالنصوص التي تدفع اليهودي لأن يحتقر الناس ويستغلهم أية وسيلة، وبما أن للعقيدة تأثير كبير على سلوك الإنسان فقد أصبحت المعتقدات التي ينص عليها التوراة هي الدليل الذي ينهل منه اليهودي للتعامل مع المحيط الذي من حوله،

٥٨ - تاريخ القرون الوسطى، جامعة كامبريدج، ص ٦٤٤.

٥٩ - يُنظر الإسلام وبروتوكولات حكماء صهيون، محمد يوسف حسين الزبيدي،

٦٠ - اليهود وراء كل جريمة، وليم كار، ص ٤٧.

٦١ - الإسلام وبروتوكولات حكماء صهيون، ص ٥٠.

وقد جاء في التوراة المحرفة والكتب الأخرى نصوصاً تقر بالعنصرية والتمييز العرقي وتأسيس الاعتقاد بان اليهود هم شعب الله المختار وما سواهم من شعوب خدم وعباد لهم^{٦٢} ، وهذه بعض النصوص الواردة في هذه المجال:

- (ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل).^{٦٣}
 - (لأنك انت شعب مقدس للرب الهك اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا اخص من جميع الشعوب الذين على وجه الارض).^{٦٤}
 - (الرب انما التصق بأبائك ليحبهم فاختر من بعدهم نسلهم الذي هو انتم فوق جميع الشعوب).^{٦٥}
- وهكذا نجد في كتب اليهود ما يحتقر الشعوب ويدفعهم إلى العمل على استعبادها وإذلالها.

ولكي نقف على حجم الخطر اليهودي الذي يهدد كيان العالم عموماً والأمة الإسلامية خصوصاً، نذكر على سبيل الإيجاز عناوين بروتوكولات الصهاينة الحاقدين، لنتعرف بوضوح على مدى الهجمة الشرسة التي يخططونها ضد البشرية:

- البروتوكول الأول: نشر الارهاب والحروب والفوضى وسائر أساليب العنف.
- البروتوكول الثاني: الهيمنة على التعليم والصحافة والرأي العام.
- البروتوكول الثالث: إسقاط الحكومات وتقسيم البلدان إلى دويلات صغيرة.
- البروتوكول الرابع: السيطرة على التجارة وتدمير الدين.

٦٢ - ينظر المصدر نفسه، ص ٢٦.

٦٣ - سفر التكوين، الاصحاح ٢٧ ص ٤٣.

٦٤ - سفر التثنية، الاصحاح ٧، ص ٢٩٠.

٦٥ - سفر الأوائين، الاصحاح ٢٠، ص ١٩١.

البروتوكول الخامس: ابعاد السياسة عن مضمونها وزرع الخلافات بين جميع القوى السياسية.

البروتوكول السادس: الهيمنة على الصناعة والزراعة وترتيب واعداد احتكارات هائلة للاستيلاء على الثروات، لكي تتلاشى تلك الثروات ويتلاشى أيضاً ثقة الشعب بحكومته.

البروتوكول السابع : التحريض على الحروب العالمية بين الدول.
البروتوكول الثامن : إبعاد القوانين عن مضمونها الصحيح والنافع.
البروتوكول التاسع : بذر العملاء وتدمير الأخلاق، من خلال تغيير أخلاق الشعب الخاصة بكل أمة مهما كان تماسكه بها، حتى وأن استغرق ذلك العشرات من السنين، حتى تصبح حينها هذه الأمة خاضعة لليهود واستخدام الكلمات التحريرية البراقة كالحرية والمساواة والإخاء.

البروتوكول العاشر: انشاء الدساتير المهملة.
البروتوكول الثاني عشر: الهيمنة على النشر والصحافة.
البروتوكول الثالث عشر: تغييب الوعي لدى الشعوب من خلال محاولة الهاء الشعوب بالرياضة والألعاب والملاهي والأفلام والأغاني والرقص والمسابقات وأمور الدنيا التافهة.

البروتوكول الرابع عشر: المحاولة في إبعاد الناس عن الدين ونشر جميع أنواع اللهو وهو ما يسمى اللهو الخفة لكي يبعدوا الناس عن دينهم.
البروتوكول الخامس عشر: تنظيم الخلايا السرية والانقلابات.
البروتوكول السادس عشر: إفساد التعليم ونشر الجهل.
البروتوكول السابع عشر: التخلص من السلطات الدينية.

البروتوكول التاسع عشر: إشاعة الشغب السياسي والإعلان عن الجرائم السياسية.

البروتوكول العشرون: ركود رأس المال واغراق الدول في الديون.

كما ذكر الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية (همفر) والذي بعثته وزارة المستعمرات البريطانية . آنذاك . للتجسس: إن سكرتير وزارة المستعمرات البريطانية أخبره بالأوامر السرية لتحطيم الإسلام، نذكر أهم ما جاء في هذه الأوامر، مع شيء من التصرف في مضامينها، عسى أن ينتبه المسلمون إلى عدوهم الحقيقي:

* إثارة النزاعات والخلافات الشديدة بين القبائل والشعوب الإسلامية وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها وإثارة النزاعات فيما بينها.

* نشر الفساد الأخلاقي بين أبناء الأمة الإسلامية كالزنا، واللواط، والخمر، والقمار، والمحاولة في تمييع شباب المسلمين بناتاً وأولاداً وتشكيكهم في دينهم وتفسيد أخلاقهم عن طريق الكتب والنوادي والنشرات والأصدقاء الفاسدين.

* إشعال الحروب والثورات الداخلية والحدودية بين المسلمين وغير المسلمين وبين المسلمين أنفسهم .

* تحطيم اقتصاد البلدان الإسلامية.

* هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين والمحاولة بالاستهانة بشخصية نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) وخلفاءه وسائر رجال الإسلام.

* نشر الفوضى والإرهاب في البلاد.

ومن جانب آخر فقد عمدت الإدارة اليهودية على تحسين سمعتها أمام أنظار العالم من خلال وسائل الإعلام المتعددة لكي تخدع الحكومات والشعوب، وتظهر للرأي العام بأن إسرائيل دولة تحب السلام وتدعوا إلى الديمقراطية، حيث وظفت برامجاً إعلامية (.. تُظهر حُسن معاملتهم للعرب في فلسطين، ومساعدتهم في إيجاد

فرص العمل، أو مساعدتهم في الزراعة والفلاحة.. الخ، وهناك برامج تظهير الجيش اليهودي بصورة الجيش المتطور الذي لا يمكن قهره، مما يؤدي إلى تحطيم نفوس المشاهدين العرب، واليأس من قتال اليهود، والرضا بالواقع المر، والاستسلام لإرادة اليهود، وهناك برنامج تعرض التقدم العلمي والتكنولوجي الذي وصل إلى اليهود، وتظهر الفرق الشاسع بيننا وبينهم، وبخاصة في الصناعات العسكرية المتقدمة، ولا يخفى تأثير ذلك في انهيار نفوس المشاهدين، وتحطيمها، بل يتعدى الأمر إلى تمني طلب التعاون معهم لتطوير اقتصادنا وصناعات، وهناك برامج تظهير الجو (الديمقراطي) الذي يتمتع هذه اليهود بحيث يظهر فرق شاسع بين واقعهم وواقعنا، الأمر الذي قد يؤدي إلى أن يطمع بعض الناس أن يحكمنا اليهود بديمقراطية بدلا من حكامنا).^{٦٦}

وقد تحدث المرجع اليعقوبي في كتابه (نحن والغرب) محذراً الأمة الإسلامية من خطر المد الغربي عموماً، حيث قال: (تحدثت نظرية صدام الحضارات عن المستقبل وتندر بخطر المواجهة والحرب، وتدعو إلى الاستعداد للدفاع عن النموذج الأمريكي وعن المصالح التي يقوم عليها، وبالتالي تخصيص أموال لذلك، قد سمعنا إن ميزانية هذا العام (٢٠٠٢م) تضمنت زيادة ٤٨ مليار دولاراً على الشؤون العسكرية، وما كانوا يستطيعون إقناع شعبيهم بهذه الزيادة إلا من خلال هذه الحرب الحضارية، وتقول تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا عام ١٩٩١م: لقد قضينا على الشيوعية وبقي علينا أن نقضي على الإسلام.

وحرهم هذه على الإسلام ليست جديدة وإن تركزت اليوم وتوسعت، فمن قبل قال رئيس الوزراء البريطاني تشرشل بعدما رفع المصحف لجنوده: (انزعوا هذا الكتاب من حياة المسلمين أضمن لكم السيطرة عليهم) وقال لويس التاسع

ملك فرنسا عند هزيمته في الحملة الصليبية وإطلاق سراحه عام ١٢٥٠ مخاطباً جنده: (إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هزمتهم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكنن القوة فيهم) وقال المبشر وليم جيفورد: (متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه)^{٦٧} فهدفهم إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم وتفتيت الوحدة الإسلامية وتمزيقها، وماذا يريدون من حرهم الحالية ضد الإسلام والمسلمين؟ يقول البروفسور (ريتشارد كروسمان) المسؤول السابق لقسم الحرب النفسية في بريطانيا: (هدف هذه الحرب تحطيم أخلاق العدو وإرباك نظريته السياسية، ودفن جميع معتقداته ومثله التي يؤمن بها، والبدء بإعطائه الدروس الجديدة التي نود إعطاءها له ليصار بالتالي إلى أن يعتقد بما نعتقد به نحن)، فانظر إلى الكلمات المربعة التي اختارها: (حرب - تحطيم - عدو - إرباك - دفن) فهل نحن في مرحلة الحرب أم الإرباك أم الدفن والعياذ بالله؟.

٦٧ - جاء في هامش كتاب (نحن والغرب) تعليقاً على هذه المقولة: (فرگز على القرآن الكريم، لأنه رمز قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم وعلى مكة لأنها رمز وحدتهم ولم صفوفهم).

عالم الاجتماع (ناعوم تشومسكي)^{٦٨} واستراتيجيات التحكم

العشر بالشعوب^{٦٩}

كشف هذا العالم الأمريكي ضمن مقال له أطلق عليه (استراتيجيات التحكم والتوجيه العشر) والذي اعتمده دوائر النفوذ في العالم لأجل التلاعب بجموع الناس وتوجيه سلوكهم والسيطرة على أفعالهم وتفكيرهم في مختلف بلدان العالم. ويبدو أنّ تشومسكي استند في مقاله إلى (وثيقة سرية للغاية) يعود تاريخها إلى سنة ١٩٧٩، وتمّ العثور عليها سنة ١٩٨٦ م عن طريق الصدفة، وتحمل عنواناً مثيراً هو (الأسلحة الصّامته لخوض حرب هادئة) وهي عبارة عن كتيب أو دليل للتحكم في البشر وتدجين المجتمعات والسيطرة على المقدرات، ويرجع المختصّون أنّها تعود إلى بعض دوائر النفوذ العالمي التي عادة ما تجمع كبار الساسة والرؤساء والخبراء في مختلف المجالات عموماً المقال مثير جداً بما فيه من فضح لخطط مفزعة يمكن تلمّس تطبيقاتها العينية بوضوح في السياسة الدولية، وحتى المحليّة، وفي الخيارات الاقتصادية والتعليميّة أيضاً.

٦٨ - (أفرايم نعيم تشومسكي) هو أستاذ لسانيات أمريكي إضافة إلى أنه عالم إدراكي وعالم بالمنطق ومؤرخ وناقد وناشط سياسي. وهو أستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا والتي عمل فيها لأكثر من خمسين عاماً، إضافة إلى عمله في مجال اللسانيات فقد كتب تشومسكي عن الحروب والسياسة ووسائل الإعلام وهو مؤلف لأكثر من مئة كتاب. وفقاً لقائمة الإحالات في الفن والعلوم الإنسانية عام ١٩٩٢ فإنه قد تم الاستشهاد بتشومسكي كمرجع أكثر من أي عالم حي خلال الفترة من ١٩٨٠ حتى ١٩٩٢ م، كما صُنّف بالمرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يتم الاستشهاد بها على الإطلاق في قائمة تضم الإنجيل وكارل ماركس وغيره وقد وُصف تشومسكي بالشخصية الثقافية البارزة، حيث صوّت له كـ "أبرز مثقفي العالم" في استطلاع للرأي عام ٢٠٠٥.

٦٩ - منقول بتصرف بسيط من إحدى المواقع الالكترونية على شبكة الإنترنت.

ويجب (نعوم تشومسكي) على سؤال مفاده، كيف يؤثر الإعلام علينا نفسياً بهذا الشكل؟ من خلال بلورة عشر استراتيجيات يسلكها الإعلام الموجّه لإحداث تلك التأثيرات النفسية، وعلى الرغم من أن بعض هذه الأدوات واضحة إلى أنه لا يزال على قدر كبير من الفاعلية والتأثير على الناس، ومن وجهة نظر البعض فإن هذه الأدوات مهيمنة وتعزز الغباء، وقد استند تشومسكي في كشفه لتلك الاستراتيجيات إلى وثيقة سرية للغاية يعود تاريخها إلى مايو ١٩٧٩، وتم العثور عليها سنة ١٩٨٦، و تحمل عنوان: (الأسلحة الصّامتة لخوض حرب هادئة) وهي عبارة عن كتيب أو دليل للتحكّم في البشر السيطرة على المجتمعات، وفيما يأتي نذكر هذه الاستراتيجيات العشر التي يسلكها الإعلام المعادي للإلهاء والتحكّم في الشعوب:

١- استراتيجية الإلهاء:

حافظوا على تحويل انتباه الرأي العام بعيداً عن المشاكل الاجتماعية الحقيقية والهوه بمسائل تافهة لا أهمية لها. أبقوا الجمهور مشغولاً، مشغولاً، مشغولاً دون أن يكون لديه أي وقت للتفكير، ويقول (تشومسكي) أن عنصراً أساسياً في التحكّم الاجتماعي هو إلهاء انتباه العامة للقضايا والتغييرات الاجتماعية الهامة التي تحددها النخب السياسية والاقتصادية، من خلال تصدير كم كبير من الإلهاءات والمعلومات التافهة، وتتضمن تلك الاستراتيجية أيضاً منع العامة من الاطلاع والمعرفة الأساسية بمجالات العلوم والاقتصاد وعلم النفس والعلوم البيولوجية.

٢- اخلق المشكلة ووفر الحل:

تستخدم هذه الاستراتيجية عندما يريد من هم في السلطة أن يمرروا قرارات معينة قد لا تحظى بالقبول الشعبي إلا في حضور الأزمة التي قد تجعل الناس أنفسهم يطالبون باتخاذ تلك القرارات لحل الأزمة، وتعرف بطريقة (المشكلة – رد الفعل – الحل) من خلال اختلاق موقف أو مشكلة يستدعي رد فعل الجمهور فعلى سبيل

المثال: دع العنف ينتشر في المناطق الحضرية أو قم بالتحضير لهجمات دموية، مما يجعل الجمهور هو الذي يطالب السلطة باتخاذ إجراءات وقوانين وسياسات أمنية تُحد من حريته، أو اختلق أزمة اقتصادية للقبول بحل ضروري، يجعل الناس يفضون الطرف عن حقوقهم الاجتماعية وتردي الخدمات العامة باعتبار ذلك الحل "شر" لا بد منه.

٣- التدرج:

لتحقيق ما يمكن قبوله من تدابير عليك، يمكنك تقبله تدريجياً قطرة بقطرة، فخلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي تم فرض عدد من الظروف الاجتماعية والاقتصادية الجديدة والمختلفة بشكل جذري عن سابقتها تدريجياً، وأدت إلى ازدياد نسبة البطالة، ومراتب غير لائقة، وعدم الاستقرار، واللامركزية والتوسع في الخصخصة، ونقل الملكيات من إدارة لأخرى، والعديد من التغييرات الجذرية التي كانت ستتسبب في ثورة لو تم تطبيقها دفعة واحدة.

٤- التأجيل:

واحد من الطرق التي يتم استخدامها لتمرير قرار غير مقبول شعبياً، هو تقديمه على أنه (موجع ولكنه ضروري) فمن الأسهل أن يتقبل العامة قراراً مستقبلياً على أن يتقبلوا قراراً فورياً، وذلك لأن المجهود المطلوب من العامة لن يتم بذلك بشكل فوري، كما أن هناك اتجاه عام لديهم بأن (المستقبل دائماً أفضل) ومن الممكن أن نتجنب التوضيحية المطلوبة، وهذا يعطي مزيداً من الوقت للعامة كي يتأقلموا مع القرار وقبوله حتى يحين وقت تنفيذه.

٥- خاطب العامة كأطفال (أطفال):

إذا تمَّ التوجه إلى شخص ما كما لو أنه لم يتجاوز بعد الثانية عشرة من عمره، فإنه يتم الإيحاء له بأنه فعلاً كذلك؛ وبسبب قابليته للتأثر، من المحتمل، إذن، أن تكون إجابته التلقائية أو ردُّ فعله مفرغة من أيِّ حس نقدي كما لو أنه صادر فعلاً عن طفل ذي اثني عشر سنة، دائماً ما تستخدم معظم الإعلانات الدعائية الموجهة لعامة الشعب خطباً وحججاً وشخصيات نبهةً طفوليةً ضحلةً وسطحيةً، كما لو كان المشاهدَ طفلاً صغيراً أو معاقاً ذهنياً.

٦- استخدم الجانب العاطفي بدلا من الجانب التأملي:

استخدام الجانب العاطفي هو أسلوب كلاسيكي للقفز على التحليل المنطقي والحس النقدي للأفراد بشكل عام، فاستخدام الجانب العاطفي يفتح المجال للعقل الباطني اللاواعي لغرس الأفكار والرغبات والمخاوف والقلق والحض على القيام بسلوكيات معينة.

٧- إبقاء العامة في حالة من الجهل والغباء:

يجب أن تكون جودة التعليم المقدم للطبقات الدنيا، رديئة بشكل يعمق الفجوة بين تلك الطبقات والطبقات الراقية التي تمثل صفوة المجتمع، ويصبح من المستحيل على تلك الطبقات الدنيا معرفة أسرار تلك الفجوة - دليل (الأسلحة الصامتة لخوض حروب هادئة) وبذلك يصبح المجتمع عاجزاً عن فهم التقنيات والأساليب المستخدمة للسيطرة عليه واستعباده من قبل من هم في السلطة.

٨- تشجيع العامة على الرضا بجهلهم:

تشجيع الجمهور على أنه من الطبيعي والمألوف أن يكونوا جهلة وأغبياء وغير متعلمين.

٩- تحويل التمرد إلى شعور ذاتي بالذنب:

من خلال جعل كل فرد يشعر بأنه السبب في تعاسته وسوء حظه، وذلك بسبب قصور تفكيره وذكائه وضعف قدراته، وقلة الجهود المبذولة من جانبه، وهكذا بدلا من أن يتمرد ضد النظام، ينغمس في الشعور بالتدني الذاتي الذي يؤدي لحالة من الاكتئاب تحبط أي محاولة للفعل لديه وبدون القيام بأي فعل، لا يمكن أبدا للثورة أن تتحقق.

١٠- معرفة الأشخاص أكثر مما يعرفون أنفسهم:

أدى التقدم العلمي المتسارع، الذي شهدته الخمسون عاماً الأخيرة، إلى توسيع الفجوة بين المعرفة العامة والمعرفة التي تمتلكها النخب الحاكمة، فبفضل علوم الأحياء والأعصاب وعلم النفس التطبيقي، تمكن (النظام) من معرفة الكائن البشري جسدياً ونفسياً، فالنظام يستطيع معرفة الشخص العادي بشكل أفضل مما يعرف هو نفسه، وهذا يعني أن النظام، في أغلب الحالات، هو الذي يملك أكبر قدر من السيطرة والسلطة على الأفراد أكثر من الأفراد أنفسهم.

علماء السوء وسياسة تدجين الأمة وتجهيلها

إن من أبرز أسباب تدجين المجتمع العراقي وإصابته بالاستسلام للخنوع وعدم شهيته للمبادرة بالتغيير والإصلاح، حسب تشخيص المرجع اليعقوبي هو بسبب الفساد الذي يمارسه علماء السوء، وشرعنتهم لظلم المتسلطين، فهم أصل كل الأزمات، حيث قال (دام ظله) في وصفهم: (..فأخذوا في شرعنة ظلم الظالمين وفسادهم وطغيانهم واستئثارهم بأموال الشعب والتدمير والخراب تحت عناوين مختلفة ودعوة الناس إلى الاستسلام والرضا بالقتل والتشريد والذل والحرمان، وبحسب فطرة الناس وإيمانهم بمرجعيتهم وأنها تقودهم إلى الهدى والصلاح فإنهم يسلّمون لمواقفها بلا نقاش، تصوروا أنه حينما كان يحاسب وزير التجارة بكل شفافية وموضوعية أمام البرلمان على الفساد والتلاعب بقوت الشعب وأمام أنظار الناس وبالوثائق وأعطى الفرصة الكاملة للدفاع عن نفسه وكان الرد البائس لزملاء الوزير المهزومين أمام تلك الحجج: إن هذا استجواب لأهداف سياسية، يخرج إمام الجمعة في مكان مقدس ليردد نفس هذه الكلمة التي قالها السياسيون بدلاً من أن يصطف إلى جانب المحرومين والمظلومين والمطالبين بالعدالة ومكافحة الفساد، وهكذا يتحول حملة العلم من قادة إلى الهدى والصلاح إلى وعاظ سلاطين يتخذونهم جسراً للوصول إلى مأربهم بتطويع الشعب المغلوب على أمره، بينما كان المفروض بهم أن يوعّوا الشعب ويبصروهم بالصالحين الذين يعملون بإخلاص لخدمة الناس وإسعادهم ورفع الظلم عنهم لينتخبوهم عسى أن تكون صناديق الاقتراع باباً للتغيير نحو الأحسن).^{٧٠} وهذه الحالة الممقوتة (ابتلي بها المسلمون من غير أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بالفقهاء السائرين في ركاب السلطة والذين لا

يستطيعون الخروج عن دائرة أوامرها ورغباتها لأنهم كانوا موظفين عند السلطة ويقبضون روايتهم منها ويُعيّنون في وظائفهم بموجب قرار من الحاكم، لذا كانوا لا يملكون الإرادة في تصحيح أخطاء الحكومات ورفض ظلمها وجرائمها، وبسبب هذا فقد حُرّرت الكثير من الفتاوى لإسناد السلطة وتبرير الواقع الموجود).^{٧١}

وقد تعرّض العلماء والمراجع المصلحون وعلى مرّ التاريخ للكثير من الأذى، حالهم حال من سبقهم من الأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم) من قيل أدعياء الدين والقداسة المزيفة، ففي كل زمان هناك بلعم بن باعوراء يعادي موسى عصره، كما هناك فرعون زمانه وهامان زمانه وقارون زمانه وسامري زمانه، وعاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام) تتكرر في كل جيل ليذبح الظالمون أهل الحق في كربلاء الشهادة، وسقيفة الأمس يحييها أهلها الإنقلابيون المتلبسون بلباس الدين في كل زمان، وهذه الحقيقة أكدها لنا التأريخ عبر الأجيال المتعاقبة، وأكدها أيضاً مرجعنا اليعقوبي (دام ظله) بقوله: (إن السقيفة مفتوحة كحالة وإن انتهت كحدث أي إن النفوس الحاملة بالسلطة والجاه والاستئثار والرئاسة على العباد موجودة في كل زمان ومستعدة لأن ترتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه الاولون ولا تصغي إلى وصية القائد الحق فتترتب على مثل هذا التصرف نفس النتائج السيئة التي ترتبت على حادث السقيفة).^{٧٢} وعندما سُئل (دام ظله): هل القدسية التي يمنحها البعض لنفسه ويطالب الآخرين بمراعاتها هل لها من أساس ديني؟ أجاب قائلاً: (لا أساس لهذه الحالة في الدين بل الموجود هو العكس فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) يجالسون الفقراء والضعفاء والعبيد ويؤاكلونهم، وكان الإعرابي يدخل المسجد فيسأل أيكم محمد؟ لأن النبي (صلى الله

٧١ - يُنظر خطابات، ج ٦، ص ٣٦٩.

٧٢ - المعالم المستقبلية للحوزة العلمية، المرجع اليعقوبي (دام ظله).

عليه وآله وسلم) لم يكن يتميز بين أصحابه بمجلس أو ملابس. لكن بعض رجال الدين يصنعون حولهم هالة وقدسية انسياقاً وراء أهوائهم وأنانيتهم في الغرور والتكبر والاستعلاء واستدرار ما في أيدي الناس كالذي كان يفعله سدنة الأصنام والكهنة وغيرهم وأنا أرفض هذه المظاهر وأحاربها، وهكذا كان السيد الشهيد الصدر (قدس سره) فقد استنكر بشدة قضية تقبيل اليد ونحوها من المظاهر الزائفة، والمرجع وغيره من العلماء ورجال الدين ليسوا معصومين فليس لهم موقع أعلى من الناس، قال الله تبارك وتعالى: [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] وأنا أواصل صنع ثقافة لدى المجتمع وهي شهادة الأمة على المرجعية في موازاة شهادة المرجعية على الأمة لأن المرجع ليس معيناً بالنص من السماء وإنما وضع المشرع شروطاً وصفات لمن يستحق هذا الموقع الشريف فمن توفرت فيه رجعت إليه الأمة وإلا تركته إلى غيره ممن يجمعها. ولكن تبقى في المجتمع طبقة ساذجة جاهلة تنظلي عليها الألعيب وهذه الحالة مزمنة عبر التاريخ، وقد كان أحد أهداف الأنبياء والرسل والمصلحين فضح المتاجرين باسم الدين والذين يمارسون القيمومة على عقول الناس وحرابتهم ويستغلون أسوأ استغلال).^{٧٣}

كما عدّ سماحته ظاهرة القداسة المزيفة من أخطر القضايا التي تواجه الأمة، حيث قال (دام ظله): (كثُر في هذا الزمن مدعو الزعامات سواءً على الصعيد الديني أو السياسي أو الاجتماعي، وهي قضية خطيرة بل لعلها أخطر القضايا التي تواجهها الأمة، لأن بها صلاح الأمة وفسادها في دينها ودنياها وأخرتها، ففي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (صنfan من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل يا رسول الله ومن هما؟ قال (صلى الله عليه وآله

وسلم): الفقهاء والأمرء) .. ومن أساليب الخداع التي يتبعها الطامعون في الرئاسات التظاهر بالقداسة والابتعاد عن الدنيا، وهم إنما يتركون بعض متع الدنيا الزهيدة ليفوزوا بدنيا أهم وأوسع. وهنا رواية مهمة عن الإمام السجاد (عليه السلام) يجب أن نستفيد منها دائماً؛ روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (قال علي بن الحسين (عليه السلام) إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقته وتخاضع في حركاته فرويداً لا يغرنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانتة وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرامٍ اقتحمه. وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثروا يحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرماً. فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله. فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا أمع هواه، يكون على عقله أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتى إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ، فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد يتقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً. ولكنَّ الرَّجُلَ كُلَّ الرَّجُلِ نِعَمَ الرَّجُلِ، الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذلَّ مع الحقِّ أقرب إلى عزِّ الأبد من

العزّي الباطل، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبديد ولا تنفد، وأنّ كثير ما يلحقه من سرّائها - إن اتّبّع هواه - يؤدّيه إلى عذابٍ لا انقطاع له ولا يزول، فذلّكم الرجل نِعَمَ الرجل، فبه فتمسّكوا، وبسنّته فاقتدوا، وإلى ربّكم به فتوسّّلوا، فإنّه لا تُردّ له دعوة، ولا تخيب له طلبه. أقول (والكلام لا زال لسماحة الشيخ (دام ظلّه)): بيّن الإمام السجاد (عليه السلام) في هذه الرواية بعض أساليب المكر والخداع للوصول إلى الزعامة والرئاسة، وهي متنوعة وعديدة، ومحورها جميعاً أناس يفشلون في الوصول إلى المرتبة التي تؤهلهم لقيادة الأمة، فيبتدعون الطرق التي تستهوي العامة وتنطلي عليهم، فبعضهم يتجه إلى معارضة السلطة وحمل السلاح لمواجهتها كبعض العلويين في زمان الأئمة (عليهم السلام) وواجهوا أئمتنا بكلمات وقحة. وبعضهم يدعي الانتساب إلى الإمام المهدي (عليه السلام) مع أن مراجعة بسيطة لسجل الأحوال المدنية يكشف زيف دعواه. وبعضهم يلتجئ إلى الغيبة والاحتجاب عن الناس وإطلاق الادعاءات الغيبية. وبعض يتلفع بثياب القداسة والزهد في الدنيا لخداع الناس ويشترى ضمائر جماعة يصفون عليه أسمى الألقاب طمعاً بفتات الدنيا الذي يرميه إليهم. ناهيك بأساليب بعض أبناء مراجع الدين عند وفاة آبائهم فيبتكرون الأفكار التي تحافظ على استمرار استفادتهم من امتيازات واستحقاقات المرجعية مع وضوح أن هذه الامتيازات هي للموقع فتنتقل إلى المؤهل له، وليست لشخص المرجع حتى يرثها أبناؤه. والعجب كل العجب ليس من هؤلاء المدّعين المتقمصين ما ليس لهم، وإنما ممن يصدقهم ويتبعهم بغير دليل ولا مراجعة وفحص عن مصداقيتهم، ومع وضوح بطلان دعاوهم لتنافيها مع ما أسّسه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) من الرجوع إلى العلماء المجتهدين العاملين الذين وصفهم الحديث السابق بأنهم يشفقون على الأمة كالوالد الرحيم. لذا وصفهم الحديث الشريف بأن أشد الناس حسرة يوم القيامة

من باع آخرته لدنيا غيره، فالله الله في دينكم ولا تقعوا في فخوخ الدجالين).^{٧٤} كما أوعز (دام ظله) إلى أن من أسباب الانحراف والتغيير في الدين والتخاذل والنكوص عن الحق ومساندة الباطل، أمران، هما:

الأول: بعض رجال الدين بانقيادهم لأهواء النفس وميلهم لحب الدنيا وتزيين الشيطان وحسداهم لأهل الحق وتصديهم لمواقع ليسوا مؤهلين لها (فوسمتم غير إيلكم ووردتم غير مشربكم) حتى طُبع على قلوبهم فحرموا من التدبر في الآيات الكريمة والروايات الشريفة فأخذوا يأولونها ويحرفون معانيها.

والثاني: عامة الناس بجهلمهم وحماقتهم وسذاجتهم وميلهم إلى الدعة والراحة وتخاذلهم عن نصره من تجب طاعته وسكوتهم عن المنكر والباطل، ونعيقهم مع كل ناعق وخوضهم مع الخائضين وإسراعهم إلى الشبهات والقيال والقال وتصديق المدّعين وعدم تصحيحهم للأخطاء التي يقعون فيها وعدم توبتهم من الذنوب التي يرتكبونها. وهذه الأسباب لحصول الانحراف وابتعاد الناس عن الحق موجودة في كل زمان).^{٧٥} وقال في خطاب آخر: (إن الذين يدعون الانتساب إلى فئة شريفة ولا يلتزمون بتعاليمها هم أشد خطراً عليها من أعدائها الخارجيين لأنهم ينخرون بناءها من داخلها فلا بد من فضحهم والبراءة منهم لدفع خطرهم).^{٧٦} وهؤلاء الفاسدون قد حذّر منهم أيضاً الامام الخميني (قدس سره) حيث قال: (إن خطر المتحجرين والقشريين الحمقى في الحوزات العلمية ليس قليلاً، وعلى الطلبة الأعزاء أن لا يغفلوا لحظة واحدة عن هذه الأفاعي المخططة المرقطة). وقد حذّر أيضاً الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من هؤلاء حيث قال: (قصم ظهري رجلان من الدنيا رجل عليم

٧٤ - خطابات المرحلة، ج٧، خطاب بعنوان: (احذروا مدّعي الزعامة بغير حق).

٧٥ - يُنظر خطابات المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) تحمل هذا الدين وتحميه).

٧٦ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٢٢٧.

اللسان فاسق ورجل جاهل القلب ناسك هذا يصد بلسانه عن فسقه وهذا ينسكه عن جهله فاتقوا الفاسق من العلماء والجاهل من المتعبدين اولئك فتنة كل مفتون فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يا علي هلاك امتي على يدي كل منافق عليم اللسان) وقد جاء في الحديث القدسي: (أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ: يَا دَاوُدُ، لَا تَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِمًا مَفْتُونًا، فَيَصُدَّكَ بِسُكْرِهِ عَن طَرِيقِ مَحَبَّتِي ، أَوْلَيْكَ قُطَاعُ طَرِيقِ عِبَادِي).

ومن خلال ما تقدم نعلم بأن المرجعية التي لا تتحرك بمشروع الإسلام العظيم وإصلاح المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمهيد لدولة الإمام المنتظر (أرواحنا له الفداء) لا تصلح لقيادة الأمة ولا لنيابة المعصوم وتبقى ضمن دائرتها وهي البحث والتدريس وربما الإفتاء وقبض الحقوق الشرعية وهي ساحة ليست قليلة من المسؤولية وإثراء الحركة العلمية ، لكنها غير كافية للتصدي لقيادة الأمة، وتشهد الساحة عند تصديها خمولاً وركوداً وتراجعاً في الحركة الدينية وتجهيلاً، وقد نعت الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) هذه المرجعية بـ(المرجعية الصامتة) وبـ(الحوزة القديمة والتقليدية)، ونعت رموزها بـ(الصامتين)^{٧٧} ، كما نعتهم الإمام الخميني (قدس سره) بـ(المتحجرين)، وبـ(المتدينين القشريين)^{٧٨} ، أما المرجع

٧٧ - ينظر خطب صلاة الجمعة للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره).

٧٨ - ذكر كتاب (الكلمات القصار مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني (قدس سره)) . صفحة ١٠٦: (لقد وجهت للإسلام ضربة من قبل المتدينين القشريين لم توجه مثلها من قبل أية طبقة أخرى، والمثال الواضح على ذلك مظلومية وغربة أمير المؤمنين (عليه السلام) الواضحة في التاريخ). وقال (قدس سره) في موضع آخر: (إن خطر المتحجرين والقشريين الحمقى في الحوزات العلمية ليس قليلاً ، وعلى الطلبة الأعماء أن لا يغفلوا لحظة واحدة عن هذه الأفاعي المخططة المرقطة. وقال (قدس سره) في موضع آخر: (إن الضرر الذي ألحقه العلماء غير المتقين بالإسلام قد يفوق ما ألحقه به الناس العاديون). كما حث على تحصين الحوزة وعدم إفساح المجال أمام -

اليقوي فقد عبّر عن هذه المرجعية بـ(المرجعية الفردية) وشيها بـ(الأم غير الحنونة) مع أولادها.^{٧٩}

وربما اعتقد البعض إن المرجعية التي تدخل نفسها في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الأمة وتشخص المشكلات وتضع الحلول والبدائل وتمارس النشاطات المختلفة في الحوزة هي مرجعية ليست دينية بل مرجعية سياسية وهي أقل شأنًا وكفاءة من المرجعية الدينية ، لذا حاول سماحته (دام ظله) إزالة هذا اللبس عن أعين الناس الذي يريد البعض تعميقه في أذهانهم ليعتاشوا على سذاجتهم وجهلهم ، حيث قال (دام ظله): (لا توجد مرجعيات دينية وأخرى سياسية في ضوء الدور المهم الذي تؤديه المرجعية في حياة الأمة امتداداً لدور المعصومين (عليهم السلام) فالمرجعية واحدة، كما توجد العديد من الأساليب الأخرى التي اتبعتها مدعو القداسة الدينية المزيفة والتي أضرت بحال المصلحين خصوصاً والمجتمع عموماً، نذكر جملة منها، وهي كالاتي:

١. تشويه صورة المصلحين الذين يحاولون تغيير الواقع الفاسد والهجوم ضدهم بجملة شعواء مسعورة من خلال التسقيط والافتراء، وممارسة سياسة الإقصاء والتميش لدورها في المجتمع ونحوها من الأساليب الشيطانية. فإذا أحس سدنة القداسة الفاسدة بأن هناك من يريد أن يسحب بساط شعبيتهم ومقبوليتهم لدى الناس عمدوا بالكيد له، وتسقيطه حوزياً واجتماعياً، وإذا اقتنع الناس بعالم مصلح ما وراحوا يلتفون حوله، فإنهم لا يتورعون عن الكذب والغيبة والافتراء والبهتان للانتقاص منه، لكي يقتلوا شخصيته معنوياً، وهي أعظم من قتل

ما أسماهم بـ المتحجرين من العلماء المتظاهرين بالقداسة الذين يروجون لأفكار تدعو للخنوع والباطل وعدم الثورة عليه . ينظر كتاب الإمام الخميني الفكر والثورة، صفحة ١٠٠.

٧٩ - ينظر كتاب (الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين) للمرجع اليقوي .

الشخص مادياً [وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ] وقد ورد في تفسير قوله تعالى [وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ] أي يكذبونهم ويستهزئون بهم ويحاولون إماتة دعوتهم وتنفير الناس عنهم. قال المرجع اليعقوبي (دام ظله): (ورد في تفسير قوله تعالى: (ويقتلون النبيين) عن الإمام (عليه السلام) إن ذلك بتحريف تعاليمهم وتمييع دعوتهم وعزلهم عن مؤيديهم، وتشويه صورتهم في أعين الناس، وهو أسلوب أخطر في القضاء على الدعوات الإصلاحية وعلى المصلحين من القتل الجسدي الذي يصنع من الضحية بطلاً شعبياً تلتف الجماهير حوله وتزداد إعجاباً به وأخذاً بأفكاره) وقال (دام ظله) أيضاً في بيان موقف بعض الجهات الدينية مع السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) ومن نهضته الإصلاحية: (كان موقف (الأوساط الدينية داخل الحوزة وخارجها) سلبياً ومعادياً واتخذ أشكالاً متعددة من الأساليب الخبيثة.. وليست الأسباب (في ممارسة ذلك) إلهية صحيحة طبعاً، ولو كان هدف الجميع مخلصاً لله تبارك وتعالى لاتحدوا واجتمعوا على طاعته، أما الجهات الدينية فلأنها ترى في مرجعيته الصاعدة والأخذة بالاتساع مزاحماً لسلطتها التي تعتقد أنه حق خالص لها، وبهذا الصدد قال بعض ذيول إحدى المرجعيات: (مالهم ينازعون الناس سلطانهم) أي ما للسيد الصدر (قدس سره) ينازع الناس الذوات الذين يجب أن تبقى المرجعية منحصرة فيهم هذا السلطان؟ وهذه نظرة أنانية جاهلية استعلائية قديمة، فقد كان الأمويون المحققون بالخليفة الثالث يرون فيء المسلمين حقاً خالصاً لهم وأنه بستان قريش لا يجوز لأحد منازعتهم فيه، وأن السلطة قميص ألبسهم الله تبارك وتعالى وإياه وغيرها، أما نظرة الشريعة فإن المرجعية مرتبة شريفة لها شروط فمن توفرت فيه كان أهلاً لها مهما كان جنسه وقومه).^{٨٠} وقال أيضاً (دام ظله): (من السنن الجارية في الأمم عبر التاريخ تعرّض المصلحين

والعاملين الرساليين وعلى رأسهم الأنبياء والرسل والأئمة المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) إلى الإيذاء المادي والمعنوي من قبل المتسلطين والطواغيت وأصحاب النفوذ (الذين يسميهم القران بالملاء) وأتباعهم من الجهلة والمنتفعين والغوغاء [مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ]، (وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً) ويبيدي الله تبارك وتعالى على لسان أوليائه الحسرة والألم والتفجع لهذا الموقف السلي [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] ويحكي القران الكريم فصلاً عديدة من هذه المواجهة تضمنت أقسى ألوان البطش والقسوة والانحطاط من قبل المعسكر الآخر وأسمى ألوان الصبر والمصابرة والجهاد والرحمة والشفقة من أولياء الله وعباده الصالحين، ورغم أن الإيذاء المادي المشتمل على القتل والتشريد والتعذيب الجسدي والسجن والتجويع وغيرها كان قاسياً إلا أن ما يؤلم الصالحين أكثر هو الإيذاء المعنوي بالإعراض عن الاستماع إلى الحق وإتباعه وخلط الأوراق على الناس بالافتراء والكذب وقتل الشخصية بالتسقيط والتشويه لان الثاني هو الذي يحول دون نجاح مشروعهم الرسالي ويضع الحواجز بينهم _ أي المصلحين _ وبين الناس فيؤلمهم ابتعاد الناس وعدم اهتمامهم إلى الحق وتنعمهم بالرحمة التي جاؤوهم بها من ربهم [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] أما الأول فإنه يؤدي إلى التعاطف معه والالتفاف إليه واعتناق مبادئه ولو بعد حين للشعور بمظلوميته، ومما يزيد في شدة وطأة الإيذاء المعنوي أن أتباع نفس الرسل والمصلحين يساهمون فيه عن علم وعمد أو عن جهل وغرور وأنانية بسوء تصرفهم وبعضياتهم وعدم الالتزام بتعاليم قادتهم وبضعفهم وتشتتهم والخلافات بينهم ونحوها، بينما لا يتوقع صدور النوع الأول من الأتباع والموالين).^{٨١}

٢. إِدعاء الزعامة بغير حق وتقمص رداء القداسة المزيفة، التي تُسكِر عقول البعض، وتكميم أفواه الآخرين، فإن المكر المستخدم لتحصيل المواقع الدينية المقدّسة.. ما تقوم به بعض الجهات المتنفّذة بصناعة الزعامة التي يريدون ويسوّقونها الى الاتباع والمريدين الذين لا يتمكنون من المناقشة والتأمل لطول سياسة التجهيل المتبعة معهم ولأنهم أوهموهم بأن في ذلك خروجاً عن الدين ونحو ذلك فيسلّمون بالنتيجة وهذه أخطر حالات المكر التي تتعرض لها الأمة وهي راضية بحالها مستسلمة للأغلال التي كبلّوها بها ولا تسمع إلى العلماء المخلصين العاملين الواعين).^{٨٢} وقال سماحة الشيخ المرجع اليعقوبي أيضاً: (من أساليب الخداع التي يتبعها الظالمون في الرئاسات التظاهر بالقداسة والابتعاد عن الدنيا، وهم إنما يتركون بعض متع الدنيا الزهيدة ليفوزوا بدنيا أهم وأوسع، وهنا رواية مهمة عن الإمام السجاد (عليه السلام) يجب أن نستفيد منها دائماً؛ روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (قال علي بن الحسين إذا رأيت الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقته وتخاضع في حركاته فرويداً لا يغرّنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرامٍ اقتحمه وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرّنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرماً فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرّمكم حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرّمكم حتى تنظروا أمع هواه، يكون على عقله أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحلّلة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتى إذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنّم ولبيس المهاد،

فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد يتقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً ولكنّ الرجل كلّ الرجل نِعَمَ الرجل ، الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأنّ كثير ما يلحقه من سرّائها - إن اتّبِعَ هواه - يؤدّيه إلى عذابٍ لا انقطاع له ولا يزول، فذلّكم الرجل نِعَمَ الرجل، فبه فتمسّكوا، وبسنّته فاقتدوا، وإلى ربّكم به فتوسّلوا، فإنّه لا تُردّ له دعوة، ولا تخيب له طلبه) أقول (والكلام لازال لسماحته (دام ظله)): بيّن الإمام السجاد (عليه السلام) في هذه الرواية بعض أساليب المكر والخداع للوصول إلى الزعامة والرئاسة، وهي متنوعة وعديدة، ومحورها جميعاً أناس يفشلون في الوصول إلى المرتبة التي تؤهلهم لقيادة الأمة، فيبتدعون الطرق التي تستهوي العامة وتنطلي عليهم، فبعضهم يتجه إلى معارضة السلطة وحمل السلاح لمواجهة كيبعض العلويين في زمان الأئمة (عليهم السلام) وواجهوا أئمتنا بكلمات وقحة، وبعضهم يدعي الانتساب إلى الإمام المهدي (عليه السلام) مع أن مراجعة بسيطة لسجل الأحوال المدنية يكشف زيف دعواه، وبعضهم يلتجئ إلى الغيبة والاحتجاج عن الناس وإطلاق الادعاءات الغيبية، وبعض يتلفع بثياب القداسة والزهد في الدنيا لخداع الناس ويشترى ضمائر جماعة يضيفون عليه أسمى الألقاب طمعاً بفتات الدنيا الذي يرميه إليهم، ناهيك عن أساليب بعض أبناء مراجع الدين عند وفاة آبائهم فيبتكرون الأفكار التي تحافظ على استمرار استفادتهم من امتيازات واستحقاقات المرجعية مع وضوح أن هذه الامتيازات هي للموقع فتنتقل إلى المؤهل له، وليست لشخص المرجع حتى يرثها أبناؤه، والعجب كل العجب ليس من هؤلاء المدّعين المتقمصين ما ليس لهم، وإنما ممن يصدقهم ويتبعهم بغير دليل ولا مراجعة وفحص عن مصداقيتهم، ومع وضوح بطلان دعاواهم لتنافيها مع ما أسسه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) من الرجوع إلى

العلماء المجتهدين العاملين الذين وصفهم الحديث السابق بأنهم يشفقون على الأمة كالوالد الرحيم، لذا وصفهم الحديث الشريف بأن أشد الناس حسرة يوم القيامة من باع آخرته لدنيا غيره، فالله الله في دينكم ولا تقعوا في فخوخ الدجالين).^{٨٣}

٣. الهيمنة على القرار الديني، والمحاولة المحمومة بالتمسك والتشبث بكرسي الزعامة الدينية حتى وإن كانوا غير مؤهلين له علمياً أو صحياً، وعدم فسح المجال للآخرين بالتصدي لخدمة الدين والمسلمين، وهذه الصفة الذميمة التي يتصف بها علماء السوء دعت مرجعنا اليعقوبي بينهم ويحذرهم من ضررها على الدين حتى إنه (دام ظله) راح يشيد بموقف بابا الفاتيكان الذي تنازل عن منصبه بسبب تقدمه بالعمر، وسوء حالته الصحية، حيث قال (دام ظله): (هذا موقف كبير ينم عن شعور بالمسؤولية تجاه الموقع الذي هو فيه، والمفروض أن تكون كل المرجعيات الدينية والقيادات السياسية الحاكمة هكذا، أما التشبث بالموقع حتى لو بلغ به العمر عتياً، ويصبح وجوده كعدمه، ولا يعي ما حوله، ولم يعد قادراً على مجارة تحديات عصره والقيام بمسؤولياته التي يتطلّبها موقعه لا التي هو قرّرها لنفسه، فهذه حالة بائسة ومتردّية، وسيصبح عقبة في طريق الإصلاح، لأنّ عملية الإصلاح والتغيير تمرّ عبر مصادر القرار، فإذا كان مصدر القرار عاجزاً فسوف تتوقف هذه العملية، وهذا واحد من الأسباب التي أدّت إلى ما نحن فيه من التردّي والفوضى والظلم وضياع الحقوق).^{٨٤}

٨٣ - خطاب المرحلة، ج ٧، بعنوان: (احذروا مدّعي الزعامة بغير حق).

٨٤ - خطابات المرحلة، ج ٨، خطاب بعنوان: (على المرجعيات الدينية والقيادات السياسية أن تتنازل لمن هو أكفأ).

٤. محاولة إفشال النشاطات والمشاريع التي تحاول المرجعية الرشيدة انجاحها أو ابتكارها لخدمة الدين والمجتمع، لأن الجهات المقابلة ترى في وجود المصلحين يسبب ضرراً على مصالحهم ويقلل من شعبيتهم عند الناس.

٥. ممارسة سياسة تجهيل الأمة وتسطيح عقولهم، لأن الجاهل يسهل قياده، ولا يرفع عقيرته في وجوههم ليُشكل عليهم أو يحاسنهم ونحو ذلك، ولا يذكرون للناس وظائف ومسؤوليات المرجع بل يذكرون وظائف المكلف فقط، وهذا يخالف صفة (المرجعية الحركية الواعية التي تمثل الامتداد الحقيقي للأئمة (سلام الله عليهم) التي تمتاز بالصراحة والشفافية في التعامل مع الأمة والعمل على رفع مستوى الوعي والمعرفة والبصيرة لديها بعكس المتقمصين لهذا الموقع الشريف فإنهم يرون استمرار وجودهم بإبقاء الأمة على حالة السذاجة والجهل والتخلف ليستطيعوا تضليلها وخداعها بالهالة المقدسة التي يصطنعونها).^{٨٥}

٦. سرقة الانجازات والمشاريع التي أشارت لها المرجعية الصالحة أو حثت على تفعيلها، لكي تحسب لصالحهم وتزيد من شعبيتهم ومقبوليتهم من قبل عامة الناس.

٧. ممارسة أسلوب الخداع والكذب والضحك على الذقون - كما يقال - من خلال إسكات صيحات الاعتراض إذا منا صدرت من المجتمع بواسطة الأساليب التخديرية عن طريق إصدار الوعود الكاذبة بالإصلاحات والتوصيات الشكلية التي تصدرها المؤسسة الدينية للجهات الحاكمة ونحوها من القرارات التي يظن الشعب بانها جادة وستغير واقعه نحو الأفضل مما يؤدي خدر الهمة وضمور العزيمة في التحرك ضد المسؤولين الفاسدين.

٨. عدم تولي شؤون الأمة وترك حبلها على غاربها في الكثير من شؤونها المهمة، لكي تقرر هي مصيرها بنفسها وعدم التدخل لحل مشكلات الأمة حفاظاً على سمعتها ومصالحها، وهم بذلك يصبحون قدوة سيئة، حيث سيتخذهم الناس أسوة في الإنعزال عن الإصلاح وممارسة الانكماش الاجتماعي وعدم التدخل لحل مشكلات الناس والتصدي لمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الصفة قد (دأبت عليها مرجعيات كثيرة على مدى قرون ومقلدوهم من الإنزواء والانكماش والسلبية والعزوف عن العمل بالآليات الممكنة لإيجاد بيئة مشجعة على الدين والصالح فإنه تقصير غير مبرر وله عواقب وخيمة فلا بد من استثمار كل فرصة لإيجاد هذه البيئة بل صنع الفرصة لها وليس انتظارها لاستثمارها).^{٨٦}
٩. التسلط على رقاب الناس، وجعل المجتمع في حالة مستمرة من الاحتياج لهم، والحرص على إبقاء الناس كالعبيد والاتباع المطيعين الخانعين، يقدسونهم ويلعقون قصاعهم، ويمنعونهم من حالة الاكتفاء الذاتي والانتعاش الاقتصادي.
١٠. شراء الذمم والضمان، والتركيز على الشخصيات المرموقة من الناحية الحوزوية والعلمية والاجتماعية والسياسية لكي يكونوا تبعاً لهم وأبواقاً إعلامية تنفخ في هالة القداسة المزيفة التي يصطنعونها لأنفسهم.
١١. ممارسة التقية من عوام الناس، ومجاملتهم والتحرز من إغضابهم طلباً لرضا العامة حتى وإن أدى ذلك للإخلال بالمصلحة الإسلامية، ومخالفة بعض الضوابط والمتبنيات الفقهية التي يؤمنون بها، وفي الحقيقة إن هذا نوع من أنواع التدجين والاستضعاف المتبادل الذي هو في واقعه استضعاف من قبل الأهواء النفسية طلباً للسمعة والجاه والرئاسة والتسلط على الآخرين (إن فساد العلماء لا يتمظهر بشرب الخمر وممارسة الزنا ونحو ذلك فإنهم لا يفعلون ذلك حفاظاً على مكانتهم

الاجتماعية وإنما بحيمم الدنيا والتملق لأهلها والصراع على الجاه والزعامة ومجاملة أهل الباطل وكتمان الحق والبغي والحسد والتكبر والتعالي وتغليب أنانياتهم والتخلي عن مسؤولياتهم في إقامة الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَةَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وعدم الانفتاح على الناس والاستماع الى همومهم وقضاء حوائجهم ومساعدتهم وانصافهم فيما لهم وما عليهم، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (اعرفوا.. أولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل الاحسان)).^{٨٧} وقال (دام ظله) في خطاب آخر حول نفس هذا الموضوع: (فقهاء الشيعة وإن لم يُبتلوا بمسايرة السلطة بفضل هذا التخطيط المبارك أو لأن السلطة لم تقع بأيديهم ولو وقعت لما اختلفوا كثيراً عن علماء العامة كالذي نشهده اليوم حيث ذاب جملة منهم في مصالح مع الحكومات التي أخذت منهم المشروعية وساقوا الناس لتأييدهم فخلّفوا وراء ظهورهم المبادئ والوظائف الإلهية وعلى رأسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى صار العراق يتصدر دول العالم في الفساد.. إن فقهاء الشيعة وإن لم يتعرضوا لفتنة السير في ركاب السلطة إلا أنهم ابتلوا بشيء آخر وهو مسايرة عوام الناس باعتبارهم يمثلون القواعد الشعبية ومصدر التمويل التي تؤسس للزعامة، فراحوا يحسبون ألف حساب قبل بيان موقف أو إصدار حكم فيه إغضاب لهؤلاء العوام خوفاً من تحولهم عن تقليدهم واتباعهم، ومن الشواهد على ذلك الموقف من قضية التطبير في عاشوراء فبالرغم من أن جملة منهم يرى حرمة لإضراره بالبدن ولجلبه منقصة على الدين إلا أنه لا يجرؤ على التصريح بموقفه هذا ويعترف بأنه لا يملك الشجاعة لاتخاذ مثل هذا الموقف، لذا كان من أهدافنا في بيان موقفنا بكل صراحة هو بعث الشجاعة في نفوس العلماء وتحرير فتاواهم من مدهانة

العوام ومسايرة أهوائهم، وإلا فإن المسؤولية عظيمة أمام الله تبارك وتعالى [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ].^{٨٨} وقال (دام ظله) أيضاً: (إن السكوت عن الانحراف يؤدي إلى توسعه وانحداره أكثر فأكثر، وإن المؤدّين للشعائر بعواطف مخلصّة وصادقة وبفتاوى مرجعية يحظون بحبنا واحترامنا، وانما ننكر فعل من يتاجر بقضية الحسين (عليه السلام) حتى حوّلها إلى دكاكين يستدرّ بها الدنيا، واني أشفق على البعض حينما أراه مهووساً على المنبر ويدعو بحركات مبالغ فيها إلى الإصرار على فعل بعض الطقوس المبتدعة لأغراض يعلمها الله تبارك وتعالى.. إننا نخشى أن يتحول ديننا إلى دين عوام يحتوي على تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان يفتي بأحكامه منشدو المراثي الحسينية).

١٢. التظاهر بالقداسة المزيفة وتوظيف بعض الأبواق الإعلامية المضلّة التي تصنع لهم هالة كاذبة من القداسة تجرّ لهم المزيد من التبجيل والهيبة المصطنعة، وإن نجاحهم في هذا المكر راجع أيضاً إلى سذاجة الناس وقلة وعيهم، لذا قال مرجعنا اليعقوبي منياً على هذه الأساليب الخطيرة، وأرشد إلى كيفية التعرف على الشخصية الصادقة: (من أساليب الخداع التي يتبعها الطامعون في الرئاسات التظاهر بالقداسة والابتعاد عن الدنيا، وهم إنما يتركون بعض متع الدنيا الزهيدة ليفوزوا بدنيا أهم وأوسع، وهنا رواية مهمة عن الإمام السجاد (عليه السلام) يجب أن نستفيد منها دائماً؛ روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (قال علي بن الحسين إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقه وتخاضع في حركاته فرويداً لا يغرنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانتة وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرامٍ اقتحمه وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم،

فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثُر ويحمل نفسه على شوءاء قبيحة فيأتي منها محرماً. فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغركم حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله. فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغركم حتى تنظروا أمع هواه، يكون على عقله أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتى إذا قيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ، فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحلَّ الله لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد يتقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً ولكنَّ الرَّجُلَ كُلَّ الرَّجُلِ نِعْمَ الرَّجُلُ ، الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذلَّ مع الحقِّ أقرب إلى عزِّ الأبد من العزِّ في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرئها يؤدِّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأنَّ كثير ما يلحقه من سرئها - إن اتبع هواه - يؤدِّيه إلى عذابٍ لا انقطاع له ولا يزول، فذلکم الرجل نِعْمَ الرجل، فبه فتمسكوا، وبسنَّته فاقتدوا، وإلى ربِّكم به فتوسلوا، فإنه لا تُردُّ له دعوة، ولا تخيب له طلبية)^{٨٩}، وقال (دام ظله) أيضاً: (إن معركة التأويل هي المعركة الأصعب التي تزلَّ فيها الأقدام وتضلَّ فيها العقول لأنَّ الخصوم يلبسون نفس الثوب أي ثوب الدين ويدعون لأنفسهم نفس الهالة من العناوين والألقاب والمقدَّسة، وكلُّ يدعي وصلاً بصاحب الرسالة

والمشروع، ويضفي على حركته المشروعية ويستدل على أحقيته من نفس المصادر، فهناك تختلط الأوراق وتعصف الفتن وتكثر الشبهات^{٩٠} وجاء في خطاب آخر له (دام ظله): (إننا مبتلون في هذا الزمان وفي كل زمان بأدعياء العناوين الكبيرة كذباً وزوراً ليطلبوا بها الدنيا وليخدعوا السذج والجهلة والمهوسين، وأذكر من هؤلاء أصحاب الدعوات المرتبطة بالإمام المهدي الموعود (عليه السلام) والسياسيين الذين يحملون اللافتات الإسلامية).^{٩١} وقد سئل سماحته هل القدسية التي يمنحها البعض لنفسه ويطلب الآخريين بمراعاتها هل لها من أساس ديني؟ فأجاب (دام ظله) قائلاً: (لا أساس لهذه الحالة في الدين بل الموجود هو العكس فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) يجالسون الفقراء والضعفاء والعبيد ويؤاكلونهم، وكان الإعرابي يدخل المسجد فيسأل أيكم محمد؟ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يتميز بين أصحابه بمجلس أو ملابس لكن بعض رجال الدين يصنعون حولهم هالة وقدسية انسياقاً وراء أهوائهم وأنانيتهم في الغرور والتكبر والاستعلاء واستدراهما في أيدي الناس كالذي كان يفعله سدنة الأصنام والكهنة وغيرهم وأنا أرفض هذه المظاهر وأحاربها، وهكذا كان السيد الشهيد الصدر (قدس سره) فقد استنكر بشدة قضية تقبيل اليد ونحوها من المظاهر الزائفة، والمرجع وغيره من العلماء ورجال الدين ليسوا معصومين فليس لهم موقع أعلى من الناس، قال الله تبارك وتعالى [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] وأنا أواصل صنع ثقافة لدى المجتمع وهي شهادة الأمة على المرجعية في موازاة شهادة المرجعية على الأمة لأن المرجع ليس معيناً بالنص من السماء وإنما وضع المشرّع شروطاً وصفات لمن يستحق هذا الموقع الشريف فمن توفرت فيه

٩٠ - خطابات المرحلة، ج ٨، خطابا بعنوان: (أسبوع أمير المؤمنين ومعركة التأويل).

٩١ - خطابات المرحلة، ج ٧، خطاب بعنوان: (لا تُقبل الدعوى إلا بدليل).

رجعت إليه الأمة وإلا تركته إلى غيره ممن يجمعها ولكن تبقى في المجتمع طبقة ساذجة جاهلة تنطلي عليها الألاعيب وهذه الحالة مزمنة عبر التاريخ، وقد كان أحد أهداف الأنبياء والرسل والمصلحين فضح المتاجرين باسم الدين والذين يمارسون القيمومة على عقول الناس وحرقاتهم ويستغلون أسوأ استغلال طاعة الناس للمرجعية).^{٩٢}

١٣. السكوت عن الباطل المستشري في الأروقة السياسية، ومجاملة الظالمين والسراق والمتلاعبين بثروات الشعب، وشرعنة عمل بعض السياسيين المفسدين، لأن إبداء الرأي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصراحة ووضوح مع أي جهة من الجهات، سوف يخلق لهم أعداء ومناوئين ومعارضين وهم في سياستهم المتبعة يحاولون على الدوام البقاء على الحياد وفي حالة وسطية لا تززع علاقتها مع أحد لأجل الحفاظ على مكانتها وقدسيتها ومصالحها الشخصية الدنيوية، لذا يؤثرن مصالحهم ويعطلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسكتون عن الكثير من المفسد والانحرافات المستشرية في جسد الأمة، ويعيشون حال من الكسل والتقصير في أداء المسؤولية الملقاة على عاتقهم في توعية الناس وارشادهم، وقد شخّص المرجع اليعقوبي (دام ظله) بأن فساد المجتمع إنما هو بفساد علمائه الذي يمكن تصوره على شكلين:

الأول: التقصير في أداء المسؤوليات من ارشاد الأمة وتوجيهها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو الضامن لسلامة الأمة من الانحراف (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)، (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وقد اتبَّ الله سبحانه العلماء على هذا التقصير بقوله (لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ

عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وقد حذر القرآن الكريم من خطر ترك هذه الفريضة المهمة في مواضع عديدة.

الثاني: انحراف رجال الدين المتصدين للمجتمع وتغير نواياهم واهدافهم من ربانية مخلصه إلى دنيوية محضة وحب الدنيا رأس كل خطيئة وباب المفسد والشورر فيستشري الطمع والاثرة والحسد والبغضاء والخلاف والقطيعة والكيد والمكر وتنشأ هوة بعيدة بينهم وبين الامة فتضل الامة بضلالهم وقد قيل (اذا فسد العالم فسد العالم) وهذه هي الطامة الكبرى حين ينعدم الاخلاص فتتنصم العروة الوثقى وهي حبل الامداد والتوفيق الالهي. وقد اكد الائمة على اجتناب مثل هؤلاء ونبذهم وعزلهم، فعن الامام الصادق (عليه السلام): (اذا رأيتم العالم محبباً لديناكم فاتهموه على دينكم، فان كل محب لشيء يحوط ما أحب) كما يرى سماحة الشيخ (دام ظله) إن نجاة الأمة على يد العلماء العاملين والسعادة والنجاة لا تتحقق بالقعود والكسل والاكْتفاء بتعاطي المصطلحات العلمية، وإنما تتحقق بالعمل الدؤوب ورصد الثغور التي يتسلل منها شياطين الإنس والجن ليثيروا الشبهات والفتن والفساد، وليحرفوا مسيرة الأمة عن صراطها المستقيم الذي حدده لها الله تبارك وتعالى، وفي ذلك قال إبليس: [قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ].. إن الله تبارك وتعالى ذم المتقاعسين المتواكلين الذين لا يريدون أن يقدموا جهداً أو توضحية وينتظرون من الغير إنجاز العمل وينشغلون هم بالتشكيك والاعتراض، ولقد ذكر الله تبارك وتعالى مثالا لهم من قوم موسى [يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ] لكن الله تبارك وتعالى أثنى على

المبادرين إلى العمل المستجيبين لأوامر نبيهم [قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] فكانت عاقبة التخاذل والتمرد والتشكيك التيه جيلاً كاملاً حتى استبدل بهم زهم غيرهم [قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]، لذا فإننا بحاجة إلى بذل المزيد من الجهود لنهض بهذه المسؤوليات الإلهية.^{٩٣}

١٤. عدم النهوض بواقع الحوزة العلمية أو بواقع البلاد والبقاء في خانة الركود والكسل. ويرى (دام ظله) إن من أسباب عدم نهوض المرجعية بالمجتمع إلى مستوى أفضل مما هو عليه خلاف الحقبة الزمنية الماضية؟ يرجع ذلك إلى عاملين ذاتي وموضوعي، والذاتي هو القصور والتقصير لدى المتصدي للمرجعية نفسه. وبالموضوعي، الظروف المحيطة به فعلى صعيد الأول تستطيع ان تستقرأ عدة نقاط:

- ١- غياب الحس الاجتماعي والوعي الحركي.
- ٢- تركزالانانية وحب الذات.
- ٣- قلة الثقافة العامة.
- ٤- عدم مواكبة العصر والانفتاح على مستجداته.
- ٥- عدم الاحتكاك بالناس وانما تجده ينطلق من محبسه بين الكتب إلى قمة هرم المرجعية.
- ٦- احاطة نفسه بحاشية تبحث عن مصالحها لا ورع لهم بل ولا دين مع قلة البصيرة.

٩٣ - ينظر خطابات المرحلة، ج ٦، خطاب بعنوان: (الحوزة العلمية وأداء شكر النعمة).

- ٧- عدم فهم واستيعاب مسؤولية الموقع الذي يتصدون له فيخلطون بين فهم المرجعية كموقع علمي وفهمها كموقع قيادي.
- ٨- عدم القدرة على تشخيص الداء ومن ثم العلاج.
- ٩- عدم الاستفادة من تجارب القادة والمصلحين وعلى رأسهم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

١٠- التفكير الفردي في عمل المرجعية وعدم تحولها إلى مؤسسة ثابتة، فيبدأ كل منهم مستقلاً عن الآخر ومن الصفر بدلاً من تكاتف الجهود وتضافرها... إلخ).^٤ وبما إن هؤلاء المتلبسين بزي الدين والقداسة المزيفة يتمتعون بحظوة عند شريحة كبيرة من عامة الناس، وشعبية عريضة في أوساط أبناء الأمة، لذا أنتج هذا الأمر مسألتين:

الأولى: الهيمنة على القرار الديني الذي من شأنه إصلاح حال البلاد، وتغيير الأوضاع السياسية والمصيرية فغالبية الشعب يسمع لهم ويطيع، ولهم تأثير كبير على المسؤولين في الدولة.

ثانياً: راح الناس يقتدون بهم في بعض سلوكياتهم وجعلوهم قدوة سيئة لهم، كالقبول بحالة الذل والهوان، وعدم الاعتراض على الظلم وعدم التدخل بالسياسة وتعطيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من السمات التي ذكرناها آنفاً.

ومما تقدم يتبين للقاريء حجم الخطر الذي يهدد الأمة من هذه الطائفة السرطانية، لذا أولى السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) مسألة تحذير الأمة من خطرهم اهتماماً كبيراً، وبعثهم بنعوت قاسيا وكلمات لاذعة، كما بيّن معالم القيادة الدينية الصالحة لكي تفرق الأمة بين القيادتين والمنهجين، حيث قال

(قدس سره): (المهم في المرجع الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية وانصاف الناس من نفسه وادراك المصالح العامة .. ولكن الانانية في المرجعية هي العنصر الغالب مع الاسف جيلاً بعد جيل) ثم اتجه الى الأمة قائلاً: (اتبعوا شخصاً له اتجاه بذل النفس والنفيس في سبيل الدين الحنيف.. إن هناك اتجاهين في الحوزة العلمية والمرجعية اتجاه المرجعية (الناطقية) واتجاه المرجعية (الساكنة) ولا يوجد اي عذر لسكوتهما سوى انها تخاف من الموت) ويضيف قائلاً عليه الرحمة والرضوان: (لا بد من الالتفات الى موقف الحوزة السكوتية والسلبية في موقفها اسالوهم عن صمتهم الذي هو كصمت القبور ... وكان أفضل ما فعله بعضهم هو السكوت والاعتذار، والبعض الآخر أخذ بالطعن والتشنيع والتجريح)^{٩٥} وهذه الغدة السرطانية - أعني المؤسسة الدينية الفاسدة - التي تعتاش على جسد الأمة وتضر بمصالحها ففي الحقيقة (تتحمل الأمة مسؤولية صناعتها ، وتمكينها من مقاليد الأمور وخلق هالات عظيمة حولها قد لا تكون أهلاً لها، وهذا هو سبب فشلنا وتراجعنا وتحكم شذاذ الآفاق فينا، حتى صرنا - ونحن أغلبية- نستجدي رضا غيرنا وهم أقلية..)^{٩٦}

٩٥ - صلاة الجمعة الخطبة الخامسة والثلاثون.

٩٦ - خطابات المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (محافظة المثني نموذج بانس لتردي أحوال شعبنا).

السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) ونهضة التحرير الأولى

كانت حركة السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) حركة نخبوية تعتمد على المفكرين والمثقفين من طلبة الحوزة والأكاديميين والشباب الرسالي وذلك بإثراء الفكر الإسلامي وإشعال حماسة الشباب وتأجيج لهيب الثورة ضد الظلم في قلوب أبناء الأمة بعدما سادت حالة من الركود والاستسلام للظلم بسبب الاجراءات التعسفية التي تمارسها السلطات المتعاقبة على الحكم، ويمكننا أن نلخص أبرز معالم المد الثوري الذي غذى به السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) للأمة لإخراجها من حالة الركود والاستسلام هذه، هي الأمور الآتية:

١. امتنع السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) عن إعطاء أي مشروعية للسلطة البعثية، حيث رفض وبشكل قاطع مدح مشاريعها ولم يستجب لمطالبها فامتنع (قدس سره) عن سحب فتواه بتحريم الانتماء لحزب البعث ولو صورياً، كما لم يتراجع في تأييده للثورة الإسلامية في إيران، ولم يحرم الانتماء لحزب الدعوة، على الرغم من محاولات الترغيب وترهيب المتكررة التي عمدت إليها السلطة.

٢. قدّم (قدس سره) نفسه وأخته العلوية الطاهرة بنت الهدى قرباناً لأجل تفجير الروح الثورية في قلوب أبناء الشعب وليجعل من دمه الزاكي شرارة انطلاق نحو تغيير واقع العراق المظلم.

٣. القضاء على التبعية للغرب والحركات الإلحادية والشيوعية الضالة من خلال إصدار بعض المؤلفات، مثل كتاب (فلسفتنا) و (اقتصادنا).

٤. تربية جيل واعى من طلبة الحوزة والشباب الرسالي يتمتع بالثقافة الفكرية العالية والحس الثوري التغييرى الذى يحمل هم الرسالة الإسلامية، ويفعل دور الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع، ويجاهد أعداء الدين ويعمل على تحرير الشعب من ربة الجهل والاستعباد والاستضعاف، ومن نتائج هذه الأهداف هو ما تمخض لاحقاً من تأسيس جناح سياسى للحوزة تمثل بحزب الدعوة الإسلامية.
٥. تقوية دعائم المؤسسة الدينية المتمثلة بالحوزة العلمية وتقوية أواصر العلاقة بين مراجع الدين والعلماء حيث كان (قدس سره) حلقة الوصل الرئيسة والمهمة لتنفيذ هذا المشروع الوحدوى والفعال وكان من انجازاته (قدس سره) فى هذا المجال تأسيسه لـ(جماعة العلماء) التى تُعنى بجملة أمور منها هو ربط المجتمع بالمرجعية الدينية، كما انبثقت منها مجلة باسم هذه الجماعة.
٦. توحيد صفوف أبناء الطائفتين الشيعية والسنية وتقوية اللحمة بينهما ف (إن السيد محمد باقر الصدر كان من دعاة الوحدة بين المسلمين وخاصة فى فترة احتجازه حيث وجه خطابه إلى أهل السنة يدعوهم للوقوف مع الشيعة بوجه النظام ألبعثى؛ حيث قال: (فأنا معكم يا أخى وولدى السنى بقدر ما معك يا أخى وولدى الشيعى أن معكم بقدر ما أنتم مع الإسلام وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم الإنقاذ العراقى من كابوس التسلط والذى والإضطهاد).^{٩٧}
٧. توجيه خطابات الاستنهاض للشعب العراقى للحيلولة دون الاستسلام والرضوخ للطاغية صدام وحزبه والقيام بالثورة ضده.

السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) ونهضة التحرير الثانية

من الضروري أن نأخذ جولة سريعة مع شيء من التحليل في السيرة الإصلاحية للنهضة التحررية التي قادها السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) أيام الطاغية المقبور (صدام) لنقف على حجم التضحيات والمعاناة التي أصابت شخصه الشريف أبان تلك الحقبة المظلمة من عُمر العراقيين المظلومين، ولكي نأخذ أيضاً دروساً عملية نستفيد منها في واقع حياتنا المعاصرة، وتعيننا في حل مشكلاتنا ومعاناتنا مع الاستكبار العالمي وأذنابه في الداخل والخارج، ونبدأ بالقول بأن شهيدنا الصدر (قدس سره) حرّر الشعب العراقي - ولو نسبياً - من خطر تدجين رئيسيين:

الأول: تدجين السلطة البعثية الظالمة.

والثاني: تدجين المؤسسة الدينية الفاسدة والتي من أبرز مصاديقها: (الحوزة المعادية للخط الرسالي وسدنة المراقد المقدسة وأصحاب طريق السلوك المنحرف). وخط المواجهة الذي اتبعه السيد الشهيد (قدس سره) لأجل القضاء على روح هذا التدجين، لم يكن نمطاً دفاعياً على طول الخط، بل كان ملفقاً بين الدفاع والتقوية النسبية من جهة وبين مهاجمة مظاهر الانحراف السلطوي والحوزوي من جهة أخرى، بل إن الصفة الغالبة له لاسيما في أواخر عمر نهضته كانت هجومية، كمطالباته العلنية بالإفراج عن المعتقلين، وقراره حول المحكمة القضائية الشرعية وتعريفه المجتمع بحقيقة سدنة المراقد المقدسة، وتحجيم دورهم، ومطالبته بالمشي لزيارة مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) في الزيارة الشعبانية وتحريمه رمي الأموال في الأضرحة المقدسة، والمطالبة بتولي الحوزة الإشراف على المراقد الشريفة لأنها من مختصات ومسؤولياتها الشرعية، وغير ذلك، وبهذا أخرج السيد

الشهيد (قدس سره) المجتمع من حالة الخنوع والخوف من بطش السلطة بشكل ذكي وتدرجي وربى العراقيين على مواجهة الصعاب والتحلي بقوة القلب وعدم الرهبة من الظلمة مادام العمل الحركي والإصلاحي ممكناً وفق الضوابط الشرعية التي لا تخالف التقية التي أوصى بها المعصومون (عليهم السلام).

وهذه الظاهرة الصدرية الاستثنائية التي شقت غبار الصمت والخوف، مارسها الشعب بقيادة المرجعية الدينية وشارك فيها بشكل ميداني وعملي، وليس فقط بالكلام والشعارات، مما زاد في نفوس المجتمع الحماسة والشجاعة وزال الخوف من قلوبهم، وهذا ما أشار إليه الشيخ محمد مهدي شمس الدين قائلاً: (أن المجتمع الذي خضع طويلاً لتأثير السياسية الظالمة التوجيه من الظالم لا يمكن أن يصلح بالكلام فهو آخر شيء يمكن أن يؤثر فيه إن الكلمة لا يمكن أن تؤثر شيئاً في النفس الميتة والقلب الخائر والضمير المنحدر، كان لابد للجميع من مثال يهزه هزاً عنيفاً).

وهذا النجاح الباهر الذي حققه شهيدنا الصدر لم يكن مهمة سهلة، فقد (ورث (قدس سره) إرثاً ثقيلاً حيث البلد المحاصر اقتصادياً وسياسياً وتحكمه سلطة تمارس سياسة البطش والقمع في أعنى صورها، شعباً محاصر أمنياً واقتصادياً تفشى فيه الفقر والجوع والمرض .. كل هذه الظروف مثلت مقدمات للتفكير في مشروع نهوض وسياسي واجتماعي، يزداد على ذلك ضعف الإمكانيات الذاتية كانت تشكل بحد ذاتها تحدياً كبيراً أمام أي حركة تغييرية، هذا الإرث الثقيل مثل التحدي الأكبر أمام السيد الصدر لبناء مشروع التأسيسي فقد كان عليه تجاوز العديد من المعوقات والمعالجات كلاً على حدى من أجل النهوض بالمجتمع ومن أجل البناء على أسس قوية متراصة)^{٩٨}، (ويمكننا أن نتلمس منهجه الإصلاحي في

هذه المرحلة بصورة مجملة في كلمات قالها لأحد طلابه حينما سأله: سيدنا ماهي خطنكم لقيادة الحوزة. فأجاب (قدس سره) قائلاً: (سأسعى جاهداً وبكل ما أتيت من قوة لتحقيق ثلاثة أمور: الأول أن أعيد للحوزة والمرجعية هيبتها، والثاني أن أكسر الحواجز بين الجماهير والمرجعية، والثالث أن أقول وانشر الحقائق مهما كلفني ذلك).^{٩٩} وفيما يأتي نذكر أبرز معالم النهضة الصدرية الشريفة، التي حرّرت الأمة من قيد التدجين المفتعل ضدها:

(١) مواجهة الحوزة التقليدية الساكنة:

والتي نستطيع أن نطلق عليها مصطلح (الرهبانية الجادة) حسب تسمية السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) في تقسيمه لفئات المجتمع الفرعوني، حيث واجهها الصدر الثاني من خلال عدة جهات، منها: تعريف المجتمع بحقيقتها ومعالمها وفصلها عن الحوزة الرسالية المخلصة. مع بيان فضلها وأفضليتها على الحوزة التقليدية، التي تعيش القصور والتقصير في أداء مهامها الحوزوية، ويُعد السيد الشهيد (قدس سره) هو أول (على أقل التقادير في العصر الحاضر) مَنْ فَصَلَ بين هذين الحوزتين وأطلق على الحوزة غير الرسالية بالحوزة (التقليدية والساكنة والصامتة).

كما نَقَدَ (قدس سره) جملة من الظواهر والسلوكيات التي تنتشر في أوساط الحوزة التقليدية - غالباً - كظاهرة تقبيل اليد والجلوس في صدر المجلس ورفع الصوت بالصلوات عند دخول رجالها، وقد تحدث (قدس سره) بشكل مفصّل في خُطْبِ الجمعة عن هذه الظواهر للحد منها، حيث قال: (إن تقبيل اليد، يكون بالنسبة إلى مَنْ تُقَبَّلُ يده، نحواً من التكبر والانانية، والشعور بالأهمية بالنفس الأمانة بالسوء، وشكل من أشكال الاستعلاء بالباطل، وعلى غير الحق، وفي يوم

القيامة يحشر الفرد ويسأل لماذا قدمت يدك للتقبيل؟ فماذا يجيب؟ مع إن حبال الدنيا يومئذ كلها متقطعة، هل يقول كان ذلك طلباً للدنيا، أو للشهرة، أو للمال، أو للتعارف الاجتماعي أو للتكبر؟ طبعا كل ذلك منقطع في يوم القيامة، ولا يقبله الله سبحانه وتعالى، ومن هنا ورد كما سمعنا، (إنها لا تكون إلا لنبي أو وصي نبي) أي للمعصومين بالذات، أو واجبي العصمة، عليهم أفضل الصلاة والسلام. وهم الانبياء والاولياء عليهم السلام، لان نفوسهم ليست أمارة بالسوء، لانهم معصومون. أما أنا وأمثالي، من ذوي النفوس الضعيفة، والقلوب المخلوطة، فهي مؤثرة لامحالة، (أي تقبيل اليد) تأثيراً دنيوياً متسافلاً، حتى وإن كان قصد الطرف الآخر (أي المقبل) قصداً حسناً وبنية حسنة، الا إن فيه جانبا سيئا ايضاً حتى على الآخر، لان الفرد الذي تُقبل يده إذا تورط أمام الله سبحانه، فإن الذي ورطه إنما هو هذا الذي قبل يده، فهو يضره في الآخرة، فيصير واسطة على ضرره، فيكون هو متورطاً أيضاً لأنه يضر المؤمن من هذه الجهة).^{١٠٠}

(٢) المطالبة بسدانة المراقد المشرفة:

كانت إدارة الأوقاف الشيعية بيد وزارة الأوقاف العراقية ذات الصبغة السنية وعلى الرغم من أن المراقد المقدسة تعدد من المؤسسات الكبيرة فإنها كانت بعيدة عن مسؤولية المرجعية، لذا طالب السيد الشهيد (قدس سره) بهذا الحق وجعل المراقد المقدسة تحت إشراف الحوزة ومرجعيتها الدينية، وهذا ما صرح به في إحدى خطب الجمعة قائلاً: (...أريد أن أفتح أعينكم عليه والظاهر انكم كلكم غافلون عنه. فكروا في امور دينكم اكثر مما انتم تفكرون. ما هو؟ حبيبي .. مقتضى القاعدة الشرعية أن تكون المساجد والمراقد المقدسة للمعصومين (عليهم السلام) وغير المعصومين (رضوان الله عليهم) أن تكون المساجد والمراقد تحت سيطرة

وإشراف الحوزة الشريفة والمرجعية الجليلة وليس لاحد حق ان يتصرف فيها الا بإذنها وتوجيهها لان المسألة بالأساس هي مسألة دينية والدين كله بيد الحوزة جيلا بعد جيل فليس من الانصاف ان يكون بعض الدين بيد الحوزة وبعض الدين خارج عن يد الحوزة. وقد كان ذلك فعلا موجودا منذ زمان المعصومين سلام الله عليهم الى عصر الشيخ صاحب الجواهر (قدس الله روحه) حيث كان العلماء ردحا طويلا من الزمن وعلى مرور قرون - في الحقيقة - هم الذين يعينون السادن أو الكليدار الذي هو المسؤول الرئيسي في العتبة، في هذه العتبة او تلك او في هذا المسجد أو ذاك، بيد العلماء صرف حتى آل الامر الى مرجعية الشيخ صاحب الجواهر (قدس سره) فعين شخصاً (فلان يسموه انا لا احفظ الاسماء بالضبط) جعله كيلداراً لصحن أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم توفي الشيخ صاحب الجواهر (قدس سره) وكان المفروض بهذا السادن ان يأخذ الاذن من المرجع الذي بعده او ان يعطيه الحق بعزله ولربما ان الذي جاء بعد الشيخ صاحب الجواهر ما كان راضياً عن تصرفات هذا الرجل وأراد تغييره فعصى وبقي على السدانة والكليدارية وتسلسل الامر الى الآن وخرجت الكليدارية في كل العراق عن الحوزة الشريفة. ونحن نعلم إن السادن في بعض الدول المسلمة رجال دين كما في إيران والسعودية وكل واحد حسب مذهبه، ولذا كان يعتقد العوام ولعلمهم لا زالوا - أنت إرجع إلى وجدانك - اليس تجد إن السادن والخدمة إنما هم رجال دين كثير هذا الاعتقاد موجود، كأن الحوزة بدرجة عالية تمثل رجال الدين والخدمة والسدنة يمثلون رجال الدين بدرجة ادنى فلذا يعطوهم الحقوق ويسألونهم عن الفتاوى والمشاكل الدينية ونحو ذلك فهل هذا المطلب صحيح ؟ انا هذا الذي اريد ان احذركم منه، إلا ان المسألة منذ وفاة الشيخ صاحب الجواهر الى الان، قد انفصلت عن الحوزة وعن المرجعية الى ان سيطرت عليها وزارة الاوقاف من حوالي ثلاثين سنة والى الان

وأصبح السدنة والخدمة مجرد موظفين لا يقيمون وزناً لأي امرديني أو دنيوي إلا لوظائفهم الحكومية وأوامر وزارة الأوقاف فيتوجهون ك(زار) اللعبة بيد الموجه لهم، وهم منقطعوا الصلة بالمرّة عن الحوزة وعن العلماء والحوزة منهم براء وهم أيضاً براء من الحوزة).^{١٠١}

٣) الوقوف بوجه السدنة وتعريف المجتمع بحقيقتهم:

نستطيع أن نطلق على هذه الفئة من المجتمع مصطلح (رجال الرهبانية المزيفة) حسب تسمية الشهيد الصدر الأول (قدس سره) في تقسيمه لفئات المجتمع الفرعوني، وقد أمرهم شهيدنا الصدر (قدس سره) بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى وذلك لما يرتكبونه من مخالفات ومحرمات، فقال (قدس سره) في إحدى خطبه الشريفة: (إننا لو التفتنا المهم وتعرفنا على حقائقهم لوجدناهم جميعاً إلا من ندر ربما أقل من واحد بالمائة منهم خوش آدمي، له باب وجواب أنا لا أريد أن استغيب الكل، لكن عمومهم ليسوا كذلك. إننا لو تعرفنا على حقائقهم لوجدناهم جميعاً إلا من ندر فسقة فجرة شارب الخمر وزناة وأهل لواط ويأكلون المال الحرام ويخدعون الزوار بمختلف أنواع الخداع لمجرد الحصول على المزيد من المال، ويعملون أموراً لم ترد في الكتاب والسنة إطلاقاً ك(الدود) الذي يوزع. يكسب عليه فلوس - إنما هو يشتريه من البزاز ويبيعه على الزائر وليس فيه أية شرفية ولا بركة أصلاً، أصلاً من يده النجسة يكون هذا نجس. أعلنه الآن أمامكم جميعاً والخيوط التي يلفونها حول الضريح الشريف ويلمسون النساء بعنوان التبرك وكثير هذا يحدث ربما يوماً يحدث مع شديد الأسف، وكذلك أغلبهم لا يصلون ولا يصومون ولا يخمسون ولا يزكون، رأيت واحداً داق بابك يعطيك خمس، حق الإمام. اتحدى ذلك منذ مئات السنين وليس الآن، أما الآن تحت الصفر بكثير من الناحية الدينية.

ولا يصومون ولا يخمسون ولا يزكون وكيف شارب الخمر يصلي او يخمس أو يزكي، وهم يسرقون اموال الحرم، وما يوقفه الزوار يسرقونه بكثافة شديدة وخاصة السدنة والخدمة المهمون، فمثلا انا اعطي زولية تفرش في الحرم يوم واحد او يومين او ثلاثة ما دام الزائر موجودا قبل ان يسافر حتى يراها، بمجرد ان ركب السيارة ودار ظهره وراح فان هذه الزولية (تتلفلف) وإلى الأبد لا يراها أحد وكل الأشياء هكذا، كل الموقوفات هكذا، واذا ذهبت الى بيوت السدنة واضراهم تجد التحف والمعلقات والصور والفرش والذهب، كله من السرقة من المعصومين (سلام الله عليهم) وهذا متواتر وقد يصدف اني انا رأيت به بعيني ربما كان في سنين قديمة عنده تعزية او كذا واحد منهم نروح فنجد ذلك عيانا وهذا ما يبديه وما عنده مانع ان يروه الناس فكيف ما يخفيه الذي هو اكثر واكثر بطبيعة الحال، ومن هنا ملكوا البيوت الفارهة والسيارات الثمينة والذهب الكثير. واما الذبائح والغنم وغيرها مما يسحبه الخدم من الزوار فحدث عنه ولا حرج وفي كل يوم على الاطلاق يحصل ذلك ولا يعلم الزائر البسيط إنه لم تبرأ ذمته وانه وصلت ذبيحته إلى انسان شارب الخمر وتارك الصلاة وغير متورع بل هو من اعداء الله بكل تأكيد حتى اننا نسأل هل ظاهرهم الصلاح؟ كلا، بل ظاهرهم الفساد وانت بمجرد ان تنظر الى وجوههم وعيونهم والتفاتاتهم تجد فيها الضلال والطمع بالدنيا والبعد عن الآخرة، وكان بعض الخدمة يقوم بقراءة الزيارة لعدد من الزائرين يأخذ على ذلك مالا وهذا جيد إلا ان الامر تقلص واصبح يأخذ المال بدون مقابل قهرا على الزائرين وبخدعة الزائرين، فالمهم هو الحذر الحذر من هذا الوضع الفاسد المنحرف فان اعطاءهم المال باطل وغير مفرغ للذمة وليس عليه ثواب بل عليه عقاب لأنه تأييد للظلم والاثم ولإعداء الله سبحانه وتعالى. ويكفي ان يحذر الناس منهم فيقاطعونهم

لعلهم يتذكرون او يتفكرون او يتوبون وهميات ان يتوبوا لانهم غير مستحقين للتوبة).^{١٠٢}

(٤) أما الجبهة الثالثة والفاصلة ضمن الإطار الديني فهم (السلوكيون المنحرفون) الذين انحرفوا عن الجادة وراحوا يعملون ما يظنونهم حقاً، لذا وقف السيد الصدر في وجوههم وعرف الناس بانحرافهم وتبرأ منهم ومن أعمالهم ومعتقداتهم بشكل علني، في إحدى خطب صلاة الجمعة حيث قال (قدس سره): أريد الآن أن أذكر لكم جانباً من عقائدهم الفاسدة باختصار:

أولاً: انهم تاركون لتعاليم الشريعة للصلاة والصيام وغيرها تأويلاً للآية (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقد جاءهم اليقين بزعمهم اذن فلا موجب للعبادة.

ثانياً: انهم يرون انفسهم اعظم من النبي والقرآن اذن فلا موجب لطاعة النبي (صلى الله عليه واله) وطاعة القرآن.

ثالثاً: انهم ينكرون يوم القيامة والثواب والعقاب في الجنة والنار. وانما الثواب والعقاب في نظرهم نفسي وباطني وليس كما يقول الدين الاسلامي الحنيف من انه هناك حشر ونشر وقيامه وثواب وعقاب وجنة جهنم، كل ذلك غلط اي في نظرهم الفاسد.

رابعاً: انهم يأمرون الناس بالتخلي عن عقولهم وعزل تفكيرهم والطاعة العمياء لهم اي لهم بصفتهم شيوخ سلوك وطريقة، مع ان النتيجة الصريحة والاولية لذلك اي للتخلي عن العقل هو الكفر والالحاد لان العقل هو الدليل أو الدال الرئيسي على وجود الله سبحانه. فاذا زال العقل او زال الاعتماد عليه انسداد باب الاستدلال بالخالف فيصبح الفرد في لحظة من حيث يعلم أو لا يعلم ملحداً. وفي الرواية : ان الله تعالى خلق العقل وخاطبه : بك أعبد وبك ائيب وبك اعاقب. فاذا رفضناه كنا

من الخاسرين بطبيعة الحال. وكذلك في الرواية ان العقل نبي من الباطن والانبياء أنبياء من الخارج، يعني ماذا؟ يعني كل واحد الله تعالى مرسل له نبي في باطنه عليه اتباعه فاذا ازالونا وفرغونا من عقولنا معناه قتلوا النبي الذي الله تعالى أرسله إلينا وعلينا ان نطيعهم صرفا على شهواتهم وانحرافاتهم.

خامساً: انهم يؤمنون بالحلول وان روح علي حلت بفلان وروح سلمان حلت بفلان وروح ابو ذر حلت بفلان وروح الزهراء حلت بفلانة وهكذا يقسمون الوظائف فيما بينهم وهذا من المضحكات المبكيات والذي ترفضه الشريعة بصراحة..^{١٣}

(٣) إنعاش الحوزة الدينية في النجف الأشرف وفتح الباب لقبول الطلبة ودعمهم واحتضانهم:

عانت الحوزة العلمية الشريفة في النجف الأشرف أبان الحكم البعثي المتغطرس ظلماً وتضييقاً كبيرين، حيث هُجرت أفواج غفيرة من علماء الحوزة وطلبها من الجنسيات غير العراقية، بالإضافة إلى الاعتقالات المتكررة التي طالت العديد من أبناءها، ففضوا خلف قضبان السجون، يعانون آلام الحبس والتعذيب، كما مارس البعث الكافر أسلوب الاغتيالات والتصفية الجسدية لأبرز رموزه الحركة الفكرية، ناهيك عن أساليب المراقبة والمحاربة النفسية التي قيدت حركة العلماء والطلبة العاملين، وكان قصد الحكومة البعثية هو القضاء على المد الديني في العراق، وتجفف منابع الهداية والتأثير الحوزوي على المجتمع العراقي، وبالفعل تم لحكومة البعث ذلك لولا همت بعض الغيارى من أبناء الحوزة الرسالية الشريفة، وفي مقدمتهم السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) الذي قاد النهضة الفكرية والثورية في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي حتى قضى شهيداً على يد الطاغية صدام في ١٩٨٠، كما سبقه للشهادة كوكبة من الشهداء الذي واكبوا نهضته من

قريب ومن بعيد، واستمرت تصفية أبناء الخط الديني حتى بعد استشهاد زعيمها الصدر، سواء من داخل الحوزة أو خارجها، وبهذا تصدع الجيل المعاصر لحركة الصدر الأول، الذي أمعنت السلطة في القضاء عليه، بشكل متعمد ومدروس، فأحكمت السلطة قبضتها على الحوزة وضيقت الخناق وبشدة عليها خصوصاً والشعب عموماً، فكان العمل بالتقية المكثفة عنوان لكل مؤمن يعيش في العراق، وخصوصاً من يلبس الزي الديني أو ينتمي إلى عائلة علمائية أو حوزوية، وكادت تختفي مظاهر التدين من الشارع العراقي لولا ألطاف الله تعالى، واستمر الحال هكذا مع شيء يسير من التغير في نمط التقية قوة وضعفاً حسب الظروف وتقلبات الأحوال، حتى بزوغ فجر الرحمة وانبثاق الأمل من جديد، بمجيء السيد الصدر الثاني لقيادة الحركة الدينية وزعامة الحوزة النجفية، فأعاد الحياة من جديد ليس للحوزة فحسب بل وللشارع العراقي ككل، فأرجع هيبة الحوزة، وقاد نهضتها وفق استراتيجية مدروسة وخطى ثابتة، بشكل تدريجي لا يثير حساسية السلطة الغاشمة، على الرغم من كل الصعوبات والمعوقات التي كانت تكتنف طريقه الشائك والمحفوف بالمخاطر، فلا يعتقد أحد إن السلطة الصدامية هي وحدها كانت العائق الوحيد أمام صدرنا الشهيد، بل هناك العديد من المعوقات والمصاعب الأخرى كالأعداء المتربصين به (قدس سره) الدوائر سواء من جهة السلطة أو من الحوزة الأخرى أو من المعارضة التي تمركزت خارج العراق أو غيرهم ممن يضرهم وجود السيد الشهيد وحده في الساحة العراقية، لقيادة المجتمع وخطف الأضواء والسمعة. كما يظنون. ناهيك عن الصعوبات الطبيعية الأخرى.

فكان في مقدمة الإصلاحات التي بادر السيد الصدر (قدس سره) إلى العمل عليها هو إصلاح الواقع الداخلي للحوزة، وإنعاشها وبث الروح فيها من جديد، وبالفعل تم له ذلك بفضل الله تعالى وهمت الغيارى من المؤمنين الواعين الرساليين،

وبعدما رأى المجتمع تغير الحال، بعد مجيء السيد الصدر (قدس سره) وقيادته للمرجعية الدينية وحوزتها المباركة، تأثروا به كثيراً، لاسيما بعدما لمسوا منه إخلاصه وتواضعه وشجاعة الملفتة وقوة القلب التي يتعامل بها مع السلطة، بالإضافة إلى أخلاقه الحسنة وطيبته المتميزة عن سائر العلماء، التي تسببت بشكل سريع في انجذاب الناس إليه، وهذه التأثير الاجتماعي، والمغناطيسية الأخلاقية - لو صح التعبير - أشار لها القرآن الكريم في معرض وصفه للخُلُق نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله)، وبيانه للجاذبية المحمدية، حيث قال سبحانه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) فكشف القرآن الكريم عن سر نجاح التفاف الناس حول نبي الإسلام، وهذا هو أيضاً أحد أسباب نجاح الحركة الصدرية، التي كما قلنا قبل قليل إنه (قدس سره) ابتداءً بالنهوض بها من داخل إطار الحوزة الشريفة لكي ينطلق بها نحو هداية سائر المجتمع وإصلاح شأنه. لذا كانت إحدى الآليات العملية التي انتهجها السيد الشهيد (قدس سره) هو إنه (اشترط على الطلبة عدم التخلي عن اللباس الحوزوي أثناء سفرهم إلى محافظاتهم وكان يهدف بهذا إلى الإبقاء على الزي الديني الذي تضائل كثيراً نتيجة الخوف من ارتدائه كما كان يسعى إلى جعل الزي الديني يشكل تحدياً حقيقياً للنظام وكان السيد الصدر يقول: (إن مجرد ارتداءك الزي الحوزوي كاف لمشروعية الراتب الحوزوي) يضاف إلى ذلك تشجيع الكثير من الفضلاء الذي تغلوا عن الزي الحوزوي نتيجة سياسة النظام مما أدى إلى افتقار الحوزة إلى الدرس كما أن هذا الأمر أعاد الأمل إلى الأمة وهو بقاء الدين على ما هو عليه حتى صار ارتداء الزي في هذه الفترة شعيرة من الشعائر الدين... كما شجع (قدس سره) المجتمع بالانتماء للحوزة العلمية في لقاءاته وخطبه وكتاباته وكان يركز على بعض المناطق والمدن أكثر من غيرها حيث كان يرى أن مجرد زيادة عدد المعتمدين في هذا

الوقت هو ناجح لهدفه ويدخل في مشروعه وكان يعلم أن بعض الطلاب لا يلي الحاجة ولا يفي بالغرض ولكنه كان يخطط في بناء نواة من المخلصين الراغبين داخل هذا الجسم فأن العدد الكبير يمكن أن يكون قشرة يستطيع أن يخفي فيها النوعية الواعية... كما قام (قدس سره) بافتتاح أول مدرسة وهي مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) (الشهرية) عام ١٩٩٣ فكانت فاتحة خير وكان ذلك طبعا دون إذن من أحد وأسكن فيها بعض الطلبة ثم بعد مدة قام بافتتاح مدرسة أخرى وهكذا كانت تفتح المدارس الواحدة تلو الأخرى... وقام السيد الصدر من جهته بعبء الدروس في تفسير القرآن في يومي الخميس والجمعة، وفي أيام التعطيل الأخرى كان يلقي محاضرات عن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وذلك من أجل تنشيط الحركة العلمية في النجف، إعادة دروس التغيير التي أهملت، أيجاد منهية جديد في البحث والتدقيق والتفكير السليم).^{١٠٤}

٤/ التعامل الحكيم والمدرّس مع السلطة الصدامية الظالمة:

تعامل السيد الصدر الثاني (قدس سره) بحذرو وحكمة شديدين مع السلطة الصدامية التي لا تتوانى في القضاء على خصومها، حتى إن الطاغية (صدام) يتبجح ويفتخر قائلاً بما مضمونه بأنه قادر على قتل عشرة آلاف إنسان دون أن يرمش له جفن أو تحرك هذه العملية الإجرامية مشاعرة، فما بالك بمن ينهض بأعباء القيادة الدينية وينتشل الشعب من مستنقع الظلم والظلام البعثي ويلغي دور السلطة ويعاند قراراتها.

وعلى الرغم من كل الهالة المخيفة التي تتمتع بها السلطة الصدامية الفولاذية آنذاك إلا أنها لم تهزكيان السيد الصدر الثاني (قدس سره) ولم تخيفه زعقات

١٠٤ - يُنظر المشروع السياسي والاجتماعي للسيد محمد الصدر، هاني النجار، ص ١٤٠.

ص ١٥٥، ص ١٥٩، ص ٢٣٦.

الأبواق الإعلامية التي راحت تبرق وترعد لكي تدب الرعب في قلوب العراقيين، وبفضل الله تعالى وحنكة السيد الشهيد (قدس سره) استطاع أن ينزع هذا الخوف من الشعب ويزرع فيهم قوة القلب شيئاً فشيئاً، مما أذهل ذلك القريب والبعيد، بل استطاع أن يؤثر حتى في من يعمل في مؤسسات الدولة وينتسب إليها، ويجذبهم إلى شخصه الكريم ليحررهم من ربة ذل الاستعباد والضلالة، ويجعلهم يستنشقون نسيم الحرية والهداية بالرجوع إلى الله تعالى، حتى نُسب إليه أنه قال (قدس سره) معرباً عن نجاحه في القضاء على هيمنة السلطة الصدامية على الشعب: (أنا سحبت البساط بنسبة ٧٥% وبقيت ٢٥%).

ويرجع سبب ذلك النجاح الكبير الذي حققه السيد (قدس سره) في هذا الجانب والجوانب الأخرى، هو أولاً إخلاصه في العمل لأجل الله تعالى، وثانياً حنكته السياسية والادارية وخبرته في التعامل مع الأشخاص والأحداث وثالثاً معرفته الدقيقة بطبيعة النظام الحاكم وأيدولوجيته وأهدافه وكيفية تفكيره، فهو (قدس سره) قد عجن بخبرته الأحداث وعاصر الكثير من الشخصيات والأزمات والحوادث التي مرت عليه سواء أبان الحكم البعثي الظالم أو قبله، فأصبح رجلاً مخضرمًا يحمل تراكمات الماضي المرير وأهداف المستقبل.

كما أسعفته تقلبات الظروف بفضل الله تعالى ومشئته بعد وفاة السيد الخوئي (رحمه الله) الذي كان يتزعم قيادة الحوزة النجفية، فاستثمر (قدس سره) الفرصة لبدأ نشاطه الديني والنهوض بمشروعه الاصلاحى والرسالي، وبحمد الله وفضله تنامت حركته شيئاً فشيئاً مع بدايات مطلع عقد تسعينيات القرن المنصرم، إلى أن كلّمها بالشهادة هو ونجليه في عام ١٩٩٩م لتنتهي بذلك مرحلة ذهبية من عمر النهضة الدينية في العراق التي قل نضيرها، وسنستعرض باختصار كيفية عمل السيد الشهيد (قدس سره) مع السلطة الظالمة في تلك الحقبة الرهيبة، حيث

وضع (قدس سره) جملة من الأمور والارشادات التي وجهها للمجتمع، تقضي بموجهها سحب البساط من تحت السلطة دون إثارة حساسيتها أو ايجاد تصعيد في الموقف معها، ونذكر منها على سبيل المثال الأمور الآتية:
أولاً/ رَبط الناس بالمرجعية الدينية وبالحوزة الشريفة:

وجعلهما مرجعاً لهم في أمور الدين والدنيا وفي حل مشكلاتهم ومتعلقاتهم، ولذا نلاحظ إن السيد الشهيد (قدس سره) راح يردد وصيته الشهير علناً وبتكرار على مسامع الناس في خطب الجمعة المباركة، قائلاً: (لا تقل قولاً ولا تفعل فعلاً إلا بعد السؤال عن الحوزة العلمية).^{١٠٥}

ثانياً/ تدريب المجتمع على الطاعة والولاء للحوزة الشريفة ومرجعيتها الدينية وقطع علاقتها بالسلطة الظالمة:

حيث (تمكن السيد الصدر (قدس سره) من تفريد مفاهيم الطاعة والولاء في نفوس الجماهير خلال فترة وجيزة ويعد هذا الأمر حيويّاً لأنه مقبل على حركة تغييرية كبيرة ومواجهها حاسمة مع النظام وقد علّق (قدس سره) على ولاء الأمة للمرجعية في إحدى خطب صلاة الجمعة . عندما منعت السلطة الزيارة الشعبانية إلى كربلاء . قائلاً: (هذه بادرة ناجحة وحسنة لأنكم اثبتم بالتجربة إن الحوزة اذا قالت لكم اذهبوا تذهبون واذا قالت لكم اجلسوا تجلسون واذا قالت لكم تكلموا تتكلمون واذا قالت لكم اسكتوا تسكتون. وانتم بعونه سبحانه والحمد لله اثبتم انكم على مستوى المسؤولية وعلى مقتضى الطاعة ووفقكم الله جميعا الى احسن ما يحب ويرضى) وهنا دون شك تتضح مقاصد السيد (قدس سره) بالرد على مقولة البعثية التي سادت العراق ويوم ذاك قائلة: (إذا قال صدام قال العراق) ، وقد قال بهذا الخصوص: (بالنسبة الى عوام الشيعة جزاهم الله خير جزاء المحسنين هو

ان لا يعملوا عملا او لا يقولوا قولاً الا باذن المراجع الكرام والقادة العظام الله يديم ظل الموجودين منهم. لا تتحرك ولا تنطق ولا تنظر بل ولا تفكر الا باذن الله الا بالشيء الذي يرضي الله سبحانه وتعالى. واما اذا كان شيئا مشبوها او مشكوكا، او فيه زيادة او نقيصة او احتمال الخطر او احتمال السوء او احتمال الذنب او احتمال (الزلق) كما يقولون امتنع عنه بكل صورة، نحن لم نر الله سبحانه ولا سمعناه وانما سمعنا عنه وكتابه المفتوح عنه هم العلماء، فلا ينبغي ان الانسان يتصرف اطلاقا إلا بادن العلماء، حبيبي .. (موأنا قلبي محروق) اقول للجماعة ابتعدوا ولا يبتعدون، فانت اذا كنت تقرب بولايتي فما معنى عدم ابتعادك ؟ اليس المفروض اطاعتي. اذا انتم في القليل هكذا فكيف ستكونوا في الكثير؟! ليس له معنى حبيبي. اطيعوا علمائكم فقط والا فلا) كما تحدث السيد عن ضرورة الالتزام بسيرة أهل البيت والإقتداء بالمرجعية قائلاً: (كالميت بين يد الغاسل ، وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان أمام المعصومين ليس في حياتهم فقط دائماً وهؤلاء المشككون الموجودون في كل عصر للتشكيك بالمراجع عموماً وبالسيد محمد الصدر خصوصاً وعدم حملهم على الصحة وعدم طاعتهم إلا بعد الاقتناع ولن يحصل الاقتناع بها هم فيه ومن ثم سوف تفشل كثير من المصالح العامة والحقيقة بإرجاف المرجفين واشكاك المشككين ولو أنهم التفوا حول حوزتهم ووثقوا بأمر مرجعهم (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)).^{١٠٦}

كما (أستخدم السيد الصدر عدة أساليب ومفردات ساهمت في تعبئة الجماهير من خلال الإيحاءات والشعارات التي يطلب من الجمهور ترديدها خلفه خلال خطب صلاة الجمعة مما عزز حالة الانتماء الجماهيري للمرجع وتمسكوا به لأنهم

يتفاعلون معه عبر المشهد البصري والاستجابة السمعية لخطب. وكان هنالك هتافات جديدة لم يسمع بها الشارع العراقي مثل (نعم نعم للإسلام) و(نعم نعم للمذهب) و(نعم نعم للجمعة) مقابل شعارات السلطة القائلة: (نعم نعم للقائد صدام حسين) وشعار (لا شيعة بعد اليوم) الذي رفعته الدولة بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، وقابلها السيد الصدر بشعار: (كلا كلا للباطل، كلا كلا أمريكا، كلا كلا إسرائيل كلا كلا استعمار...).^{١٠٧}

ثالثاً/ تأسيس المحاكم القضائية الشرعية برعاية مرجعيته الشريفة:

(قام السيد الصدر (قدس سره) بتأسيس المحكمة الشرعية في سنة ١٩٩٨م مقابل محاكم السلطة الظالمة، لافتاً بذلك أنظار المجتمع إلى هويتهم الدينية من جهة، وأشار إلى أن السلطة بعيدة عن أحكام الدين من جهة ثانية، من أجل إظهار المسافة بين السلطة وبين الأمة وحكام دينها وهو من جملة الأمور التي اختلطت على بعض شرائح المجتمع خاصة بعد أن تهيّب الكثير من العلماء وترددوا في بيانه وإظهاره للناس بشكل واضح وصریح وأمام طاغية متفرعنة وظالمة).^{١٠٨} و(بعد الإقبال الكبير من المجتمع على المحكمة الشرعية في النجف، والقضاء الشرعي الحوزوي.. فُكّر (قدس سره) بتوسيع هذا الظاهرة من خلال فتح مشروع في المحافظة ابتداءً بالبصرة وبغداد، وبالفعل أرسل قضاة لهاتين المدينتين، ولما علم النظام الحاكم، بعث على القضاة وهددتهم بالرجوع إلى النجف، وحذرتهم من العودة الممارسة القضاء).^{١٠٩} و(لكثرة المرجعين الذين يعرضون مشكلاتهم وخصوصاتهم على السيد الشهيد الصدر كان مكتبه الشريف يضح بالناس في السنة

١٠٧ - المصدر نفسه ص ١٦٩. بتصرف.

١٠٨ - ينظر المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

١٠٩ - المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

الأخيرة من حياته، فاضطر لتنصيب بعض الفضلاء للتصدي لحل مشكلات الناس على طبق فتواه (قدس سره) وكانت أغلبها تحسم بالتراضي فكان هذا المشروع يلبي حاجة فرضتها الظروف، ولكنها أنتجت نتائج باهرة وغير متوقعة منها:

(١) إن الناس بدأت تترك المحاكم الرسمية التي تطول فيها الدعوى وتهرع إلى المحكمة التي أسسها السيد الصدر، ولكثرة الزخم على هذه المحكمة اضطر (قدس سره) لفتح بعض الفروع في المحافظات.

(٢) إن هذا الخطوة بالرغم من أنها عفوية ألا أنها أُرعبت سلطة النظام الحاكم وشعرت من خلالها أن السيد بدا يسحب البساط من تحتها، فتصرفت بشكل هستيري، وأغلقت الفروع في محافظات بطرد القضاة الذي عينهم السيد (قدس سره) وحذرتهم من العودة.^{١١٠}

رابعاً/ دعوة موظفي الدولة إلى التوبة والرجوع إلى الله سبحانه

حيث وجهه (قدس سره) إلى طبقة الموظفين والسياسيين خطاباً من خلال صلاة الجمعة يدعوهم فيه إلى التوبة وإعلان الندم والرجوع إلى الله سبحانه، ونبذ المحرمات والمخالفات الشرعية، قائلاً: (أوجه كلامي إلى فئة أخرى من المجتمع نتوقع منها الخير والرجوع إلى الصلاح والفلاح وهم موظفوا الدولة والعاملون فيها في أي عمل كانوا أو اختصاص أو رتبة أو أهمية من وزراء ومدراء وعسكريين ومدرسين ومعلمين ومصلحين وأطباء ومن مختلف مذاهب المسلمين حتى عامل البلدية على ما يعبرون فإنهم بطبيعة الحال كسائر أفراد المجتمع يتوقع الدين منهم ويتوقع الله منهم الصلاح والفلاح ويتوقع المجتمع العدل والإنصاف ويتوقع المؤمنون النجاة من عذاب النار)^{١١١} وتعد هذه الخطوة من قبل السيد (قدس سره) خطوة

١١٠ - المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

١١١ - صلاة الجمعة الخطبة الحادية والثلاثون.

هجومية تجاه السلطة، لأن الموظفين على مختلف مراتبهم ووظائفهم وأماكنهم يعدون شريحة مهمة من حيث اعتماد السلطة عليهم في تنفيذ رقابتها وهيمنتها على الشعب العراقي، وخصوصاً الدوائر القمعية ومؤسسات وزارتي الدفاع والداخلية، وكأن السيد الشهيد (قدس سره) أراد خللت قوام السلطة الحاكمة والقضاء على البنية البشرية التي تعتمد عليها في تنفيذ سلطتها على الشعب، ومن جهة أخرى أراد إيصال صوت الهداية إلى هذه الفئة الضالة لأجل تحريرهم من ذل العبودية، وإرشادهم وإنقاذهم من معصية معونة الظالمين.

٥) ملاً الفراغ القيادي في الساحة العراقية بعدما خلت - تقريباً - من وجود القيادات الرسالية المخلصة جراء التصفية البعثية التعسفية التي طالت أغلب رموز الحركة الدينية في العراق، منذ مجيء البعث الكافر للسلطة عام ١٩٦٨ م، فحاول (قدس سره) كخطوة أولى أن ينمي وجوده الحوزوي والقيادي ويحظى بتأييد شعبي في الشارع العراقي ويتملك زمام القرار الديني الذي يحدد مصير الأمة، ثم يعتمد بعد ذلك إلى سحب البساط من تحت السلطة تدريجياً، وهذا ما حصل بالفعل بفضل الله تعالى وكاد أن ينجح بإسقاطها نهائياً لولا أن حالت دون ذلك بعض الأسباب من داخل العراق وخارجه للأسف الشديد^{١١٢}، إلا أنه (قدس سره)

١١٢- من جملة الأسباب الرئيسية التي حالت دون نجاح السيد الشهيد (قدس سره) في قلب نظام الحكم والسيطرة عليه عسكرياً هو استضعاف الحوزة الساكنة له. حيث أمنت في قطع دعمها وتأييدها لها بل راحت توظف أبواقاً إعلامية مضادة لتشويه صورته أمام الأمة سواء من داخل العراق أو خارجه، والسبب الثاني هو عدم وعي بعض أتباعه لأبعاد حركته (قدس سره) وأهدافه القريبة والبعيدة وكيفية التعامل مع السلطة مدأً وجزراً لخدمة الحركة الرسالية، وهناك أسباب أخرى كالموقف السلبي من المعارضة العراقية في الخارج تجاه شخصه الشريف، لأنها اعتقدت إن وجود هذا الرمز الديني الكبير داخل العراق قد سحب البساط من تحتها، لأنه حصل على شعبية كبيرة بين أوساط الشعب، وجعلهم مفلسين من هذه الناحية، فراحت تكيل له التهم والافتراءات وتصطف مع أعداءه ضده، وهذا ما أكده المرجع اليعقوبي (دام ظله) في

على الرغم من ذلك فقد نجح في جعل القيادة البعثية في بغداد قيادة سلطوية هزيلة فقدت الكثير من هيمنتها على الشعب، حتى بات المواطن العراقي يشعر بوجود دولة دينية داخل دولة أخرى.

وقد عزز السيد (قدس سره) ارتباطه بالأمة من خلال عدة قنوات كان في مقدمتها صلاة الجمعة المباركة في مسجد الكوفة المعظم وصلاة الجماعة التي أقامها في الحرم العلوي الطاهر، بالإضافة إلى قنوات عديدة أخرى، كنشر الأشرطة الفيديوية والصوتية المسجلة للقاءاته، وتوزيع استفتاءاته التي راح الناس يقبلون عليها بلهفة^{١١٣}، ليتعرفوا على معالم دينهم، بالإضافة للقاءه اليومي مع الأمة في مكتبته الشريف (البراني) ومسجد الرأس في رواق الحرم العلوي الطاهر، الذي يلقي

إحدى كلماته، حيث قال: (إن الجهات السياسية فلانكشاف زيفها وإنها تتاجر بمظلومية الشعب العراقي وما يتعرض له من بطش من جلاوزة صدام فقد سحب البساط من تحت أرجلهم ولاح لكل مراقب أن السيد الصدر (قدس سره) هو الذي يقود المعارضة الحقيقية للنظام وجها لوجه داخل العراق وأنه يقوِّض أركان النظام تدريجياً، فبدأت القوى المخلصة في إحداث التغيير تلتف حوله وتعرض عليه الاشتراك معه أما أصحاب الدكاكين البائسة فقد كسدت بضاعتهم وكانوا يرون في السيد الصدر كابوساً يجثم على صدورهم فوجهوا سهام غدرهم إليه وكشفوا ظهره للنظام وطوقوه وحاصروه وتركوه وحيداً في مواجهة النظام) يُنظر خطابات المرحلة ج، ٥، خطاب رقم (١٨٨)، بعنوان: (المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)).

١١٣ - لقد كانت الاستفتاءات التي أجاب عند السيد الصدر (قدس سره) الأثر الكبير في حل الكثير من المشكلات الاجتماعية كما ساهمت أيضاً في تنمية الوعي الديني بين الناس في معالجة النزاعات الحاصلة بين أبناء المجتمع والتي وصل بعضها إلى حد القتل حيث نتيجة الحرب الأخيرة في العراق أصبحت الاقتصاد العراقي مرتبطاً بالدولار وقد كان ارتفاعه وانخفاضه في السوق يؤدي إلى حصول كثير من المشاكل حيث قام السيد (قدس سره) بحلها فقيماً وبشكل يضمن العدالة الكاملة بين جميع الأطراف مما شجع جميع الأطراف المتنازعة إلى اللجوء للحوزة الشريفة في حل قضاياهم. يُنظر المشروع السياسي والاجتماعي للسيد محمد الصدر، هاني النجار، ص ٢٢١.

فيه دروسه وابحائه العالية، وهذا الاتصال المباشر وغير المباشر بالأمة ساهم بشكل كبير وسريع في انتشار حالة الوعي الديني لدى الأمة، وعزز أو اصر الارتباط بالقيادة الدينية المتمثلة بشخصه المبارك بشكل أذهل جميع المراقبين للساحة العراقية.

(٦) إحياء المناسبات الدينية، بعدما طالها الإهمال والتضييع والتغيب:

حيث (وجهه السيد (قدس سره) دعوة إلى جميع الشعراء والرسامين والنحاتين إلى المشاركة في الوعي الديني الذي حصل في المجتمع فطلب من الشعراء أن ينظموا قصائد المدح بمناسبة بيعة الغدير والمشاركة في المسابقات الشعرية التي تنظمها الحوزة الناطقة وكذلك دعا الرسامين والنحاتين إلى المشاركة في تخليد صلاة الجمعة في العراق وإقامة معرض بذلك بتاريخ (١٩/٩/١٩٩٨)).^{١١٤}

(٧) إقامة صلاة الجمعة التي تمثل رأس الحربة في مشروعه الرسالي وفي أكثر من سبعين مكاناً مختلفاً في وسط وجنوب العراق، وقد أسهمت هذه الصلاة بكسر حاجز الخوف الذي سيطر على قلوب العراقيين جراء الممارسات القمعية والاجرامية من قبل السلطة، حتى إن السيد (قدس سره) كان يقول في إحدى لقاءاته المسجلة: (في الحقيقة أنا أعتقد بأننا بُعِثنا من جديد بأننا أُحِينا بعد الموت في وجود صلاة الجمعة المقدسة في الحقيقة حتى لو كنا نقول كما هو الصحيح طبعاً الجمعات مقامة في لبنان وفي غيرها وفي البحرين وفي باكستان وفي إيران لكنه ليس كالجمعات التي هي موجودة الآن ونفذت بعون الله).^{١١٥} فقام السيد الصدر (قدس سره) بنقل الجماهير نقلة نوعية من خلال إقامته لصلاة الجمعة المباركة، حيث كانوا بحاجة إلى متنفس. ولهذا تمسك السيد الشهيد

١١٤ - المشروع السياسي والاجتماعي للسيد محمد الصدر، هاني النجار، ص ٢٢٣.

١١٥ - إحدى اللقاءات المسجلة صوتياً للسيد الشهيد الصدر (قدس سره).

(قدس سره) بها بعد أن وجد ضالته فيها رغم كل التهديدات والوعيد الأمني بالتصفية والاعتقال .. ولكن هذا لم يفت السيد الشهيد فملك قلوب أتباعه وأصبح الأمر والنهي والحاكم الحقيقي لتلك القواعد الشعبية وتاهت السلطة الحاكمة في هذا المد والجزر.. ويمكننا أن نذكر عدة آثار أوجدتها صلاة الجمعة بين الحوزة الشريفة والأمة منها:

- كانت الصلة ضعيفة بين المرجعية الدينية وحوزتها في النجف وبين الأمة، فجاءت صلاة الجمعة لتكسر طوق العزلة وضعف الصلة بين الجماهير والمرجعية الدينية.
- أوجدت هذه الصلاة المليونية الوعي العقائدي والفهمي والأخلاقي بين صفوف المصلين وعوائلهم مما جعلها مدرسة لتعليم فكر أهل البيت (عليهم السلام) .
- إنها خلقت عند الجماهير حافز الطاعة للمرجعية وعززت روح المبادرة عند المصلين على اختلاف مستوياتهم الإيمانية .
- دربت الكوادر الرسالية على أساليب العمل وأكسبتهم الخبرة اللازمة لقيادة الجماهير.
- كما أكدت بحضورها القوي على تقوية الروح الجماعية للمسلمين وإطاعة جميع التوجهات والمبادرات الصادرة من قبل السيد الصدر .
- أخرجت المجتمع العراقي وخاصة المذهب الشيعي من حالة الدفاع السلبي وتلقي الضربات المعادية بشكل مستمر إلى حالة الدفاع الايجابي المرتكز على الجماهير المليونية .
- إنها أعطت الفرصة الكافية للعمل الاصلاحى وقد أصبح من الواضح تماماً رؤية ذلك التأثير الإصلاحي في البنية الاجتماعية للمجتمع العراقي .

- إنها ساهمت في زيادة أعداد المقلدين والأتباع للسيد الصدر (قدس سره) مما أدى إلى توسع القاعدة الجماهيرية له بمرور الأيام وبشكل ملحوظ.
 - سببت صلاة الجمعة خوفاً شديداً لأعداء الإسلام وعلى جميع المستويات وقد كتبت بعض الصحف الغربية والإسرائيلية تقاريراً عن شخص السيد الصدر (قدس سره) وعن مشروعه الإصلاحي.
 - نجحت صلاة الجمعة بإقامة المشروع الإيماني الحضاري الذي استوعب الجميع، وكان من ثمارها (المحكمة الشرعية، ولوائح العشائر المنظمة، والمؤسسة الإعلامية الرسالية).
 - أوصلت صوت السيد الشهيد بقوة إلى أغلب أبناء المجتمع في داخل العراق وخارجه وقد تأثر به الكثير فسارع جملة منه إلى تقليده والعمل بارشاداته.^{١١٦}
- (٨) تحرير المجتمع من ربكة المخالفات الشرعية والانحرافات الاخلاقية والاجتماعية والانشغال بالرياضة والفن والاعلام المضل وسائر الوسائل الملهية عن المسؤوليات الفردية والاجتماعية، بالإضافة إلى مبادرته (قدس سره) بتحويل الفن المُجبر لخدمة السلطة وللأغراض الدنيوية والسطحية الفارغة إلى أغراض رسالية واصلاحية هادفة، وكمحاوله منه (قدس سره) في هذا الاتجاه قام بتوظيف هذا الفن في عرض النجاح الذي حققته صلاة الجمعة المباركة (فأخذ يحث أئمة الجمع على انتقاد الظواهر السلبية في المجتمع من خلال صلاة الجمعة مؤكداً إلى ضرورة انتقاد النظام بين فترة وأخرى وأن لا يكونوا مهادين على طول الخط، وكان يعبر عن ذلك بقوله: (إذا أرخو الحبل فشدوا وإذا شدوا فأرخوا) وكان يحث الطلبة جميعاً على ذلك ثم أمر بعد ذلك جميع أئمة الجمع بارتداء الكفن أثناء الخطبة

١١٦ - يُنظر المشروع السياسي والاجتماعي للسيد محمد الصدر، هاني النجار، ص ١٦٨ و

فكانت لهذه الخطوة إثارة كبيرة على المجتمع والنظام، حيث كان السيد (قدس سره) يريد من وراء ذلك أن يقول للجميع: إن عليكم أن تنصروا دينكم من خلال إقامة الشعائر الدينية مادام الموت حتمياً، ومعالجة محاولات النظام الرامية إلى منعها والقضاء عليها وكذلك إعلام النظام بأننا على أتم الاستعداد لمواجهة الموت في سبيل إحياء الدين والدفاع عنه وهذه أنفسنا مشروعة لذلك وقد قدّم أولئك الوكلاء الكثير من الشهداء قبل وبعد استشهاد السيد الصدر وكان تأثيرهم واضحاً في تلك الجموع الحاشدة التي استطاعوا أن يجعلوها تتبنى الإسلام وتنفذ شعائره بتوصيات وتوجيهات المرجع في جو يسوده الخوف والقمع).^{١١٧} ومن جهة أخرى (أوعز السيد الصدر (قدس سره) إلى مكتبه بإصدار مجلة دينية ثقافية تهتم بشؤون المجتمع والحوزة على أساس المسموح به من السلطة .. وذلك من أجل تقوية العلاقة وتوثيقها بين الشباب الواعي والمركز الديني أو المرجعية الدينية في النجف الأشرف فضلاً عن استقطاب المثقفين العراقيين الذين حمّتهم السلطة من أي لون من ألوان الثقافة الإسلامية الأصيلة بعد حظر السلطة للكتاب الإسلامي وإتلافه ومنعه وملاحقة الحائزين عليه حتى كتب الأدعية والزيارات، وبشكل كبير).^{١١٨}

كما تحدث السيد (قدس سره) عن موضوع الرياضة في إحدى صلوات الجمعة قائلاً: (الرياضة بنفسها مباحة إذا كانت مجانية والتدريب عليها بالمجان أيضاً جائز لأجل تربية البدن وقوته أو قضاء الوقت بالمباحات، ولكنها مع ذلك مرجوحة أخلاقياً لأن فيها طلباً للدنيا وصداء عن ذكر الله سبحانه وتعالى حتى المجانية فضلاً عن التي يكتسب بها المال، وإنما تمسك بها الغرب الكافر - هي في الحقيقة جاءتنا

١١٧ - المصدر نفسه، ص ١٥٧.

١١٨ - المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

من الغرب الكافر ليس أكثر من ذلك، وهم يريدون أن نتصف بصفاتهم يسحبونا لهم. نقول لهم رغما على انفسكم انتم اعداءنا ولا نخضع لكم ولا طرفة عين .. وانما تمسك بها الغرب الكافر لعدة أسباب:

السبب الاول: إنهم فارغون من الوازع الاخلاقي والديني ومن الاعتقاد بالآخرة، فهم يودون قضاء فراغ الوقت بما هو مؤنس ومفرح. وليس لديهم إلا الرياضة والالعاب الجماعية، في حين انه في الدين والاخلاق لا يوجد فراغ في الوقت للمؤمن اصلا لا يوجد وقت الا وفيه طاعة لله سبحانه وتعالى الا اذا كان الفرد من الغافلين.

السبب الثاني: انهم يطلبون الربح بكل سبب. ومن هنا نجد إنهم لا يتورعون طبعاً، ربح من أي سبب. ومن هنا نجد إن المصارف ربوية وهي محرمة بضرورة الدين، ونجدهم يعملون على أي ربح حتى السرقة، وكثير من طبقات المجتمع تسرق وشركات السرقة في امريكا وايطاليا كالنار على المنار وأشهر من أن تذكر.

السبب الثالث: .. أفضل طريقة في نظر السياسة الغربية هو الهاء شعوبهم عن مشاكلهم ومظالمهم لتلافي المظاهرات والاحتجاجات عندهم، ومنع العنف المحتمل عندهم على اية حال. ومن هنا تكثر الملاهي والحانات والسينمات وأنواع الرياضة وأنواع اللعب، ثم سرت أساليب الرياضة إلينا عن علم منهم وعمد ونحن نجعل بحالنا وبعلاقتنا معهم وتخيلناها شيئاً جيداً وحسبناها عزا وفخرا ولم نلتفت إن فيها عبودية وذلك من ناحية، وخروجنا عن تعاليم ديننا الحنيف من ناحية أخرى، والغرب دعم ذلك وأيده فينا وفي بلادنا لعدة نتائج:

أولاً: إلهاء المسلمين عن واقعهم المعاش ومشاكلهم وترك الاحتجاج والمناقشة والعنف وخاصة التغافل عن البلاء الوارد علينا من جانب الغرب الاستعماري نفسه، ومطالبة المسلمين والشعوب المستضعفة بحقوقها.

ثانياً: صد المسلمين عن دينهم فإنها سبب (أي الرياضة) سبب واضح لعدة أمور ضد الدين كترك الصلاة والصيام واجتماع الجنسين بشكل غير مشروع وابراز الاعضاء الداخلية للرجل والمرأة وهكذا .. وهذا كله مما لا ترضاه الشريعة.

ثالثاً: اسقاط أهمية الدين والهدف الديني في نظرنا. الهدف الديني في نظرنا صحيح لكن هذا ينبغي في نظرهم إن يسقط ويتحول نظرنا من الهدف الديني إلى هدف كرة القدم! (خزيا لنا وعارا !!) وجعل الهدف الأسمى في نظر الأكثر هو أخذ الأهداف في كرة القدم. وإذا كان الهدف هو هذا الهدف فأتعس به كم قال الشاعر:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها

رابعاً: منع التكامل لإفراد المجتمع في المجتمع المسلم، لأن الفرد عندئذ يقضي الوقت كله أو اغلبه في لعب الرياضة أو التفرج عليها أو سماع اخبارها او الذهاب الى الملاعب او السفر اليها، ويبقى الوقت الباقي لديه يقضيه في ضرورات حياته واسرته ولا يبقى لديه وقت آخر لكي يقضيه في تكامله العلمي والعقلي والديني والروحي. وبهذا يخطط الغرب الكافران يكون الجهل والتدني هو الصفة العامة للمجتمع في العالم كله وليس على العراق والشرق الاوسط فقط وانما كل الشعوب المستضعفة حتى (ببلعهم ويشرب عليهم الماي) يكونون لقمة سائغة له ولارباحه ولاطماعه ولكبريائه. وبهذا يخطط ان يكون الجهل والتدني هو الصفة العامة للمجتمع في العالم ليسهل للمخططات الاستعمارية التفشي فيها وانجاحها عسكريا واقتصاديا وعلميا وغير ذلك فالنصيحة الاكيدة لشبابنا الناهض الواعي ان يلتفت الى مصالح نفسه ومجتمعه ويسقط اهمية الرياضة والرياضيين عن نظر الاعتبار ويخاف الله سبحانه وتعالى فقط. فان كل هذه الدعايات والعنايات انما هي مصيدة له لإدخاله في فخ الشيطان ويكون حب الرياضة انما هو حب للمخططات

الاستعمارية من حيث نعلم او لا نعلم ونكون قد اعنا الاستعمار الغاشم الظالم على انفسنا وامكانه من بلادنا من حيث نعلم ولا نعلم.^{١١٩}

ومهذا استطاع السيد (قدس سره) أن يربط الناس بالمسلك الديني الذي ينتشل الناس من مستنقعات الضلالة والجهل والاستعباد ومن بين أهم مظاهر هذا الارتباط هو الارتباط بالقيادة الدينية المتمثلة بالمرجعية الصالحة كما (استطاع (قدس سره) أن ينتشل الجماهير من مستنقع التغريب والتحريف الذي مارسه الاستعمار والنظام في عملياته التثقيفية وغسل الدماغ على مدى العقود طويلة لفصل الناس عن الإسلام وجعله مجرد اسم في حياة الناس لا تأثير له لذلك فقد قال السيد (قدس سره) عن حركته الإصلاحية: (لقد هدمت مخططات ألف سنة) فقد أعاد الإسلام إلى واقع الحياة وأعاد الإنسان إلى ذاته وإلى إسلامه وبيان حقيقته وهو عن طريق يجسده سلوكياً وأن يعيش مظاهر الإسلام في كل مستويات حياته وقد اظهر العقيدة والفقه بالمظهر الأخلاقي العظيم لتنفيذ مباشرة إلى قلوب الناس فتجذبهم إلى الإسلام من خلال الاندكاك في مشروعه والتسابق لاحتلال الموقع والمشاركة العملية فيه.^{١٢٠}

٩) الاهتمام الكبير بالمجتمع العشائري وربطه بالمرجعية والحوزة الدينية، لأجل المحافظة عليه من خطر المسخ التريوي والاجتماعي والديمغرافي الذي مارسته السلطة مع العشائر (ويمكن اعتبار السيد الصدر (قدس سره) من أوائل الفقهاء الذي وضعوا فقهاً خاصاً للعشائر العراقيين عالج فيه التناقض في البنية الفكرية لتعدد الولاءات فيقول بهذا الخصوص: (نوجه كلامنا إلى العشائر عامة، وإلى رؤساء العشائر ومشايخها خاصة، من حيث ان الكل يعلم، ان النظام الذي

١١٩ - صلاة الجمعة الخطبة الثالثة عشر.

١٢٠ - المصدر نفسه، ص ١٤٦.

يمشون عليه في عشائريهم، ويطبّقونه هناك بينهم، أغلبه بل كله نظام باطل، وغير شرعي، وغير مرضي لله عز وجل. ونحن لا نريد من أي أحد مؤمن وشيعي أن يرتكب شيئاً خطأ، أو عصياناً بل نريد من المجتمع كله عامة، ومن العشائر خاصة، أن يكونوا صالحين ومتورعين وسائرين باتجاه رضا الله سبحانه، وشفاعة المعصومين (عليهم السلام)) وقال قدس سره أيضاً: (ينبغي الإشارة، هذا ما لم اقله في الخطبة أن المسئلة لا تعين مذهبا ودينا معيننا حتى العشائر من أبناء العامة لا ينبغي أن يلتزموا بغير الإسلام أنا ما أقول يلتزموا بالتشيع وأن كان هذا بيننا وبين الله صحيح، لكنه قد يلتزمون بأحكام علماهم لا بأحكام ظلمتهم في الحقيقة، ليس لها معنا سوى كانوا سنة أو شيعة أو زيدية أو أي شيء من المذاهب وألا دينا الأخرى... (وهذا دون شك أحد مظاهر خلافة ضد السلطة آنذاك... كما نجح السيد الشهيد (قدس سره) في إعادة توازن العلاقة بين الحوزة والعشيرة التي كانت قد خضعت إلى انكماش بسبب التحولات السياسية في العراق كما استطاع من سحب الورقة العشائر من يد السلطة وفق منهج صراع هادئ ومتدرج معها كما تمكن من إيجاد نوع من التكامل في دور الوسط العشائري في بقية أدوار الشرائح الاجتماعية الأخرى في مشروعه الاجتماعي السياسي العام).^{١٢١}

١٠) لم شمل المجتمع طائفيًا ومذهبيًا، ودفع المجتمع باتجاه الوحدة الدينية والقومية ودحر أسلوب التفريق الاجتماعي الذي يتعمده الحزب البعثي مع أبناء الشعب لذا (حازت خطوات السيد الصدر الثاني (قدس سره) هذه استحسان ورضا الكثير من طبقات المجتمع ولاسيما من أخواننا أبناء السنة والنصارى فضلاً عن أبناء المذهب وعبر البعض منهم عن مشاعرهم هذه قائلين: (إننا لم نسمع بمرجع شيعي بهذه العدالة وبهذا الذكاء والشجاعة والروح الأبوية والتفاني من

أجل المجتمع... ويبدو أن السيد الصدر (قدس سره) بنى علاقات مع أهل السنة .. وأصدر توصياته بالانفتاح على الأوساط السنية من أهل الجماعة والتعاون معهم وحضور مساجدهم والصلاة خلفهم .لذلك فقد استطاع قدس سره من بناء علاقات وثيقة مع أهل السنة بشكل جعلهم يأتون إلى مسجد الكوفة للمشاركة في صلاة الجماعة وكان يستقبلهم ويحييهم في خطبة صلاة في الجماعة لذلك نرى أنه صرح في إحدى خطبه أن الملحوظ في هذه الأيام أن كثيرين من إخواننا من أهل السنة من رجال الدين وغيرهم يحضرون صلاة الجماعة والجمعة عندنا أو يحتمل قيام أي فرد ذلك في يوم من الأيام مع شديد الأسف إنني خاطبت أهل السنة والجماعة بالصدقة والعلاقة والحق أن تجاوب واضح ومسر ومنتج و أفضل النتائج ويلاحظ أنه قد ظهر تأثير تلك العلاقة الوطيدة بعد استشهاد السيد الصدر بصورة واضحة ومن أئمة الجمعة في المحافظات الأخرى فقد اتخذت السلطات إجراءات شديدة لمنع صلاة الجمعة في مناطق الشيعة أو في المساجد الشيعية فأخذ المصلون الشيعة يحضرون صلاة الجمعة في المساجد السنية حيث يجدون كل ترحيب وتفاعل من قبل أئمة جمعة السنة ويؤدون أنصار ومقلدين ووكلاء الشهيد الصدر مما أضطر السلطات إلى غلق بعض المساجد السنية وعندما شن النظام حملة اساءة ضد الشيعة أدان بعض علماء السنة وخبائهم في الرمادي و الاعظمية تلك الخطة التي تستهدف الوقية بين السنة والشيعة).^{١٢٢}

(١١) الحث الأكيد على عدم الارتباط به (قدس سره) شخصياً بل الارتباط به كشخصية قيادية تولت منصب زعامة وقيادة الحركة الدينية في هذه المرحلة، ويجب على الأمة طاعة من ينوبه ويخلفه بعد رحيله عن الدنيا وعدم التمسك بالشخص والتبس على اعتاب طاعته وتصنيمه وتألمه حتى بعد موته، وعلى الأمة

أن تشعر بولائها وطاعتها للدين وللحوزة لا لعبادة الذوات والأشخاص، لكي لا تتفوق أو تنكمش أو تتراجع عن الاستمرار في المشروع الرسالي بعد رحيله، لأن ذلك يؤدي إلى ضياع الكثير من الانجازات التي تم تحقيقها وبيعثر الامكانيات وفي ذلك خذلان للقائد السابق وكذلك للقائد اللاحق أيضاً، وكان (قدس سره) يؤكد على الارتباط بالله تعالى وبقرآنه المجيد وبالمعصومين الأطهار (عليهم السلام) قائلاً: (... لا يجوز لكم، ان تجعلوا موت السيد محمد الصدر سبباً وذريعة لذلة الإسلام والتشيع، وتفرق الكلمة وكثرة المشاكل. بل الحوزة الشريفة تبقى بعون الله، وجملة من المراجع يبقون بعون الله. فتمسكوا بالحوزة، واستمروا على شرفكم، وعزتكم الدينية، وشجاعتكم القلبية، وعنايتكم بالمصالح العامة. ولا يجوز ان يحول دون ذلك أي شيء، حتى موت هذا العبد الخاطيء، الذي هو السيد محمد الصدر. وكذلك يوجد فيكم الكثير ممن يخطب على حد تعبير الروايات، ومن هو صالح لإمامة الجماعة والجمعة، وليس انه حين يموت السيد محمد الصدر، يموت الكل أعوذ بالله أولاً وبكم من ذلك، وبالأساس فان الحوزة هي التي تستطيع ان تبادر إلى ذلك، والمرجع الجديد. لو صح التعبير. وان لم يكن متفقاً مع السيد محمد الصدر بكل التفاصيل، إلا ان المهم فيه، هو الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية، وانصاف الناس من نفسه، كما قيل في الحكمة: (قل الحق ولو على نفسك) وادراك المصالح العامة. فإن وجدتموا شخصاً من هذا القبيل فتمسكوا به، وإلا فدعوه إلى غيره. فان الانانية في المرجعية، هي العنصر الغالب مع الاسف جيلاً بعد جيل، وهذا هو المضر حقيقة في الحوزة خاصة، وفي المجتمع عامة. فاتبعوا شخصاً من المجتهدين ليس له مثل هذا الطبع، بل له اتجاه التضححية في سبيل الآخرين، وبذل النفس

والنفيس في سبيل دينه ومذهبه. وهذا امر يطول فيه الحديث وليس الان محل الاستمرار فيه).^{١٢٣}

(١٢) القضاء على محاولات التدجين الأمريكي للشعب العراقي والخضوع لهيمنة الأمريكية العالمية:

لم يهمل السيد الشهيد الصدر (قدس سره) ذكر وتحليل التدخل الأمريكي السافر في الشأن العراقي وسائر دول العالم، وما ترمي إليه الإدارة الأمريكية، من مخططات شيطانية في المنطقة، وعلى الرغم إنه (قدس سره) كان يعيش تحت وطئة التقية في ظل النظام الصدامي الظالم الذي يحتم عليه السكوت عن المطالب السياسية إلا أنه تطرق إلى هذا الموضوع في إحدى خطب الجمعة المباركة بشكل لا يثير السلطة الحاكمة، بل جعل خطابه الشريف حسب ما يبدو ظاهراً يناغم رؤى السلطة في معاداتها لأمريكا، في حين إنه (قدس سره) كان يقصد النظام الحاكم بالذم ويشير إلى ذلك بإشارات خفية يفهمها أوالوا الألباب، حيث قال (قدس سره): (من جملة المشكلات التي مر بها الشعب العراقي خاصة والمجتمع في العالم عامة القصف الامريكي الذي تعرض له المجتمع هنا ولا ينبغي ان تكون الحوزة الناطقة المجاهدة ساكته عن ابداء رأيها فيه ولا شك انه لا يمكن ابراز جميع النتائج المتيسرة والعبر المتوفرة ولكن نقول بمقدار ما هو ممكن وعلى الله التوكل في الشدة والرخاء وذلك ضمن عشرة نقاط:

النقطة الاولى: ان هذا الوضع العالمي القائم على انقاض ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي والذي سمته امريكا في حينه بالنظام العالمي الجديد انما هو نظام استعماري مشؤوم قائم على تفرد امريكا بالعالم وهيمنتها عليه وفرض ارادتها على كل جهاته من دول وشعوب واحزاب ومنظمات. وكل من يخالفها فإنها تكيل له

الصاع صاعين كما يعبرون. هذا النظام يجعل منها الطاغوت الاول والشيطان الاكبر ويخرجها عن الانسانية وحسن التصرف إلى الظلم الكاملوا الطغيان المحض. النقطة الثانية: ان امريكا وان زعمت تحكيم سيطرتها على كل العالم حتى اصبح العالم تجاهها كالقرية الصغيرة كما يعبرون الا انها لن تستطيع ازالة ايمان المؤمنين وقوة الشجعان المجاهدين فإنها ان استطاعت السيطرة على اجسادنا فإنها لن تستطيع السيطرة على قلوبنا وعقولنا ونفوسنا (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً).

النقطة الثالثة: انها انما تتدرع بالسلاح الدنيوي الذي مهما بدى لنا مهما وعظيما فانه مؤت وزائل لأنه انما يمثل طرف الدنيا وما فيها ومن فيها وهو طرف مضمحل وهين وحقير واما المؤمنون فناصرهم الله سبحانه وتعالى كما قال في كتابه الكريم (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وهم المؤمنون واثقون به ومعتصمون به ومتوكلون عليه ويعلمون انهم لم يخلقوا لهذه الدنيا الفانية بل لأجل الآخرة الباقية وفي الرواية (ان الدنيا والآخرة ضربتان لا يجتمعان)) وكذلك فان الحوزة والاستعمار ضربتان لا يجتمعان).

النقطة الرابعة: ان امريكا تحاول تسخير اكبر مقدار من عدد الدول تحت ارادتها وسيطرتها وربما كل الدول على الاطلاق وكل من وافق على ذلك وتعاون معها فهو لعبة في يديها وتحت استعمارها بكل تأكيد حتى الدول الاوربية التي تود الاستقلال عن النظام الامريكي فإنها تبدو في كثير من الاحيان لعبة بيد هذا النظام المشؤوم فمثلا بريطانيا التي كانت لها الزعامة في العالم حتى كانت تسمى نفسها بريطانيا العظمى اصبحت الان مستعمرة بسيطة بيد امريكا تستخدمها متى تشاء لانجاز مصالحها الخاصة وفي اعتقادي ان هذا منها تنازل مقيت وذلة لا موجب لها.

النقطة الخامسة: اننا نعتقد ان هذا النظام الظالم غير دائم بل هو الى زوال مهما كانت نتائجه وذلك من عدة جهات منها:

أولاً : انه يقول في الحكمة: (ان الظلم لا يدوم).

ثانياً : إن الله تعالى يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين.

ثالثاً: إنها الآن وبكل وضوح موكولة الى نفسها وملتفتة إلى جبروتها فتكون مصداقاً واضحاً من قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ). اذا فهذا الوعد آت من الله سبحانه وتعالى لا محال لوكن الجدل في كونه قريباً او بعيداً.

رابعاً: إننا نعتقد إن مستقبل البشرية الى خير وصلاح وعدالة حينما يظهر القائد المنتظر فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ولن يقوم اي ظلم ولا إلى أي قسوة بعدها قائمة ولا امريكا ولا غيرها وفي الروايات ما يدل على أن اليهود سيعانون من الذلة والقسوة بيد المؤمنين قبل ذلك حتى ان الحجرينادي المؤمن ويقول هذا يهودي خلفه فاقتله.

النقطة السادسة: إن أمريكا تريد بهذه الاعمال ان تجعل عدوها كبش الفداء بحيث يكون عبرة للعالم كله باعتبار انها كما صنعت به يمكنها ان تصنع بغيره وبذلك تضرب حجرين في هدف واحد وليس بإزاء ذلك الا قوة الارادة وقوة الايمان والصمود والاتحاد ضد هذا النظام العاشم الظالم عن الوجود.

النقطة السابعة: حسب علمي فان الامر بالهجوم في اي وقت وعلى اية دولة موكول الى القرار الذي يصدره الرئيس الامريكي الموجود في اي وقت وهذا يعني ان القرار الظالم سوف يعود بالحكمة الالهية والقدرة الالهية على نفس هذا الرجل الذي

اصدر هذا القرار بالبواب والخسران كما سبق ان حصل فعلا لكارترووبوش بما فعلا من مظالم على المؤمنين في الشرق المسلم لا اقل اننا نلتفت ان من حق اي رئيسي امريكي ان ينتخب لفترتين من الرئاسة في حين يخسر الظالم منهم فترته الثانية بكل تأكيد بقدرة الله وحسن توفيقه كما خسرها كارترووبوش فعلا (كولوا لا!) وهذا ما يتوقع حصوله لكننتون بالتأكيد بل الأمر أكثر من ذلك فانه من المتوقع ان يحاكمه مجلس الشيوخ الامريكي لفضيحة اخلاقية ويعزله عن الرئاسة ويخسر حتى فترة رئاسته الاولى فضلا عن الثانية.

النقطة الثامنة : إننا نجد باستمرار ان كل مؤامرة يقوم بها الغرب والاستعمار ضد الايمان والمؤمنين فان الله تعالى يجعلها حسرة في صدورهم ويجعل نتائجها الى مصلحة الدين وشريعة سيد المرسلين وهذا ما رأيناه في القريب والبعيد مما حصل من دسائس ومشاكل حتى هذا القصف الامريكي الاخير فنه طور المؤمنين بفضل الله سبحانه وتعالى عقلياً ونفسياً وايمانياً وفتح اعينهم على حقائق كان يمكن ان تكون غائمة او مجهولة فيما سبق ونشعر فعلا انه سبب عزة الحوزة والمذهب وشجاعتها وحدية هدفها اكثر من ذي قبل وان خساً الكافرون. نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم.

النقطة التاسعة : انه من الواضح في التجربة ان كل حروب امريكا ومؤامراتها نها تجارية تفتعلها لاجل استنزاف الشعوب البائسة اقتصاديا واجتماعيا لأجل ايفاء النقائص التي قد تحصل في ميزانيتها خلال اي عام وبالطبع انه كما قيل في الحكمة (ان السياسة لا قلب لها) فكلما كان الامر يجر لها نفعا اندفعت نحوه وورطت نفسها فيه سواء مع اعدائها او مع اصدقائها على حد سواء وتعود النتائج السلبية

حقيقة على الشعوب المظلومة المهتزمة عامة وعلى المؤمنين خاصة وهي متعمدة في ذلك.

النقطة العاشرة : انهم زعموا ان القصف قد حقق اهدافه وقد كذبوا وانما كان انتهاؤه تنازلاً وتخاذلاً من قبلهم. نعم هو قد حقق اهدافه في الحكمة الالهية من حيث لا يدرون من باب ما نسمع من الحديث القدسي الذي يقول : (الظالم جندي انتقم به انتقم منه) فهو كما كان انتقاماً للذنوب والعيوب الكثيرة المتفشية في المجتمع يكفي ان نلاحظ ونلتفت اننا قد قصرنا تجاه الامام الحسين (عليه السلام) فجاء رد الفعل في الحكمة الالهية سريعاً وقويًا ومنتظر من رحمة الله سبحانه وتعالى ان يطبق الفقرة الثانية من هذه الحكمة لأنه يقول (انتقم به وانتقم منه).^{١٢٤}

(١٣) إن تحلي السيد الشهيد الصدر (قدس سره) بصفة قوة القلب وامتلاكه لكاريزما القائد الشجاع المسدد بالإضافة إلى السمات القيادية الأخرى، جعلت المجتمع العراقي يتأثر به ايجائياً ونفسياً، وساعد المجتمع في الخروج تدريجياً من حالة الركود والخوف والاستسلام التي انتجها النظام الصدامي طيلة مدة حكمه التعسفي الظالم، حيث لمس المجتمع العراقي وبمختلف انتماءاته وتوجهاته من السيد الشهيد (قدس سره) هذه الصفات الثورية فهو لم يقبع في زاوية الدفاع وممارسة التقية المكثفة من السلطة بل راح يتقدم خطوات حثيثة نحو مهاجمة السلطة، وأبدى رأيه وموقفه بصراحة من أمريكا وإسرائيل وبريطانيا والوهابية وحركة طالبان الافغانية ومنظمة منافقي خلق الايرانية ومن جهة أخرى صرح بمؤازرته وتأييده للشعب الفلسطيني المظلوم ولحزب الله في لبنان، فكان (قدس سره) (يؤكد على أتباعه للبحث عن صفتين في المرجع القائد ويدعو إلى تحقيقهما بدرجة من الدرجات ويعتبرهما خلاصة وصايا الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم

أجمعين) والعلماء الصالحين وهما طيبة القلب وقوة القلب. وإنهما لتستحقان هذا الاهتمام والتركيز لأنهما مبعث حصول خصال الخير والكمال ومنهما تترشح، فطيبة القلب تبعث على الرحمة وحب الآخرين والتسامي عن الحقد والغل والأنانية والحرص وغيرها وتدعوا إلى بذل الوسع في قضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم، ووصاياه (قدس سره) في تحصيل هذه الصفة كثيرة من خلال خطاب الجمعة ولقاءاته الأخرى وورد في رسالته الكريمة الموجهة إلي قبل استشهاده بعام ونصف تقريبا وجاء فيها (أنت تعلم إنني كنت ولا زلت أعتبرك أفضل طلابي وأطيبهم قلبا وأكثرهم إنصافا للحق بحيث لو دار الأمر في يوم من الأيام المستقبلية بين عدة مرشحين للمرجعية ما عدوتك لكي تبقى المرجعية في أيدي منصفين وقاضين لحوائج الآخرين لا بأيدي أناس قساة طالبين للدنيا) وقوة القلب مبعث الشجاعة والإقدام والحزم وقوة الإرادة والغضب لله تبارك وتعالى ورفض الظلم والباطل والانحراف ونحوها من الصفات، وكان (قدس سره) يصرح بان لدي من قوة القلب ما يكفي لاتخاذ القرارات التي يعجز الآخرون عن اتخاذها ولكشف الحقائق التي يداهن الآخرون في إخفائها. وفي إحدى خطبه المباركة في مسجد الكوفة قال ما مضمونه أن الاستقامة على جادة الشريعة صعبة للغاية لكنها في نفس الوقت سهلة للغاية لأن حقيقتها قوة الإرادة والعزم الصادق، وهاتان الملتكتان (طيبة القلب وقوة القلب) هما قوام القلب السليم الذي ينجو من أتى الله به يوم القيامة [إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ].

وكان (قدس سره) يحذر من الرجوع إلى الأنانيين وطلاب الدنيا المتلفعين بعبادة القداسة المصطنعة ليحتجوا بها عن عامة الناس، لأنهم لا ينظرون إلى هؤلاء الناس إلا كهمج رعا يعقلون أيديهم ويدفعون إليهم أموالهم التي تضيع في فيافي بني سعد كما قال (قدس سره) في بعض حواراته المسجلة. وليس لهم هم إلا مداراة

مصالح الخاصة من ذوي النفوذ والمال والجاه الذين يسميهم القرآن الكريم (الملا) والذين كانوا يقفون دوماً ضد الحركات الرسالية الإصلاحية وعلى رأسها رسالة الإسلام المباركة ولا يريدون للأمة أن تكون واعية بصيرة بالأمور لأن ذلك يعني رفضها للتخلف والجهل والتكبر والاستئثار والامتيازات غير المنصفة للمستبدين.

فعمل (قدس سره) بشكل لا يعرف المداهنة والمجاملة على فضح هذه العلاقة غير الشريفة التي يحصل من خلالها الملا على مصالحهم وإدامة نفوذهم وشرعية استئثارهم مقابل صنع الهالة المقدسة الزائفة لأصنامهم البشرية مخالفين بذلك وصايا أئمتنا سلام الله عليهم في بذل الوسع لخدمة عامة الناس وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم، وإن سخط المترفون والمستأثرون ومنها ما ورد في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر (وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنْ سُخِطَ الْعَامَّةُ يُجْحَفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخِطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُدْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ، وَمَمْلِكْ مَعَهُمْ) ومن ضمن تحذيراته قوله (قدس سره): (لقد حررتكم من مخططات ألف عام فلا يستعبدكم احد بعدي).^{١٢٥}

١٤) نشر الوكلاء وفضلاء الحوزة بشكل مكثف وسريع بين أبناء المجتمع حتى نُقل عنه إنه قال (قدس سره): (أريد ان اجعل في كل بيت طالب علم معم) وذلك لأجل خلق جو ايماني يدفع المفساد والانحرافات التي تسببت بها السلطة، وقد حرص

السيد على أن يكون وكلائه والمرتبطون به من شريحة الشباب المثقف الرسالي لأجل سهولة التأثير بباقي شباب الأمة وتوعيتهم وهدايتهم ف(حاول السيد الشهيد (قدس سره) أن ينظم عدد المقبولين في الحوزة بحسب توزيعهم الجغرافي لمناطق سكناهم وذلك من أجل ربط المجتمع بالحوزة عن طريق رجال الدين لذلك تقرر قبول عدد معين من كل منطقة على أن يكون هذا العدد كافياً من أجل التوعية وأراد الناس كذلك حث الكثير من الطلبة على إقامة صلاة في مناطقهم وفي قابلية مع الشيك كاظم العبادي الناصري تحدث يقول أن عدد الطلبة زمن السيد الشهيد الصدر (قدس سره) وصل حوالي إلى أربعة آلاف طالب في النجف وحدها وهذا العدد لم تألفه الحوزة في ظل النظام القائم آنذاك، كما لم يجز السيد (قدس سره) للطلبة خلع زيهم الديني أثناء سفرهم إلى محافظاتهم وذلك لأن الزي الديني يضيف جواً إيمانياً بين المجتمع ويذكرهم بالحلال والحرام بالإضافة إلى عامل التحدي الذي يشكله ارتداء هذا الزي ضد أعداء الدين والتدين ... فقد أولى السيد الصدر (قدس سره) شريحة الشباب اهتماماً كبيراً وذلك بعد نقد اغلب مصادر الانحراف والانحلال والثقافة المنحرفة التي تسوغ للشباب والانحراف والانحلال الاخلاقي حيث أخذ يوجه نقده للغرب واعتبره كافراً أو جاعلة المسؤول الأول عن بعض مظاهر الانحراف في المجتمع فيقول: (تسربت ألينا هذه العادات (الملاهي والحانات) عن قصد وعمد من المغرب ونحن بنفس الوقت نجهل ماذا وراء القصد من ذلك من ذل وعبودية من ناحية وخروج من تعليم ديننا الحيف من ناحية أخرى . والغرب دعم ذلك وأيده فينا وفي بلادنا) وأخذ يؤكد (إن شغل الفرد بأمور بعيدة عن تعاليم الدين الحنيف وشؤون مجتمعه ودينه تؤدي إلى مسخ المجتمع وابتعاده عن الإبعاد العلمية والدينية والروحية) كما انتقد (قدس سره) حالة الانشغال الكبير في الرياضة التي تؤدي حسب رأيه إلى: (منع التكامل في

المجتمع المسلم لأن الفرد في المجتمع المسلم يقضي الوقت كله بلعب الرياضة أو إلا انشغال في التنقل في السفر لمتابعة أنشطتها و يبقى الوقت الباقي يقضيه لضر ورأت حياته وسرته بحيث إنه لا يبقى له الوقت أو حتى متسع من الوقت يقضيه لبناء جانبه العالمين والدين والروح).^{١٢٦}

(١٥) وفي نهاية المطاف قدّم السيد الشهيد الصدر (قدس سره) نفسه وولديه قرباناً لله تعالى من أجل نصرة دينه الحق، لتكون شهادته هي آخر رسالة يوصلها للأمة حتى تستفيق من غفلتها وثانياً يثبت براءته من التهم الباطلة الموجهة إليه من أذئاب الحوزة الساكطة والسلطة البعثية وثالثاً لكي يلتحق بركب الأبرار والصالحين في أعالي الجنان عند ربه الرحيم، قال الشيخ محمد مهدي شمس الدين (أن المجتمع الذي خضع طويلاً لتأثير السياسية الظالمة التوجيه من الظالم لا يمكن أن يصلح بالكلام فهو آخر شيء يمكن أن يؤثر فيه إن الكلمة لا يمكن أن تؤثر شيئاً في النفس الميتة والقلب الخائر والضمير المنحدر، كان لابد للجميع من مثال يهزه هزاً عنيفاً).

وبعد هذا الحراك الشعبي الواسع الذي انتجه السيد الصدر الثاني (قدس سره) من خلال نهضته الاصلاحية في المجتمع العراقي ترحزحت صخرة التدجين من مكانها لتفتح الطريق أمام نهر التحرر من قيود الذل والاستسلام، وبالفعل فقد دبت قوة القلب والحماسة وعدم الرهبة من بطش السلطة في قلوب العديد من أبناء الشعب العراقي، لاسيما اتباعه ومريديه لكن الشيء السلبي في هذا الأمر هو إن البعض وللأسف الشديد لم يحسنوا التصرف مع السلطة الحاكمة فأثاروا حفيظتها بسبب بعض التصرفات غير الحكيمة وغير المدروسة والتي لم يرجعوا فيها

١٢٦ - يُنظر المشروع السياسي والاجتماعي للسيد محمد الصدر، هاني النجار، ص ١٧٧ و

حتى الى السيد نفسه كالخروج مشياً لزيارة الامام سيد الشهداء (عليه السلام) في زيارة النصف من شعبان، وكالتصعيد الذي احدثه بعض خطباء الجمعة في الناصرية مع السلطة وبالتحديد التحدي مع دائرة الأمن، مما افقد السلطة توازنها وانتابها حالة هستيرية جعلتها تُعجل في القضاء على رمز القيادة الدينية وتصفية جسدياً، علماً إن هذه التصرفات غير الحكيمة وأمثالها نبّه السيد الشهيد (قدس سره) منها عدة مرات إلى ضرورة صرف الشجاعة والحماسة وقوة القلب بحذر وحكمة ولا ينبغي أن يتعاملوا مع الأمور بالعواطف والاندفاع حتى على مستوى الاهازيج والشعارات عند انصرافهم من صلاة الجمعة فضلاً عما هو أعظم من ذلك. وقد ظلت في جعبت السيد الشهيد الصدر (قدس سره) الكثير من الأعمال الاصلاحية التي أراد القيام بها لهداية الأمة، حتى نُقل عنه (قدس سره) أنه قال: (لو بقيت الحياة لرأوا مني الكثير) لكن الأجل كان الأسبق من أنجازها، هذه هي إرادة الله تعالى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المرجع اليعقوبي وعلاج ظاهرة التدجين

اهتم المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) بعلاج ظاهرة التدجين والاستسلام للذل التي أصابت الشعب العراقي، حيث حذّر (دام ظلّه) من مغبة هذه الظاهرة الخطيرة التي يتعرض لها هذا الشعب المعروف برفضه للظلم وعدم استسلامه للهوان، كما بيّن (دام ظلّه) أبرز الأسباب التي أنتجت هذه الظاهرة، وأيضاً أشار إلى جملة من العلاجات لاستئصالها من جسد الأمة، ونذكر فيما يأتي بعض المقتطفات من الكلمات والخطابات لسماحته (دام ظلّه) التي تناول فيها ذلك:

• (مع الأسف إن العالم ينظر إلى الشعب العراقي باستغراب، لأن الشعب العراقي يعيش حالة لم يصلها أي شعب في العالم ولم نجد منه مظاهرة اعتراض أو تجمع استنكار أو مطالبة بحقوق، فالعالم لحادثة واحدة من الحوادث التي تصيب الشعب العراقي تهب الملايين بالخروج للاعتراض ولا يخافون بطش الحكام، فما الذي يحصل في العراق هنا، يعيش كل هذه الحالة من شعوب العالم ولا يتحرك، هذه الحالة تحتاج إلى دراسة، الشعب العراقي معروف برفضه للظلم، ومعروف بعدم خنوعه وبعدم استسلامه، أعتقد عن السبب الرئيسي في ذلك هو أن العمامة . مع الأسف . دجنت الشعب، وعلمته على الخنوع، وعلى الاستكانة، وكلما يريد الشعب أن يتحرك، لكي يرفض هذا الظلم ويزيله، تقابله بالكلمات التي تعيده إلى السبات وإلى النوم. دور سلمي كبير تؤديه . مع الأسف . العمامة الشيعية، بعدما مارسته العمامة السنوية طيلة ألف وأربعمائة عام، والذين نسميهم وعاظ السلاطين).

• (المسألة أخطر من مسألة تطهير الخطر هو في خنوع العلماء والفقهاء الى رغبات العامة كما ابتلي الفقه السني بمسايرة السلطة ابتلي فقهاء الشيعة بمسايرة

العوام... وهو ما يسمى بـ (البازار)^{١٢٧} .. فقد تكون الفتوى بحسب الدليل الفقهي شيء لكنها حسب العوام تسايرهم بشيء... فالفقه السني أُبتلي بمسايرة السلطة حتى سموا بـ (وعاظ السلاطين) لكننا لسنا بمنأى عنهم، نحن لم نبتل بالسلطة ولا بمساير السلطة... لكننا ابتلينا بـ (العوام) فمن جاء بالتطير، فعندما نقول إن التطير من الشعائر الحسينية، فمن الذي جعلها من الشعائر الحسينية... فيجب أن نحرر عقلية الفقهاء والعلماء من الخضوع والخنوع والاستسلام إلى رغبات العوام، فالعوام العلماء يسرونهم وليس العوام يسرون العلماء، إذن فلنمتلك الشجاعة ونقف..).

• (المظالم والكبائر التي يرتكها الطغاة ليسوا فقط هم المسؤولين عنها، وإنما تتحمل الشعوب جزءاً من المسؤولية إزاء ما يحل بها لأنها مكنّتهم من ذلك بفسقها وانحرافها، واستسلموا لخداع ومكر الزعامات والمتسلطين، فأعانوا عدوهم – من شياطين الانس والجن – على أنفسهم، أما المؤمنون المتبعون للقيادة الحقة فإنه يصعب خداعهم وسوقهم).^{١٢٨}

• (إن الشعوب المستضعفة والمستعبدة من قبل الطواغيت أو القوى الخارجية المحتلة لا تسقط في هذه الانتكاسة إلا لأنها تتوفر فيها قابلية الاستعباد، وعلى تعبير بعضهم قابلية الاستعمار، وعلى تعبير آخر، قابلية الاستحمار لأن الشعوب حينئذٍ تُقاد إلى حيث يريد مستعبدوها بلا بصيرة ولا وعي وإدراك لمصيرها البائس الذي تسير إليه بحيث تغفل هذه الشعوب عن أشد المظالم وأوضح الجرائم بحقها

١٢٧ - (البازار) كلمة فارسية تعني (السوق) أي فقه تمشي الحال، وإن لم يستند إلى دليل علمي وفقهي صحيح.

١٢٨ - خطاب بعنوان: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) قابلية الشعوب على الاستعباد

وتصرّ على السير خلف الظالمين المستبدين فيسوقونهم الى الموت ويسلبون أموالهم
ويُسَخِرُونَهُمْ لتحقيق نزواتهم وهم يصقّقون لهم ويقدمونهم ويطيعونهم طاعة
عمياء، والأساليب، هي:
أولاً/ سياسة التجهيل:

وذلك بسلب حالة الوعي والادراك والفتنة عند الأمة وتكريس حالة الجهل
والتخلف والانقطاع عن أسباب المعرفة الحقيقية والاهتمام بالقشور وقلب
موازين التقييم من معنوية حقيقية جوهرية الى مادية سطحية زائفة وهكذا ضمن
عملية غسل دماغ تسلب عقولهم ووعيهم ويتحولون الى قطع منفذ للأوامر...
وتحاط عملية غسل الدماغ احياناً بالقدسية والخطوط الحمراء التي لا تقبل
النقاش، وهنا يكون دور لعلماء الدين المحبين للعالم والواجبات المؤثرة في المجتمع
لإضفاء هذه القدسية وشرعنة ما يفعله الطغاة وإدامة سلطتهم وهيمنتهم وإحكام
الطوق على الشعوب المستعبدة باسم الدين وشعائره، لكن أي دين؟ لقد وصفهم
أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنهم: (لبسوا الإسلام لبس الفرو مقلوباً)^(١٢٩) وهذا ما يدفع
الزعامات الحريصة على مواقعها الى استخدام كل أساليب البطش والقسوة
المادية والمعنوية بحق المصلحين الواعين الذين ينهضون لإيقاظ الأمة وتبصيرتها
وترشيد سلوكها، وتحريرها من الاغلال والآصار التي تُحجّر على عقولهم وتلوث
باطنهم وفطرتهم^(١٣٠).

ثانياً/ أسلوب الاستخفاف والاستهزاء بالمصلحين وهو ما نُعبّر عنه بـ(التسقيط
الاجتماعي) ويتم ذلك من خلال:

١٢٩- شرح نهج البلاغة ج ٧ ابن أبي الحديد ص ١٩١.

١٣٠- راجع خطاب المرحلة، ج ٩، ص ٢٠٢، بعنوان: (ويضع عنهم أصرهم والاعلال التي كانت
عليهم).

(استحقاق الآخر (فرداً او شعباً) والاستهزاء به لسحق شخصيته وإظهار عجزه وضعفه ليقنع بأنه مخلوق ليكون تابعاً لغيره).

ثالثاً/ أسلوب خديعة الشعوب وإخافتها:

إقناعهم بحاجتهم لهؤلاء المستكبرين وانهم لا يستطيعون الحياة بدونهم وخلق حالة رعب وقلق وخوف (فوبيا) من البديل.

رابعاً/ التضليل والتزييف الإعلامي:

خلق حالة الانهيار به لدى الطرف الآخر وجعله باهتاً امام هذه الجبروت والعظمة التي هي زائفة في الحقيقة فتأخذ بألباب الناس ومجامع قلوبهم وعقولهم ويكون غاية هم الناس أن ينالوا شيئاً من فتات دنياهم... وحالة الانهيار تولد تبعية وانقياد لما أنهر به: ولا يفكر المنهرون حينئذٍ في الخروج عن طاعتهم فضلاً عن التفكير في إزالتهم وإقامة النظام البديل.

• قال تعالى: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ) وفيه إشارة إلى أن فرعون كان يعرف إنه مخادع وأن أدلته لا قيمة لها لكنه استخف بعقول قومه واستصغر شأنهم واستعمل وسائل الخداع والمكر مع الاغراء والترهيب فوجدهم طائعين ومسلمين له، هذا السلوك الفرعوني هو ديدن الطواغيت والمستكبرين والطامحين إلى الزعامة والتسلط على رقاب الناس في كل زمان ومكان وأدواتها في تطور مستمر، لاحظ سلوك الحكومات الغربية تجاه شعوبنا الإسلامية من أجل السيطرة عليها وسلب خيراتهم والتحكم في شؤونها مما يسمى بالاستعمار، فهم:

أولاً) يسحقون شخصية هذه الشعوب ويشعرونها دائماً بالدونية.

ثانياً) وجعلهم مستهلكين غير قادرين على بناء حضارة متينة قادرة على البقاء والتقدم وإن كانوا من حيث المظاهر المادية في أرقى صورها - كدول الخليج مثلاً - فهم دائماً مرتنون لأولئك المتحكمين.

ثالثاً) كما استطاعوا أن يهروا شعوب المنطقة بإبراز مظاهر التقدم العلمي والتكنولوجي وهذا الانهيار أدى الى الانسحاق وراء كل ما يصدرّونه إلينا من تقاليد وأفكار وسلوكيات كسرب الخمر والانحلال الخلقي تحت شتى العناوين وإشاعة الفاحشة باسم الفن أو الرياضة او الحرية، والبحث عن اللهو والعبث واللعب وهكذا في سائر أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، حتى سوقوا أكثر الجرائم انحطاطاً كزواج المثليين بقوانين رسمية تحت عنوان الحرية الشخصية وامثالها والاعتداء على الإسلام ورسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بذريعة حرية التعبير عن الرأي وأمثالها من الامور التي جعلوها مقدسة لا يجوز المساس بها ما دامت تصب في مصالحهم بينما يعاقبون بشدة من يتحدث بمظالمهم ويفضح ادعاءاتهم - كمعاداة السامية - ولا يشفع له حرية التعبير عن الرأي.

رابعاً) استغلوا أنس الناس الغافلين بالماديات المحسوسة وسرعة التصديق بها لينكروا الغيبيات وما وراء المادة، والناس لا تفرّق بين ما يدرك بالحواس المادية وما يدرك بالعقل والفترة الإنسانية السليمة.

خامساً) ولجعل الشعوب في غفلة دائمة وإشغال فكرهم اعتمدوا سياسة الالهاء من خلال:

أ/ السباقات الرياضية التي ما إن تنتهي واحدة حتى تبدأ الأخرى.

ب/ وبالحرية الجنسية.

ج/ وبوسائل التواصل الاجتماعي وتقنيات وسائل الاعلام والمواقع الالكترونية وشبكة الانترنت التي تقدّم باستمرار الجديد والمثير والجذاب.

فينشغل الناس بهذه ولا يفكرون في مناقشة أوضاعهم الاجتماعية وإصلاحها ولا يبقى عندهم وقت للتأمل والتدبر قال تعالى: (مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ

مَثَلُكُمْ أَفْتَاتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) خذ مثلاً تصويت أغلب البريطانيين قبل أيام لصالح انسحابهم من الاتحاد الأوربي مع انه قرار ليس لصالحهم لكن الدوائر الاستكبارية التي تريد تمزيق الاتحاد الأوربي نجحت في خداع هذه الاغلبية بالأكاذيب والمخاوف المفتعلة والغريب ان البريطانيين بعد أن صوتوا للخروج ذهبوا بالملايين الى المواقع الإلكترونية ليسألوا عن ماهية الاتحاد الأوربي والفوائد التي تجنيها بريطانيا من بقاءها فيه، فكيف صوتوا وهم لا يعرفون شيئاً عن أصل الموضوع.

• (إن علاج هذه الحالة –أي قابلية الاستعباد- التي تؤسس للانحطاط يبدأ باجتثاثها من عقل الانسان وقلبه ونفسه وقد اختصره أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً) أياً كان هذا الغير: أهواء النفس الأمارة بالسوء او الطواغيت والزعامات المصطنعة، أو شياطين الجن والإنس).

• (إذا أردنا أن نحلل سبب حصول هذه الظاهرة السيئة فسنجد أسباباً عديدة كطول زمان القهر والإذلال التي مارسته الديكتاتورية واليأس من الإصلاح والتغيير وغيرها، وعلى رأس الأسباب التدجين الذي مارسه بعض من يسمون بعلماء الدين ويوجد من يسمع لهم في الشارع فأخذوا في شرعنة ظلم الظالمين وفسادهم وطغيانهم واستئثارهم بأموال الشعب والتدمير والخراب تحت عناوين مختلفة ودعوة الناس إلى الاستسلام والرضا بالقتل والتشريد والذل والحرمان، وبحسب فطرة الناس وإيمانهم بمرجعيتهم وأنها تقودهم إلى الهدى والصالح فإنهم يسلّمون لمواقفها بلا نقاش).^{١٣١}

• وقال سماحته (دام ظله) في حديث له مع رئيس جمعية أطباء الأمراض النفسية والعصبية، حول هذه الظاهرة ملتصقاً للشعب العراقي العذري في سكوتهم

وتحملهم للظلم: (وإن كان صبر العراقيين في الموارد التي يُحمد فيها الصبر ناشئاً من إيمانهم وتأسيسهم بعظماء صبروا على أقسى المصائب والكوارث فسناً طريق الصبر لشعبهم وهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) وأهل بيته، إلا أن الصمت والسكوت إزاء مظالم كبيرة يراه ليس من الصبر المحمود، بل هو من الخنوع والاستسلام للذل والهوان، ولم يكن أهل البيت (عليهم السلام) خانعين مستسلمين ولا رضوا بالذل والهوان، وما أكثر المظالم اليوم حيث يُقتل الأبرياء ويعتقلون ويسرق قوتهم ويهجّرون ويسكنون العراء ويحرمون من أبسط حقوق الإنسان كخدمات الماء والكهرباء ويأكلون ويشربون ما لا يصلح للاستهلاك البشري ويعيشون في حالٍ بئيس من دون أن يقولوا (لا) لمن ظلمهم وإذا تحدثوا فيقولون [حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ] مع أن الله تعالى لا يرضى لعباده الذل والهوان والحرمان وقد أوكل إلى الإنسان كل شيء إلا كرامته فليس من حقه أن يتنازل عنها، في حين نرى شعوباً حية في المنطقة وفي العالم تمتاز بالشجاعة وقوة الإرادة تنتفض وتزلزل الأرض تحت أقدام الظالمين إذا أهينت وصدورت إرادتها أو اتخذت قرارات مجحفة في حقهم كرفع أسعار المواد الغذائية والأساسية كالمشتقات النفطية، فهلاً كانوا كذلك الشعوب الحية التي يفتخر بمواقفهم الأحرار في العالم).^{١٣٢}

أسباب تدجين الشعب العراقي ورضوخه للظلم

عند دراسة طبيعة المجتمع العراقي المركب من عدة شرائح اجتماعية مختلفة، يتضح لنا بعض الأسباب التي جعلت هذا الشعب يرضخ للخروقات الصارخة من قبل المسؤولين في الدولة، وعند تتبع هذه الأسباب نجد إن بعضها يقع في خانات متعددة فبعضها ديني وبعضها فكري وبعضها الآخر نفسي، واجتماعي... وغير ذلك، كما توجد أسباب فرعية وأخرى ثانوية تسببت بتفاقم هذه الظاهرة ونشوؤها بشكل ملحوظ، وقد أشار المرجع اليعقوبي إلى ذكر ثلاثة أسباب رئيسة منها، حيث قال (دام ظله): (لو أردنا أن نحلل سبب حصول هذه الظاهرة السيئة فسنجد أسباباً عديدة كطول زمان القهر والإذلال التي مارسته الديكتاتورية واليأس من الإصلاح والتغيير وغيرها، وعلى رأس الأسباب التدجين الذي مارسه بعض من يسمون بعلماء الدين ويوجد من يسمع لهم في الشارع فأخذوا في شرعنة ظلم الظالمين وفسادهم وطغيانهم واستئثارهم بأموال الشعب والتدمير والخراب تحت عناوين مختلفة ودعوة الناس إلى الاستسلام والرضا بالقتل والتشريد والذل والحرمان)^{١٣٣} ونحن سنذكرها بمشيئة الله تعالى مع شيء من التفصيل، بالإضافة إلى ذكر الأسباب الأخرى التي توصلنا إليها بلطف الله تعالى ورعايته، وهي كالآتي:

١/ إن من الأسباب الرئيسة لهذه الظاهرة هو مرور الشعب العراقي بحقبة تحكم الطواغيت وطول زمان القهر والإذلال التي مارسها الأنظمة الديكتاتورية لاسيما النظام الصدامي، منذ عقد ستينيات القرن الماضي، حيث تسربت إلى قلوب المجتمع حالة من إلفت الاستضعاف وتقبل الظلم وعدم معارضته، الأمر الذي جعل الشعب يستسيغه ولا ينكره، وقد مرّ عليك في هذا الكتاب ما أفردناه من

دراسة مختصرة وسرداً تاريخياً يكشف مدى الظلم والاستبداد الذي أمعن الطاغية صدام وأزلامه في ممارسته مع الشعب العراقي قرابة ثلاثين سنة، لكي نقف على حجم الظلم والاستبداد الذي نال هذا الشعب الجريح، ومن جهة أخرى لتتعرف على مدى حجم التأثير النفسي والتربوي والاجتماعي والسياسي الذي لحق العقلية والذهنية العامة للعراقيين جراء هذه الحقبة المظلمة.

٢/ (وعلى رأس أسباب تدجين المجتمع العراقي هو علماء السوء وما يقومون به من ممارسات تجعل المجتمع خانعاً وذليلاً، وللأسف يوجد الكثير ممن يسمع لهم ويطيع، فأخذ هؤلاء العلماء المفتونون بحب الدنيا بشرعنة ظلم الظالمين وفسادهم وطغيانهم واستئثارهم بأموال الشعب والتدمير والخراب تحت عناوين مختلفة ودعوة الناس إلى الاستسلام والرضا بالقتل والتشريد والذل والحرمان).^{١٣٤} وسنفرد لهذا السبب لخطورته على المجتمع فصلاً خاصاً نتناول فيه دواعي ونتائج هذه الحالة بشيءٍ من التفصيل.

٣/ يأس الشعب من الإصلاح وفقدان الأمل بتحقيق التغيير لواقع المجتمع العراقي، لأن السياسيين الفاسدين قد احكموا قبضتهم على خناق الشعب، فإذا أراد الشعب أن يغير هذه الوجوه السياسية المتحكمة في القرار السياسي في العراق والتي عاثت في الأرض فساداً ونهبت ثروات وخيرات البلد لا يستطيع ذلك لأن (فرصة التغيير ضعيفة لأن الأحزاب الحاكمة تمتلك كل عناصر التأثير على الناخبين أو المرشحين بالترهيب والترغيب، فبأيديهم السلطة، ويحتكرون وظائف الدولة، ولديهم المال الذي هو ثروة الشعب، ويسيطرون على القوى الأمنية التي تُوظَّف في كثير من الأحيان لتنفيذ أجنادات الأحزاب لتصبح مليشيات بلباس رسمي،

ويستطيعون أيضاً استغلال الدين واسم المرجعية الدينية أو القومية أو الطائفية، فالتعويل على تداول حقيقي للسلطة احتمال ضعيف، والديمقراطية التي يتحدثون عنها وصفتها بالعوراء، لأنهم يتمسكون بها بمقدار ما يقوي سلطتهم ويحقق مصالحهم ويتركون الجانب الآخر منها)^{١٣٥} وكل مسؤول كبير في الدولة له فئة جماهيرية موالية له تنتخبه في كل دورة انتخابية وهو بدوره يغدق عليها بعطايا سخية من منح وامتيازات ومناصب حكومية ونحو ذلك.

ومن أسباب فقدان العراقيين للأمل بتحقيق التغيير والإصلاح هو وجود شخصيات ظالمة بوجوه جديدة، حلت محل الطاغية صدام ولكن بأسماء وعناوين جديدة (العراقيون لا يشعرون بأن شيئاً من الظلم قد تغير بدرجة ملحوظة، وأن كثيراً من المظالم والتقصيرات التي أوجبت رفض نظام صدام والوقوف في وجهه كُرسِت في النظام الحالي، مثل تقريب العشيرة وأبناء المدينة والحزب وإعطائهم المناصب العليا على حساب الكفاءة والنزاهة والوطنية ومثل الاستئثار بثروات الشعب وحرمانه من حقوقه في حياة حرة كريمة ومثل اعتقال الأبرياء وقتل الأمنيين بجريرة غيرهم، نعم، الشيء الحسن الذي تحقق هو الأمل بغدٍ أفضل، أما في عهد صدام فلم يكن هناك أمل وكان المصير مظلماً).^{١٣٦} وقد أدى هذا اليأس والإحباط وفقدان الأمل بالتغيير إلى انعزال الكثير عن العمل الاجتماعي الإسلامي، وهذه الحالة هي بدورها حالة سلبية أفرزتها حالة اليأس والإحباط لدى العراقيين، وقد حذر الشيخ المرجع (دام ظله) من آثار هذا الانعزال السلبي قائلاً: (من آثار الانعزال والانكفاء على الذات وأصيب بالخمول وفقدَ همته وحماسه للعمل، وجعل أقصى همه شؤونه الخاصة، أما بسبب فشل تجربة الفريق الأول فانعكس سلباً عليه

١٣٥ - خطابات المرحلة، ج ٥، ص ٣٥٦.

١٣٦ - خطابات المرحلة، ج ٥، ص ٣١٢.

حيث لحق به عاره أو لعجزه عن أداء رسالته أو لياسه من الإصلاح والتغيير فحصل عنده شعور بالإحباط فكان رد فعله التخلي عن العمل الاجتماعي).^{١٣٧}

ثم استعرض (دام ظله) علاجاً لحالة انعزال العاملين المخلصين، واعتبر هذا هروباً عن أداء المسؤولية ومن يفعل ذلك فقد (تخلى عن هموم أمته وقد ورد في الحديث: (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) وتخلى عن مسؤوليته في إعلاء كلمة الله تعالى ونشر تعاليم دينه لأن لديه العلم والمعرفة ومن تحمل العلم كانت عليه مسؤولية تبليغه وإيصاله إلى الآخرين، خصوصاً مع توفر الفرصة اليوم بأوسع أبوابها للعمل الإسلامي المبارك، وإذا فشل شخص أو جهة ممن يحمل لافته إسلامية في عمله فهذا لا يعني التراجع والنكوص مهما كانت العوائق والأشواق كما نقرأ في زيارة أبي الفضل العباس (عليه السلام): (أشهد أنك لم تهن ولم تنكل) وهذه هي الأمة الوسط التي أرادنا الله تبارك وتعالى أن نكون منها ولا يخلو أي زمان من هذه الأمة مهما غلت التضحيات وعظمت العقبات والضغوط والتشكيكات والإحباطات [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا]).^{١٣٨}

وكما أن الجماهير هي أقوى من الطغاة، كذلك الجماهير هي التي تصنعهم وذلك بالخوف منهم، وبطاعتهم، وتعظيم شأنهم أكثر من الحد المطلوب وعدم الاعتراض على ظلمهم، وهذا هو أحد أسباب تدجين الأمة وقبولها بالظلم، وفساد بعض السياسيين الذين استأثروا بالسلطة وغلب عليهم طابع اللهث وراء الدنيا والمصالح الشخصية فأساءوا للشعب بشكل متتابع ومتكرر، أدى إلى إنهاك قوى الشعب وإجهاد حالته النفسية، فخدمت روح المعارضة تجاه الانتهاكات المتكررة والمتعددة

١٣٧ - خطابات المرحلة، ج٥، ص ٣٦١.

١٣٨ - خطابات المرحلة، ج٥، ص ٣٦٢.

وقلت تدريجياً الاعتصامات والتنديدات والمظاهرات الشعبية في الشارع وساعد عليها سكوت القيادات الدينية الفاسدة التي شرعنة ظلم هؤلاء السياسة الفاسدين ومن جهة أخرى لم تمتد الشعب بروح رفض الظلم ولم تؤيدهم أو تنصرهم على هذه الروح النضالية الثورية، فبقي الشعب مهوئاً لكثرة الخروقات والاختلاسات والمفاسد التي يرتكبها السياسيون، ولا يدري على أي خرق أو انتهاك من هذه الانتهاكات يتظاهر أو يعترض ويندد، وإلى الله تعالى المشتكى وعليه المعول في الشدة والرخاء، حتى عبّر المرجع اليعقوبي بمرارة عن نظرة السياسييين للعراق وفهمهم للعمل السياسي، قائلاً: (الذي يفهمونه من العراق أنه بقرة حلب يتسابقون على استلاب خيراته)^{١٣٩}، ومن جانب آخر فإن السياسييين أنفسهم هم مدجنون من قبل نفوسهم الأمار بالسوء واللاهثة وراء الدنيا، ومدجنون أيضاً من قبل بعض الجهات التي ما برحوا يرضونها طلباً لحماية مصالحهم، لذلك نرى إنهم (في كل مؤتمر مما يسمى بمؤتمرات المصالحة الوطنية) تُقدّم تنازلات ذليلة للإرهابيين والصداميين كقرار العفو عنهم وإعادة أزلام صدام من الفدائيين وجلالوزة الأمن ودفع روايتهم بقرار رجعي ونحوها).^{١٤٠} كما ذكّر المرجع اليعقوبي جملة من الأساليب التي يمارسها المسؤولون الفاسدون في البلاد، لأجل خداع الشعوب، وهي:

أولاً/ ما يسمى بالمصطلح (ركوب الموجة) بأن يستغل السياسيون مطالباً حقيقية ومشروعة للشعب فينادي بها لكسب الجماهير اليه والتقوي بهم للضغط على خصومه لتحصيل مكاسب أكبر سواء كانوا داخل الحكومة أو خارجها.

ثانياً/ إلهاء الشعوب بالألعاب والمتع واللهو والعبث لأشغالهم عما يجري من فساد

١٣٩ - خطاب المرحلة، ج٥، ص٣١٧.

١٤٠ - خطاب المرحلة، ج٥، ص٦٠.

وظلم وطغيان وتحويل انتباههم الى اللهو واللعب بدلاً من القضايا الحيوية والاهداف الحقيقية والحركة الواعية البناءة الى ترفض ظلم وفساد أولئك الحكام. وهذه السياسة يسمونها (استراتيجية الالهاء) وتشمل سيلاً لا ينتهي من الألعاب والبطولات والمسابقات والمهرجانات ونحو ذلك.

ثالثاً/ خلق المشكلات وافتعال الأزمات لتمرير سياسات معينة تكون مرفوضة في الوضع الطبيعي مثلاً يريدون تخفيض دعم السلع الأساسية أو الضمان الاجتماعي أو الخدمات العامة كالصحة والتعليم فيخلقون أزمات مالية ليقنعوا الشعب بضرورة اتخاذ هذه الاجراءات، أو يريدون مثلاً وضع الشعب تحت المراقبة والتجسس عليه وجمع المعلومات التفصيلية عنه وتقييد حرياته وحركته، أو اعتقال وتصفية المعارضين، فيفتعلون مشكلة أمنية كتفجيرات مثلاً أو اظهار اعترافات شبكة تجسس وهمية وهكذا مما يجعل اتخاذ تلك الاجراءات أمراً مقبولاً وتسمى هذه السياسة (ابتكر المشاكل ثم قدم الحل).

رابعاً/ استراتيجية التدرج: باعتماد التدريجية في تطبيق التكتيكات حتى يصلوا إلى النتيجة التي يريدونها ولو فعلوها مباشرة لأحدثت ضجة وثورة عارمة كبعض الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية، وقد تطول المدة أو تقصر بحسب أهمية القضية، مثلاً يريدون تقليل الرواتب فيتركون حالة البطالة تزداد ويستقدمون عمالة أجنبية رخيصة فيرضى المواطن بأقل ما يمكن.

خامساً/ استثارة العاطفة بدل الفكر لتعطيل حالة الوعي والتأمل والتحليل وتمييز ما هو عقلائي عن غيره فيفقد الإنسان قدرته على النقد البناء الذي يقود عملية الاصلاح كما ان استعمال المفردات العاطفية يسمح بالمرور إلى اللاوعي حتى يتم زرعه بأفكار ورغبات ومخاوف ونزعات او سلوكيات.

سادساً/ إبقاء الشعب في حالة جهل وحمافة بطريقة يكون غير قادر على استيعاب

الطرق المستعملة للتحكم به واستعباده بأن تكون نوعية التعليم المقدم للطبقات السفلى هي النوعية الافقر حتى تبقى الهوة المعرفية التي تفصل الطبقات السفلى عن العليا غير مفهومة من قبل الطبقات السفلى.

سابعاً/ التعويض عن الثورة ورفض الظلم والفساد بالإحساس بالذنب يجعل الفرد يعتقد انه المسؤول الوحيد عن تعاسته وان سبب مسؤوليته تلك هو نقص في قدراته وقابلياته او تقصير في جهوده فيقوم بامتهان نفسه بدل التحرك للتغيير والاصلاح.^{١٤١}

ويمكننا إضافة بعض الأساليب والمميزات الأخرى التي أتصف بها أبناء المؤسسة السياسية الفاسدة، وهي:

أ- سياسة التخدير، وتوظيف الماكنة الإعلامية المضلّة لأجل خدمة مصالحهم من خلال بث الاخبار والتقارير السياسية التي تُخدر المجتمع بالوعود الكاذبة وبإنجاز الاصلاحات المستقبلية في البلاد، فإن كل - أو على أقل تقدير أغلب - الاحزاب الحاكمة تمتلك كل واحد منها قناة فضائية أو أكثر لترويج بضائعها الكاسدة، وتجميل مكانتها في نفوس الناس، وكأن لسان حالهم يقول:

نامي جياغ الشعب نامي	حرسك آلهة الطعام
نامي فان لم تشبعي	من يقظة فمن المنام
نامي على زبد الوعود	يُداغ في عسل الكلام ^{١٤٢}

ب-رضوخ السياسيين أنفسهم لسياسي الدول الأخرى.

ت-عدم التعامل بالشفافية والمصادقية والصراحة سواء مع الشعب أو مع الفرقاء السياسيين الآخرين.

١٤١ - خطاب المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (أمير المؤمنين عليه السلام) ومكر طلاب الزعامات).

١٤٢ - مطلع قصيدة للشاعر محمد مهدي الجواهري.

ث-عدم محاسبة المفسد والتعامل بالمعاملة والمحابة وفق نظام المحاصصة المقيت، وتعطيل دور القضاء لمحاسبة المقصرين، وإذا حصل ذلك فيكون بمحاكمات خجولة لا تتوانى عن تبرئة المفسدين.

ج-عدم الإهتمام بالقضايا المصيرية والانزواء لمصالحهم، والتفرغ لكسب الغنائم، ومناقشة القضايا الهامشية.

وهذه الحالة السياسية المزرية ينطبق عليها قول الشاعر معروف الرصافي في قصيدة له يصف فيها فساد الحكومة آنذاك:

أهل بغداد أفيقوا من كرى هذي الغرارة
إن ديك الدهر قد باض ببغداد وزاره
هي للجاهل عزّ، ولذي العلم حقاره
حبّبت للوطني الحرّان يهجر داره
كم وزير هو كالوزير على ظهر الوزارة
ووزير ملحق كالذليل في عجز الحمارة
أمع الذلة كبر، أم مع الجبن جساره
كيف لا تخشون للأحرار في البطش مهارة

٤/ ومن أسباب تدجين الشعب العراقي أيضاً هو تعدد العناوين والجهات المتناحرة وعدم وجود روح التعاون بين أفراد الشعب بسبب انتشار الفرقة والتناحر فيما بينهم وعدم الانصيهار في بوتقة واحدة وأهداف مشتركة تحفز الجميع على العمل المشترك الموحد، بل على العكس من ذلك تماماً فترى حالات التسقيط والافتراء والتمهيش وإفشال مشاريع الآخرين منتشرة بين أوساط أبناء المجتمع بشكل واضح لاسيما بعض الجهات الحوزوية في المؤسسة الدينية والأحزاب السياسية وبعض

العشائر ، وغيرها من العناوين والجهات التي تكثرت في البلاد (وهذا التعدد في العناوين التي تطاع من دون الله تبارك وتعالى هو الذي أوجب هذا التشتت والضياع والتفرقة بين أبناء الدين الواحد والمذهب الواحد وحتى البيت الواحد، ولو كانوا أحراراً في دنياهم لا يطيعون إلا من أمر الله بطاعته لتوحدوا ولكنهم تفرقوا فسلبت البركات منهم والعياذ بالله، إن الحرية التامة والانعتاق الحقيقي هي في العبودية التامة والتسليم المطلق لله تبارك وتعالى فكلما أزداد العبد طاعة وتسليماً لله تبارك وتعالى تحرر من الرق لغيره أكثر [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً]١٤٣.

٥/ إعراض المجتمع عن أوامر القيادة الدينية الصالحة المخلصة الرسالية التي خلفوها وراء ظهورهم، ولو أنهم أطاعوها واتبعوها (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كما عبّرت السيدة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها الغراء، لكنهم للأسف ولّوا أمرهم من لا يستحق، واتبعوا من لا ينفعهم في تغيير واقعهم منخدعين بالقداسة المزيفة لبعض الشخصيات الدينية التي أضفتها لهم الماكنة الإعلامية الظالمة والأحزاب السياسية الوضولية والحواشي الانتفاعية، وهذا التقهقر الإصلاحى والتقدم فى مسيرة تعديل اعوجاج الأمة و(هى نتيجة طبيعية تحصل للأمة حينما ترجع فى أمورها إلى من هو ليس بأهل وتختار عن غير بصيرة وتستسلم للظلم والانحراف، وقد حذرت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء فى خطبتها من هذه النتيجة فقالت (عليها السلام): (ويحهم أئمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون؟! أما لعمري لقد لقحت، فَنظِرَةٌ

ريثما تنتج) إلى أن قالت (عليها السلام): (وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتدٍ غاشم واستبداد من الظالمين: يدعُ فينكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون)^(١٤٤).^{١٤٥}

وقد دأب (دام ظله) في مناشدة الأمة واستصراخ أصحاب التغيير والهم الرسالي في المجتمع، حيث أعرب عن ذلك قائلاً: (ولطالما استهضت همهم منذ عدة سنوات في خطابات وفعاليات، فلم يسمع ولم يستجب إلا النزر القليل الذين لا يدفع بهم باطل ولا يصلح بهم ما فسد من أمور المسلمين، وقلت في بعض تلك الكلمات أن هؤلاء السياسيين لا ضمير لهم ولا يحبونكم وإنما يحبون أنفسهم قد أعماهم حب الدنيا، ولا يتحركون إلا عندما تُحرق الأرض تحت أقدامهم وتهدد مصالحهم، لكن الشعب لم يفقه ما يقوله المخلصون له، وجاءته فرصة التغيير في الانتخابات ليختار من يعرف كفاءته ونزاهته وإخلاصه لكن الأغلبية الساحقة اختارت نفس المفسدين المستأثرين، ثم جاؤوا اليوم ليتظاهروا ويطالبوا بالحقوق^{١٤٦} وهم من ضيعوها على أنفسهم، وقد حذرت في بعض خطاباتي قبيل الانتخابات أن الله تعالى لا يستجيب دعوة شعب سلط من لا يرحمه عليه ثم يدعو الله تعالى مطالباً بتغييره، فهذه اليقظة وهذه المطالبات جاءت متأخرة وبعد فوات الفرصة لكنها مع ذلك تنفع في إيجاد ضغط على مسؤولي البلاد لكي يتحركوا ويقدموا شيئاً لشعبهم، وعلى أبناء الشعب أن يكونوا واعين ولا يسمحوا للانتهازين بمصادرة جهودهم

١٤٤ - الاحتجاج، ج ١، ص ١٤٨. وشرحنا الفكرة بالتفصيل في بحث: (ماذا خسرت الأمة حينما ولت أمرها من لا يستحق) المنشور في كتاب (الأسوة الحسنة).

١٤٥ - خطابات المرحلة، ج ٥، ص ١٤٨.

١٤٦ إشارة إلى الدعوات التي رُوِّجت على مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك، تويتر، واليوتيوب) للالتحاق بثورات الربيع العربي وإعلان يوم الجمعة ٢٥/شباط/٢٠١١ جمعة الغضب.

وتضحياتهم، ورفع شعارات غير ما خرج المتظاهرون من أجله، وأن يعرفوا قيادتهم بالخير والصالح ولا يسيروا خلف مجهولين لا تُعرف أجندهم ولا الجهات التي يعملون لحسابها ويريدون توجيه الشعب عبر مواقع الفيسبوك واليوتيوب والتويتر).^{١٤٧}

وتوجد أيضاً جملة عوامل تجعل الأمة متخاذلة عن نصره قاداتها الحقيقيين وعن مواكبة مشاريعهم الإصلاحية عبر الزمن، وكما هي عادة المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) فهو كما يُبين للأمة مواطن الخلل كذلك يصف لها العلاج، حيث أشار (دام ظلّه) في خطاباته المباركة إلى ذكر أهم هذه العوامل المزمّنة والمهلكة التي تكون سبباً لنكوص الأمة وتخاذلها وتنكرها للحق لنقتبس منها دروساً حركية جمّة، ينبغي الالتفات إليها ومطالعتها بدقة ووعي، وهذه الأسباب أوجزها (دام ظلّه) ضمن خمس نقاط هي: (... شقوتها وسوء اختيارها ولانسياقها وراء الشهوات وتزيين الشيطان وتضليل الأعداء)^{١٤٨}. وقد ذكرها (دام ظلّه) ضمن تعليقه له على حديث للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك) حيث قال: (وهو (عليه السلام) حينما يقول (رجلان) يقصد تيارين في المجتمع يمثلهما هذان العنوانان وهما الخضوع للنفس الأمارّة بالسوء وعدم تربيتها التربية الصالحة والانسحاق وراء شهواتها والثاني هو الجهل والسذاجة والتخلف فتندم عند كليهما القدرة على اتخاذ الموقف الصحيح لأنهما يفتقدان البصيرة التي تدلّهما على الهدى.

١٤٧ خطاب المرحلة، ج ٧، بعنوان: (الطاقة الكامنة عند الشعوب).

١٤٨ - ينظر خطبة صلاة عيد الفطر للمرجع اليعقوبي بعنوان: درس حركي من كلمة أمير المؤمنين (فزت ورب الكعبة) وصلح الإمام الحسن (عليه السلام).

وهاتان الظاهرتان هما سبب ضعف الأمة وتمزقها وتمكن الأعداء الخارجين وسيطرتهم على الأمة ، ويساهم هذان الرجلان في إبعاد الأمة عن مسيرتها الصحيحة وقيادتها الحقيقية ويضللان الناس. أما الأول فبعمله الذي لم يوظفه للهدى والصالح، والثاني بنسكه الظاهر وتقدهسه الفارغ من الوعي والبصيرة والحكمة وشواهد هذين التيارين كثيرة عبر التاريخ. وهذا ما تعيشه الأمة إلى اليوم فكيف سنستطيع مواجهة الأعداء الخارجيين ونحن نخزن هذين المرضين اللذين ينخران في جسد الأمة حتى يقضيا عليها ويجعلها فريسة للطامعين).^{١٤٩} وسنحلل هذه النقاط ونرجعها إلى عللها مناشئها من داخل الأمة، مستعرضين ومستقرئين لكلماته (دام ظلّه) السابقة في هذا الموضوع:

أ. شقاء الأمة:

إن الأمة هي عليها أن تقرر مصيرها بنفسها حينما تختار قادتها، واختيارها هو الذي يحدد لها طريق السعادة أو طريق الشقاء، وهناك عوامل تؤثر في اختيار الأمة منها الابتعاد عن الحق والالتئام بالأمور الباطلة (فالأمم التي لا تفكر بنفسها وتتلقى بالأمور التافهة غير الصائبة، ولا تعالج جذور شقائها ولا تطمح لأسباب الرقي، ليس لها أذان سامعة ولا أعين باصرة) ^{١٥٠} كما يُعد الابتعاد عن القيادة الحكيمة والرضوخ للزعامات الباطلة في مقدمة أسباب شقاء الأمم. قال صاحب تفسير الأمثل في تفسير قوله تعالى: (اذهبا إلى فرعون إنه طغى) عندما تعرض لمسألة القيادة الطاغوتية: (... فإنه سبب كل الشقاء والتعاسة .. وما لم يتم إصلاحه فسوف لا ينجح أي عمل، لأنّ عامل تقدّم الأمة أو تخلفها، سعادتها أو شقائها

١٤٩ - خطابات المرحلة، خطاب: (قصم ظهري رجلان) .

١٥٠ - تفسير الأمثل. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

وبؤسها هو قاداتها وحكامها، ولذلك يجب أن يكونوا هدفكما^{١٥١} قبل الجميع^{١٥٢}. وعلى الرغم من أن الإمام الحجّة (عليه السلام) رحمة للعالمين فهو لا يجبرها على اختيارها بل هي التي تقرر مصيرها كما قلنا وهذا ما أكده المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) حيث قال: (..الرحمة الكبيرة التي يحملها الإمام (عليه السلام) للبشر جميعاً من أتباعه ومن غيرهم لا تسمح بان يترك البشرية معذبة وتعيش الشقاء بل يتدخل لإنقاذها ولكن ماذا يفعل لها إذا اختارت الشقاء بنفسها كما قال تعالى (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)).^{١٥٣}

ب. سوء اختيار القائد :

وهو ناتج بسبب الجهل بصفات شخصية القائد النموذجي والجهل بوظائفه ومسؤولياته وناتج أيضاً بسبب قلة وعي الأمة وانهارها بهالة القداسة المزيفة التي يتصنعها البعض، كما ساعدت اليوم وسائل الإعلام في ترويج هذه البضاعة الفاسدة، فانطلت الحيلة على السذج والبسطاء، وهذا ما أوعز إليه المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) (...على الأمة أن تلتفت إلى هذين العدوين الكامنين في داخلها وهما إتباع الهوى وقلة الوعي وإلا فإن الأمة سوف لا تهتدي إلى طريقها ولا تتعرف على قيادتها الحقيقية التي تريد لها الخير والتي وصفتهم الأحاديث الشريفة بأنهم سفن النجاة).^{١٥٤}

ج. الانسياق وراء الشهوات:

إن طبيعة النفس في الانسياق وراء الملذات تجعلها خاملة بطلب الحق وأهل الحق ومتلكئة في طاعتهم، لذلك نرى إن أهل الهوى وأصحاب النفوس المريضة هم الذين يتصدرون قائمة العداء للمصلحين، وهذا ما نلمسه بوضوح في قصص الأنبياء

١٥١ - يقصد النبي موسى والنبي هارون (عليهما الصلاة والسلام).

١٥٢ - تفسير الأمتل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

١٥٣ - خطابات المرحلة، خطاب بعنوان: (الإيدز نذير انهيار الحضارة الغربية).

١٥٤ - خطابات المرحلة، خطاب بعنوان: (قصم ظهري رجلان) .

والمرسلين (عليهم السلام) التي ترومها لنا آيات القرآن الكريم. لأن العاكفين لإشباع شهواتهم لا يروق لهم أمر من يعكر عليهم صفو ذلك بقيودهم وقوانينهم وأخلاقهم الشرعية والتربوية، بل يريدون قيادات لا تبعدهم عن دنيا الشهوات واللهو وتحملهم بالتكاليف والمسؤوليات كما هو ديدن القيادة الرسالية.

د. تزيين الشيطان:

يقوم شياطين الأنس والجن بذلك من خلال تزيين الدنيا بأعين الناس وترغيبهم بالركون إليها وإلى طلب الدعة والراحة وتخويفهم من أمر الجهاد والعمل الرسالي والنمط التغييرى في الأمة الذي يتطلب جداً واجتهاداً وتعباً قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). وقال تعالى: (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)، وقال تعالى: (يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا).

هـ. تضليل الأعداء:

وهذا العامل يلعب دوراً خطيراً في إبعاد الأمة عن قادتها الحقيقيين، لأن تسقيط شخصية القائد في أعين الناس يجعلهم يزهدون به، بل أكثر من ذلك يبغضونه ويسئون الظن به ويعادونه وبالتالي ينتج عدم طاعته والتنكر له وخذلان مشروعه الإصلاحى الذي بذله لخدمتهم، وهذه الحقيقة يؤيدها تاريخ المصلحين، وأكدها القرآن الكريم في آياته الشريفة عبر استعراضه لقصص الأنبياء العظام (عليهم السلام) وغيرهم، كالذي تعرضت له السيد مريم العذراء (عليها السلام) من تسقيط لشخصيتها باتهامهما في عفتها وشرفها، حتى إنها تمنى الموت بسبب خشيتها من ذلك (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا) ناهيك عما تعرض له الأنبياء (عليهم السلام) من افتراءات وتهم وتشويه للسمعة فوصفهم بالكهانة والكذب والسحر والشعوذة... إلخ القائمة التي ورثها اليوم ورثة الأنبياء وهم المراجع

القادة المصلحون، وهذه بعض النماذج من كلمات المرجع اليعقوبي (دام ظله) بهذا الخصوص:

- إنها واحدة من خطط الكفار لفصل الأمة عن علماءها حتى تضل وتتيه بتسقيط العلماء وتشويه صورتهم والإفتراء عليهم ونسج الأكاذيب عنهم وكثير من أبناء المجتمع لجبهتهم وسداجتهم يصدقون، كما قال القرآن: (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) .^{١٥٥}
- تكاد الدعوات الضالّة رغم تباين مناهجها وتقاطعها في عملها تتحد على قاسم مشترك تجتمع عليه هو ضرب المرجعية وتسقيطها وتشويه صورتها وإلغاء دورها في المجتمع .^{١٥٦}
- ورد في تفسير قوله تعالى: (ويقتلون النبيين) عن الإمام (عليه السلام) إن ذلك بتحريف تعاليمهم وتمييع دعوتهم وعزلهم عن مؤيديهم وتشويه صورتهم في أعين الناس وهو أسلوب أخطر في القضاء على الدعوات الاصلاحية وعلى المصلحين من القتل الجسدي الذي يصنع من الضحية بطلاً شعبياً تلتف الجماهير حوله وتزداد اعجاباً به وأخذاً بأفكاره وقد رأيتم كلا الشكليين في حياة الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) فقد كان القتل المعنوي لتشويه سمعته وانه عميل للدولة وانه زرع الفتنة وشككوا في إجهاده كان اقصى عليه من القتل المادي الذي رفعه مكاناً علياً وادى إلى التفاف الجميع عليه عكس الأول وقد عبّر (قدس سره) عن فترة القتل المعنوي أوائل مرجعيته بأنني عشتها بأعصابي فكونوا واعين لهذه المخاطر فاني أرى ان كثيراً من الناس قد وقعوا في هذا الفخ الخطير.^{١٥٧}

١٥٥ - يُنظر المعالم المستقبلية للحوزة العلمية، للمرجع اليعقوبي (دام ظله).

١٥٦ - خطابات المرحلة، خطاب رقم (١٤٧) بعنوان: (المرجعية حصن يحمي عقائد الأمة ويصحح سلوكها من الفتن الضالّة) .

١٥٧ - خطابات المرحلة، خطاب بعنوان: (هل لأمريكا الفضل في حصول التغيير؟) .

• سمعت كثيراً من الكلمات التي حاولت تحريف كلامي وعرضه بالشكل الذي يستفز إخواننا الذين عاشوا معاناة الغربة والتهجير ، وهذا ضمن حملة بعض الحاسدين والمنافقين لتشويه صورتي ، وانطلت الكلمات على البعض ...^{١٥٨}

• لماذا كل هذا الحماس والاندفاع والهمة في تشويه صورتي وتسقيطي في أعين الناس؟ اسألوهم هل ان هذا لله تعالى؟ سيجيبون بالنفي في داخل نفوسهم وان لم يعلنوها! اذاً هو الخوف على مصالحهم ودنياهم وقد ذكرتهم فما ذكروا ووعظتهم فما اتعظوا وتكفيم رواية واحدة عن أهل بيت العصمة لو وعوها لأقشعرت منها أبدانهم ولبكوا على حالهم قال (عليه السلام): (من روى رواية على أخيه المؤمن يبتغي بها شينه وهدم مروته وليسقطه في أعين الناس أخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان).^{١٥٩}

وينتج بسبب تضليل الأعداء أمران خطيران هما: الأول: تشويه صور القادة المصلحين في أعين الأمة والثاني: انزلاق الأمة وراء ما يخططون من أفكار منحرفة وضالة تكون حجر عثرة في طريق المصلحين وتبعدهم عن الصواب والسعادة.

٦/ والسبب السادس وراء وجود ظاهرة تدجين المجتمع هو الخوف من تضرر المصالح الشخصية، إذاما رفضوا ظلم المستأثرين ووقفوا بوجهه واعتراضوا على القرارات المنحرفة والمخالفة للدين والمنتهكة لحقوق المواطنين، ولهذا اتسمت بعض الشخصيات والجهات بصفة التملق والنفاق الديني والنفاق السياسي في التعامل مع المسؤولين حفاظاً على المصالح والمكتسبات الدنيوية، وللأسف فقد

١٥٨ - خطابات المرحلة، خطاب بعنوان: (حوارات سياسية في الذكرى الخامسة لسقوط صدام المقبور).

١٥٩ - خطاب بعنوان: (جواب بعض الإشكالات عن اجتهاد ومرجعية الشيخ يعقوبي) (دام ظله).

استشرى هذا الداء حتى في صفوف بعض الشخصيات الإسلامية الرسالية، وهذا ما حذر منه سماحة الشيخ (دام ظله) قائلاً: (إن تدويب الرسالي لخصوصياته مجاملة أو خوفاً أو طمعاً فإنه يمنع عنه اللطف الإلهي وتفسيره واضح من وجهة نظر طبيعية لأن المشروع الرسالي ما لم يتميز وتظهر معاملة على مستوى النظرية والتطبيق فكيف سيطّلع عليه الآخرون ليقتنعوا به فالتقصير في إيصال رؤى المرجعية الرشيدة غير مغتفر وسيحرم الأمة الكثير من الحلول والمعالجات لأزماتها ومشاكلها وما أكثرها في عالم اليوم).^{١٦٠} وإنّ الخوف من الحكام وبطشهم والخوف على الأرزاق ولقمة العيش. والخوف على النفس والحياة. والخوف على الأبناء والنساء. والخوف على متاع الدنيا. هو الذي فتح الطريق أمام الطغاة والجبابرة ليستعبدوا الشعوب ويدجنوها فلو استقاموا على الهدى وما تخاذلوا عن الحق، وثاروا على الباطل وما سكتوا عليه، وتمردوا على الظلم وما ركنوا له، ما كانوا ليحيوا حياة النذل والهوان. ولما تسلط عليهم أعداء الله وأعاونهم. فعن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ) وفي حديث آخر عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (ذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابَ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ إِنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُودِعَ مِنْهُمْ).

٧/ خوف الإتهام فلعل بعض الناس أو بعض الجهات الدينية أو السياسية أو الاجتماعية لا ترفع عقيرتها في وجه الظلم ولا تحث الناس للخروج إلى الشارع

وتتظاهر أو تعتصم أو نحو ذلك خوفاً من أن يشار إليها بأصابع الإتهام فتوصف بالرياء أو طلب الدنيا أو لحيازة المصالح والمكاسب الشخصية وأنها تجر النار إلى قرصها كما يقولون ونحو ذلك من الاتهامات، لذا أثر البعض السكوت على الظلم دفعاً لهذا الأقاويل، وهناك خوف آخر وهو الخوف من الفشل ومن استهزاء الآخرين لعدم النجاح في تعبئة الناس أو اخراج أعداد قليلة منهم إلى الشارع للتظاهر مثلاً ضد قرار ما أو للمطالبة بشيء ما، وهذا الخوف مناشئه غير مخلصه لأن الخوف على السمعة الشخصية خشية أن يقول الناس أنظروا إلى الجهة الكذائية فإن أتباعها قليلون وليس لهم تمثيل شعبي واجتماعي في أوساط المجتمع ونحو ذلك، هي من الاعتبارات الدنيوية الزائفة، فعلى الإنسان أن يسعى بكل جهده أما النتائج وتحقيق الأهداف فهي بيد الله تبارك وتعالى، وليس من الصحيح أن يستصغر الإنسان نوع تأثيره في المجتمع لقلته أو ضعفه أنحو نحو ذلك، قال الشاعر:

على المرء أن يسعى ويبذل جهده وليس عليه أن يساعده الدهر
فإن نال بالسعي المنى تم أمر وإن غلب المقدور كان له عذر

كما ضرب لنا القرآن الكريم نموذجاً رائعاً من إحدى كبار أنبيائه الطاهرين لكي نقتدي بهم في هذا المجال، حيث قال جل ذكره: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.^{١٦١}

٨/ اتصاف البعض بالروح الانهزامية، التي تخاف معارضة الظلم وتخشى المطالبة بحقوقها ومحاسبة ظالمها، ولهذه الشخصية المهزوزة أسباب نفسية وتربوية واجتماعية عديدة، ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى قصة مفادها إن مدينة

يحكمها أحد الولاة وهذه المدينة يجري في منتصفها نهر يقسمها إلى نصفين، ويوجد على النهر جسر واحد للعبور وفي إحدى المرات أمر الوالي بأخذ درهم واحد من كل شخص يريد العبور على الجسر وعندما شاهد الوالي عدم اعتراض أهل هذه المدينة أمر بزيادة المبلغ فأصبح خمسة دراهم، وأيضا لم يشاهد الوالي أي صيحات اعتراض من الشعب، فأمر بزياده المبلغ الى عشرة دراهم ولم يعترض اي من سكان المدينة أيضاً، فاستغرب الوالي، ثم أمر بأخذ عشرة دراهم وضرب كل من يعبر الجسر بعصى، فلم يعترضوا أيضاً، فاستغرب الوالي بشده وأمر بجمع بعض الاشخاص من المدينة لمعرفة إذا كان لهم شكوى، فقام أحدهم معترضاً، ففرح الوالي بذلك وقال: ما هو اعتراضك: فقال: نريد أن تجعل شخصين بدلاً من شخص واحد على الجسر، حتى يقوم أحدهم بأخذ المبلغ والثاني يضرب بالعصى حتى نعبر بسرعة لأننا نتأخر كثيراً جراء وجود طابور طويل من الناس؟! رغم إن القصة تعود للعصور الغابرة، إلا أنها شديدة الشبهه بواقعنا للأسف الشديد.

وقد حث سماحة الشيخ (دام ظلّه) إلى ضرورة تحرك الشعب وإخراج صوته بالاعتراض على المفسدين منذ أمد بعيد حيث قال: (إن الشعب إذا لم يتحرك ويُعلي صوته للمطالبة بحقوقه فإن أحداً سوف لا يهتم به أو يفكر في إنقاذه من محنته، وأنت ترى حلولاً تُطرح من قبل الكتل السياسية المتنفذة ومن الخارج وكلها تراعي مصالحها وتبحث عن الحلول الكفيلة بديمومة تلك المصالح، ويتضح ذلك من تفاصيل وأهداف المشاريع التي يقدمونها فإنها جميعاً لا تتضمن تحسين الخدمات أو رفع مستوى معيشة المواطن العراقي أو إعادة المهجرين إلى ديارهم أو توفير الأمن والسلام، وغاية أهدافهم البقاء مدة أطول في الحكم وتمير القوانين التي تصب في مصالحهم الشخصية، ولا يلوم الشعب إلا نفسه لأنه لا يُسمع العالم

صوته وكأنه لا يعاني من مشكلة، فإذا غيّب نفسه فهل سيلتفت إليه الآخرون؟^(١٦٢).

٩/ الفهم الخاطئ لبعض الروايات الشريفة الواردة عن المعصومين الأطهار (عليهم السلام) التي تحث على العفو والمسامحة عن المسيئين والمقصرين في الحقوق، أو الحائثة إلى ضرورة التحلي بالصبر وتحمل الأذى من الغير، ومدارة الظالم والتقية منه للأمن من خطره وضرره، وكذلك الروايات التي ترشد إلى الرضا بالقضاء والقدر الإلهي، وانتظار النصر الإلهي للمظلوم من ظالمه أو الروايات الحائثة على وجوب الانعزال والكون في أحلاس البيوت أو الالتزام بمبدأ الانتظار لحين خروج المنقذ المخلص وتحمل الشدائد جراء الظلم والفساد والجور ونحوها من الروايات الشريفة، ففسّر البعض هذه الروايات الشريفة تفسيراً سلبياً لا ينسجم مع رؤى مدرسة الثقلين المباركة، لذا علّل المرجع العنقوبي (دام ظلّه) مناشيء الصبر الذي تحلى به العراقيون حيال المظالم التي تصيهم إلى هذا الجانب، قائلاً: (إن صبر العراقيين في الموارد التي يُحمد فيها الصبر ناشئ من إيمانهم وتأسيمهم بعضهم صبروا على أقسى المصائب والكوارث فسوّوا طريق الصبر لشعبيهم وهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام) وأهل بيته، لكن الصمت والسكوت إزاء مظالم كبيرة ليس من الصبر المحمود بل هو من الخنوع والاستسلام للذل والهوان ولم يكن أهل البيت (عليهم السلام) خانعين مستسلمين ولا رضوا بالذل والهوان وما أكثر المظالم اليوم حيث يُقتل الأبرياء ويعتقلون ويسرق قوتهم ويهجّرون ويسكنون العراء ويحرمون من أبسط حقوق الإنسان كخدمات الماء والكهرباء ويأكلون ويشربون ما لا يصلح للاستهلاك

البشري ويعيشون في حالٍ بئيس من دون أن يقولوا: (لا) لمن ظلمهم وإذا تحدثوا فيقولون (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) مع أن الله تعالى لا يرضى لعباده النذل والهوان والحرمان وقد أوكل إلى الإنسان كل شيء إلا كرامته فليس من حقه أن يتنازل عنها).^{١٦٣}

كما نُقل عن السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) قوله في تحديد أنواع الصبر: (أن الصبر صبران، صبر سلبي وصبر إيجابي الصبر السلبي هو؛ الصبر على الظلم والصبر الإيجابي هو الصبر على مقارعة الظلم والظالمين أو الصبر المأمورون به والمأمورين عليه هو الصبر الإيجابي وهو مقارعة الظلم والظالمين وأما السلبي فهو كناية عن الخضوع والخشوع والنذل وهو صبر مذموم لا يؤجر عليه إنسان بل قد يآثم إن أدى إلى نقص في دينه أو ضياع حقوقه).^{١٦٤} ووضح سماحة الشيخ المرجع (دام ظله) مفهوم المظلومية الإيجابية التي جاءت في معرض حكمة الزعيم غاندي، قائلاً: (كثيراً ما يتردد قول غاندي (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر) على السنة المتحدثين دليلاً على عالمية وإنسانية أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) والظاهر من مرادهم أحياناً ومقصودهم من الكلمة هو أنه تعلم من الحسين كيف يسعى ليكون مظلوماً حتى ينتصر، وهو معنى سلبي ينافي أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) فإنه القائل: (ياأبي الله لنا ورسوله أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام) وورد في الدعاء: (اللهم كرّه إليّ أن أكون مظلوماً كما كرّهت إليّ أن أكون ظالماً)، والمظلوم الذي يستكين إلى الظلم ويستسلم إليه ولا يتحرك لرفعه لا ينتصر أما المعنى الصحيح للعبارة فهو إنني تعلمت من الحسين (عليه السلام) كيف أحول مظلوميتي إلى انتصار، تلك المظلومية التي يريد الطغاة والمستكبرون بما أوتوا من

١٦٣ - خطابات المرحلة، خطاب بعنوان: (تدجين الشعب العراقي ليستسلم للظلم والإذلال).

١٦٤ - المشروع السياسي والاجتماعي للسيد الشهيد محمد الصدر، هانئ النجار، ص ١٢٧.

أموال قارونية وسلاح فتاك و أوف مؤلفة من الجنود وإعلام مضلل أن يفرضوها على المستضعفين المحرومين العزل من أسباب القوة المادية).^{١٦٥}

أما مفهوم (التقية) وبيان متى تضيق دائرة خطوطها الحمراء في العمل الإسلامي ومتى تتسع فقد أسهب (دام ظله) بشرح ملابتها الموضوعية بشكل يزيل الغشاوة والفهم الخاطئ عن أذهان المسلمين، للحيلولة دون إنعكاس ذلك سلباً في سلوكياتهم وتعاملهم مع الآخرين لاسيما الجهات الحاكمة، حيث قال: ((التقية) مبدأ قرآني صرحت به الآية الشريفة التي نزلت في الحادثة المعروفة لعمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) عندما عذبتة قريش وقتلت أباه وأمه قال تعالى: [لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ] وقد تواترت فيها الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) كقول الإمام الباقر (عليه السلام) (التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له) وقول الإمام الصادق (عليه السلام): (من كانت له تقية رفعه الله، من لم تكن له تقية وضعه الله). فلا قيمة بعد ذلك لمن يشنع على الشيعة باعتقادهم بهذا المبدأ ويصفهم بما هم بريئون منه... فبعد أن كان الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعيشون في تقية شديدة بحيث لا يستطيعون أن يسلموا على أحد ويسلم عليهم أحد كما في الرواية في الكافي عن حماد بن واقد اللحام قال: (استقبلت أبا عبد الله (عليه السلام) في طريق فأعرضت عنه بوجهي ومضيت، فدخلت عليه بعد ذلك، فقلت: جعلت فداك إني لألثاق فأصرف وجهي كراهة أن أشقّ عليك فقال لي: رحمك الله ولكن رجلاً لقيني أمس في موضع كذا وكذا فقال: عليك السلام يا أبا عبد الله، ما أحسن ولا أجمل) تجد الإمام الصادق (عليه السلام) نفسه يؤسس جامعة كبرى ويتخرج على يديه آلاف العلماء في شتى حقول

العلم والمعرفة فهل خالف الإمام التقية؟ الأمر ليس كذلك بالتأكيد ولكن الجواب باختصار أن من وظائف القائد العمل على خلق أجواء وظروف يضيّق بها دائرة التقية ويوسع بها دائرة العمل الممكن وبتعبير آخر: يرجع الخطوط الحمراء التي كان يقف العمل عندها مراعاة للتقية).^{١٦٦} وقال (دام ظلّه) أيضاً في موضع آخر حول موضوع التقية: (لا تعني التقية الانزواء والانكماش وترك العمل، وإنما تعني العمل بالممكن حتى تنفتح فرص الأزيد).^{١٦٧}

أما مفهوم الانتظار الذي فهمه الكثير من الناس بشكل سلبى، فقد صحّح سماحة (دام ظلّه) فهمه في عدة خطابات وكلمات وضح فيها المعنى الصحيح لمفهوم الانتظار، حيث قال: (وردت أحاديث كثيرة في فضل انتظار الفرج منها ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج) وروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل العبادة انتظار الفرج) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (انتظروا الفرج ولا تياسوا من روح الله فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج ما دام عليه العبد المؤمن، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله) وقد فهم الكثيرون من هذه الأحاديث معنىً سلبياً هو الانكماش والعزلة وعدم التحرك لإزالة الظلم والانحراف وتذرّعوا لذلك بفهم غير ناضج لبعض المفاهيم كالتقية ولبعض الأحاديث الشريفة كروايات (كل راية قبل ظهور القائم فهي راية ضلالة)، فعطّلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما أوجب اتهام الشيعة بالخنوع والاستسلام والركون للظلم والذل، مع أن واقع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) على عكس ذلك تماماً فهي التي تتصف بالحركية والنطق بالحق والتفاعل مع قضايا الأمة ابتداءً من زمن المعصومين (عليهم السلام) حتى

١٦٦ - خطابات المرحلة، ج٦، ص٣٠٩.

١٦٧ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٦.

عصرنا الحاضر ولم تتخلف عن ذلك إلا فترات بسيطة لسبب أو لآخر. بينما كان الآخرون منساقين وراء رغبات الحكام سائرين في ركابهم حتى بدأ عندهم الوعي الإسلامي منذ أقل من قرنين من الزمان وسمّوه بالصحوّة الإسلامية، ولا يخلو التعبير بالصحوّة من إشارة إلى حالة سابقة من الخمول والركود، إن الانتظار حالة إيجابية وهو يستبطن عملياً معنى الاستعداد ولو لم يكن كذلك لما حظي بالمنزلة الرفيعة في الأحاديث المتقدمة. ولنأخذ أمثلة من حياتنا على هذا المعنى.

فحينما نقول أننا ننتظر الإمتحانات العامة فإن هذا يعني أن يكون الطلبة في ذروة الاستعداد لها فيجدون ويجتهدون ويوفّر لهم ذوهم كل الظروف التي تساعدهم على تحقيق أفضل النتائج، وتهتمك إدارات المدارس في إعداد القاعات والأسئلة والمشرفين وغيرها، وهكذا تجد كل من له علاقة بالموضوع منهمكاً في أداء عمله وما تقتضيه وظيفته.

وحيثما تنتظر دولة إقامة فعالية ضخمة كدورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت قبل أسابيع في الصين فتجد الدولة كلها مستنفرة في الاستعداد لإقامتها بأحسن حال وتنفق الحكومة المليارات في بناء الملاعب والفنادق وتهيئة المدن وغيرها، وهذا كله مع أن كثيراً من هذه الألعاب عبارة عن سراب يحسبه الظمان ماءً أو أوهاام صنعها الإنسان ليخدع بها نفسه وتتضمن كثيراً من المعاصي زيتها لهم الشيطان: [وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ..]. [وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ].

فإذا كانت الأوهام الباطلة تستحق كل هذا الاستعداد وتحشيد الطاقات وإنفاق

الأموال الطائلة، فماذا يعني انتظار اليوم الموعود وأمل الإنسانية الذي لا يعني فقط انتظار إمام عظيم هو بقية الله في أرضه وحجته على عباده - وهذا بحد ذاته يتطلب استعدادات ضخمة-، بل يعني إضافة إلى ذلك انتظار مشروع عظيم مبارك يتوّج جهود الأنبياء والرسل والأئمة والصالحين ويحقق الوعد الإلهي بإقامة دولة الحق والعدل ومحق الفساد والانحراف والظلم. لا شك أن استقبال قائد عظيم كالإمام (أرواحنا له الفداء) ومشروع خالد كدولته المباركة يستحق منا شيعته التواقين لرؤية طلعت المباركة ونصرته والكون في طليعة جنده أن نستعد بحسب ما تقتضيه وظيفتنا وموقعنا.

فالحوزة العلمية والفضلاء والمبلغون ينتشرون في كل ناحية لنشر تعاليم الدين والأخلاق الفاضلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يساعدهم في ذلك الشباب الواعي الرسالي مستفيدين من وسائل الاتصال المتقدمة وشبكات الإنترنت لإيصال صوت أهل البيت (عليهم السلام) إلى كل مكان في العالم. والمتصدّون للحكم يبذلون قصارى جهودهم في بناء دولة المؤسسات المزدهرة المتحضرة التي تسودها العدالة والإنصاف والرحمة وبذل الوسع في خدمة الناس وإسعادهم. والطلبة يجتهدون ويجتهدون لبناء مجتمع يمتلك الطاقات المبدعة القادرة على الإعمار والبناء في كل نواحي الحياة ويُغطّون مختلف الاحتياجات. والأغنياء والمتمولون ورجال الأعمال يكتفون جهودهم في الاستثمار لإعمار الحياة وتهيئة أسباب السعادة للناس وخلق فرص العمل وتفجير الطاقات وتشغيل العاطلين ويساهمون في دعم هذه الحركة المباركة، وهكذا.

إن الفهم الخاطئ لفكرة الانتظار والتقوية والعزلة وغيرها تُعدُّ من الأغلال الفكرية التي تقيّد حركة الإسلام المباركة مضافاً إلى القصور والتقصير الذاتيين، وما لم نحطّم الأغلال ونكسر القيود فإننا لا نستطيع أن نتحرك، وما بعثة الأنبياء والرسل

(صلوات الله عليهم أجمعين) إلا لكسر هذه القيود وتحرير الإنسان من الأغلال الفكرية والنفسية والاجتماعية التي تعيق حركته، قال تعالى: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] تصور لو أن إنساناً مكبلاً بالحديد في يديه ورجليه وهو في سجن محكم وأنا نطلب منه النهوض والحركة والتخلص من سجنه والإفلات من سجنه، أترى يستطيع ذلك من دون أن يكسر هذه القيود ويفكّ هذه الأغلاق ولو بمساعدة الآخرين؟ والتاريخ يروي لنا عن أشخاص -كأحد زعماء مشركي قريش- طلب منه - حين الاحتضار- أن يقول كلمتين ما أيسرهما (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) فلم يقدر وقال: إنهما أثقل من الجبال على صدري. لأنه مكبل بالموروثات الاجتماعية التي تمنعه من مخالفة طريقة الآباء، هكذا الإنسان لا يستطيع أن يرتقي سلم الكمال ويستجيب لدعوة الله تبارك وتعالى ورسوله إلا عندما يتحرر من هذه الأغلال قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] فما هي هذه الحياة التي يدعونا الله تبارك وتعالى إليها؟ وما هي صفتها؟ قال تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] إذن أساس الحياة الطيبة والانتظار والاستعداد لليوم الموعود الذي يؤسس هذه الحياة الطيبة ركنان: الإيمان المبني على العلم والمعرفة، والعمل الصالح المبني على التقوى؛ ففي الكافي عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام): جعلت فداك متى الفرج؟ فقال: يا أبا بصير وأنت

ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرحَ عنه لانتظاره).^{١٦٨}
 وعندما أورد سماحة الشيخ (دام ظله) في خطاب له بعض الروايات التي قد تُفهم
 بشكل خاطي من قبل المجتمع في هذا السياق نراه قد علّق عليها ولم يتركها دون
 توضيح وبيان، لكي لا يدع مجالاً للفهم الخاطيء بالتسرب إلى أذهان الناس،
 والروايات هي: (أوحى الله إلى نبي من أنبيائه.. إذا ظلمتَ بمظلمةٍ فارض بانتصاري
 لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (لا
 يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرتّه ونفعك وليس جزاء من سرّك أن
 تسوّهه) فأردف (دام ظله) بالتوضيح قائلاً: (ولابد أن نلتفت إلى أن هذا التغاضي
 وعدم الرد فيما يتعلق بالمظالم الشخصية، أما إذا كان الظلم يتعلق بالحقوق
 العامة خصوصاً إذا انتهكت محارم الله تعالى فالنهي عنه واجب والسكوت قبيح،
 روى في كنز العمال عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)
 منتصراً من ظلامة ظلمها قطّ إلا أن يُنتهك من محارم الله شيء، فإذا انتُهك من
 محارم الله شيء كان أشدّهم في ذلك).^{١٦٩} وهذا هو واجب العلماء والمفكرين
 والخطباء في بيان وتحليل مضامين الروايات الشريفة لكي لا يساء فهما، ويأخذ
 الناس منحي معاس لفهم الشريعة المباركة.

والخلاصة إن ظاهرة قلة الوعي وعدم الفهم العميق لروايات أهل البيت (عليهم
 السلام) تعد ظاهرة خطيرة تسبب للأمة الكثير من المشكلات، لذا دعى المرجع
 اليعقوبي (دام ظله) إلى ضرورة فهم المبادئ والمفاهيم الاسلامية فهماً سليماً لأجل
 السير بالأمة نحو بر الأمان لاسيما من بيدهم القرار السياسي من الأحزاب

١٦٨ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٣٦٦.

١٦٩ - المصدر/ خطاب المرحلة، ج٨، بعنوان: (الوصية الأخيرة للإمام الحسين والإمام
 السجاد (عليهما السلام) إِيَّاكَ وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله تعالى).

السياسية التي تدعي التمثيل الإسلامي في السلطة. حيث قال (دام ظله): (كشفت تجربة الذين يرفعون اللافتات الإسلامية من أحزاب وحركات ومؤسسات عن نقص مريع في فهم الإسلام الناصع الأصيل لذا فنحن بحاجة إلى إحياء حالة الوعي الإسلامي وإعادة التذكير بحقائقه ومفاهيمه وتعاليمه).^{١٧٠}

وفي هذا السياق ينقل لنا التأريخ إن المنصور الدوانيقي خَطَب يوماً وقال في خطبته: أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وأنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته وأقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه قد جعلني الله عليه قفلاً إذا شاء أن يفتحني لأعطيאתكم وقسم فيأكم وأرزاقكم فتحني وإذا شاء أن يقفلني أقفلني ...^{١٧١} فلاحظوا كيف يشرعن الحكام سلطتهم الظالمة على الناس، ويكسبوها قداسة مزيفة، حتى لا يعترض على ظلمهم أحد، وهذه العملية هي عين سياسة التجهيل التي تكمم أفواه الناس، إذا ما غب عنهم الوعي والدراية بحقائق الأمور، فإن (السلطين في عهدهم الغابرة، يستخدمون نوعين من الجلاوزة (جلاوزة السيف) و(جلاوزة القلم) وكانوا يبذلون من الأموال في رعاية جلاوزة القلم مثلما يبذلون في رعاية (جلاوزة السيف) فهم يبنون الثكنات والقلاع ومرابط الخيل في نفس الوقت الذي يبنون فيه المساجد والمدارس ورباطات الدراويش).^{١٧٢}

وروى التأريخ أيضاً إنه عندما اغتصب معاوية بن أبي سفيان الخلافة الإسلامية وقضى على الشورى وحول سلطة الخلافة إلى ملك وراثي ظلوم غشوم أثربه نفسه وأبنائه من بعده، وحينما شَعَرَ بجرمه هذا قام باستدراج بعض الصحابة من ضعاف النفوس وأغراهم بالمال والمناصب حتى يشرعنوا له اغتصابه للخلافة

١٧٠ - خطابات المرحلة، ج ٥، ص ٣٩٦.

١٧١ - يُنظر تاريخ الطبري، ج ٦.

١٧٢ - وعاظ السلطين، الدكتور علي الوردى.

ويبرروا للناس استثنائه بالسلطة هو وأبنائه من بعده من دون الناس جميعاً، فقاموا يروون الكثير من الأحاديث وينسبونها للنبي (صلى الله عليه وآله) وهي أقوال تجعل من الحاكم ما يشبه الإله الذي لا يُسأل عما يفعل، وعلى الناس جميعاً أن يسمعوا ويطيعوا حتى ولو نهب الحاكم أموالهم وجلد ظهورهم، وجميع هذه الروايات توجه الناس نحو التدجين وتجعلهم تحت ذل الاستعباد والجهل، وهذه بعض النماذج من هذه الروايات الموضوعة الواردة في كتب أبناء العامة:

- (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، فقال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع وإن ضربَ ظهرك وأخذَ مالك، فاسمع وأطع).

- (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبَدِّ لَهُ عِلَانِيَةً وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ قَدْ آدَى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ).

- (خِيَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّوهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ: لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وَلَايَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ).

- (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)

- (إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَهُ فِي الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَأَنَّمَا مَنْ كَانَ).

- (من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)

- (السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه الله ومن أهانه الله).

- (إنكم سترون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض).
 - (يد الله مع الجماعة والشيطان مع من خالفهم يركض).
 - (اسمع وأطع في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثره عليك وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك).
 - (أطيعوا أمراءكم مهما كان فإن أمروكم بشيء مما جئت به فإنهم يؤجرون عليه وتؤجرون عليه ذلكم بأنكم إذا لقيتم ريكم قلتم ربنا لا ضره فيقول لا ظلمه فيقولون ربنا أرسلت إلينا رسلا فأطعناهم واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم وأمرت علينا أمراء فأطعناهم فيقول صدقتم هو عليهم وأنتم منه براء).
 - (ما من قوم مشوا إلى سلطان الله لينذوه إلا أذلهم الله قبل يوم القيامة).
 - (عن أبي الدرداء قال : أوصاني رسول الله بتسع لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت ولا تترك الصلاة المكتوبة متعمدا ومن تركها متعمدا برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من دنيك فاجرح لهما ولا تنازعن ولادة الأمر وإن رأيت أنك أنت (أي رأيت أنك أفضل منهم) ولا تفر من الزحف وإن هلكت وفر أصحابك وأنفق من طولك على أهلك ولا ترفع عصاك على أهلك وأخفهم في الله عز وجل).
 - قال رسول الله لما سأله رجل: يا نبي الله رأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟ فقال: (اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم).
- وظلت هذه الروايات هي الأعمدة والقواعد التي قام عليها الفكر السلفي وكل المؤسسات الدينية الرسمية التابعة للسلطة في شتى عصور التاريخ الإسلامي وحتى الآن، وقد تبنت السلطات الحاكمة الآن في الدول العربية ترويج هذه الأفكار من خلال وسائل الإعلام لأجل إضفاء الشرعية الدينية لحاكميتها المستبدة، بدعوى

وجوب طاعة ولي الأمر، وحرمة الخروج على ولاة الأمر مهما فعلوا بالأمة من ظلم وطفغان وسرقة وفساد وتنكيل .

١٠ / السبب العاشر من أسباب تدجين المجتمع، هو الرضا بأنصاف الحلول والقبول بالحلول الترقيعية والتغييرات الشكلية، ويرجع ذلك إلى عدم وعي المرحلة والأخذ برأي القيادة الدينية الواعية المخلصة وعدم التحلي بروح المثابرة وطول النفس بخلاف ما حصل في البلدان العربية الأخرى كتونس ومصر وليبيا واليمن، التي اجتاحتها رياح التغيير بفضل هذه الروح النضالية والثورية التي اتسمت بطول الأمد والاصرار والثبات على الموقف والتغيير الجدي الراديكالي وعدم الانخداع بالقرارات أو الوعود الكاذبة التي اطلقها الزعماء العرب المخلوعين بعدما احسوا بخطر اجتثاثهم من جانب شعوبهم.

لذا فإن عدم تحلي الشعب العراقي بروح المثابرة والمواصلة وإكمال مسيرة معارضة الظلم والفساد إلى نهاية المطاف، هو الذي يجعلنا نلاحظ بين الفينة والأخرى خروجه للشارع متظاهراً للمطالبة بحقه في أمرٍ ما ولكن سرعان ما يسكن وتخدم ثورته بعد فترة وجيزة كالمطالبة بتوفير الكهرباء أيام الصيف اللاهب والمطالبة بتصليح أنابيب الصرف الصحي أيام الشتاء الممطر أو غيرها من المطالب الخدمية والوظيفية الأخرى، ولكن بمجرد ذهاب الداعي والمحفز لذلك، ترى الشارع العراقي يفتر عن المطالبة وتبرد نار ثورته ضد المفسدين، ومن الشواهد التي نسجلها هنا أيضاً ظاهرة الهجرة الفردية والجماعية لبعض العراقيين، فبعد سقوط الطاغية صدام ومجيء قوات الاحتلال الامريكي سنة ٢٠٠٣ م، عمت أرجاء العراق فرحة غامرة بسبب سقوط حكومة الظلم والاستبداد، ورسم الكثير من العراقيين أحلاماً وردية . كما يقال . لمرحلة ما بعد صدام، وزوال جمهورية الخوف التي كانت جاثمة على صدورهم لعدة عقود من الزمان، إلا أن فساد بعض المتسلطين على القرار

الديني والسياسي في البلاد، حال دون تحقيق الحياة الكريمة للعراقيين، وظلت العملية السياسية متعثرة ومتعرجة إلى يوم كتابة هذه الأوراق، فلم يدم صبر العراقيين طويلاً في هذه المرحلة، لأجل إحداث حالة التغيير الحقيقي من خلال اتباع القيادة الدينية الحقة وانتخاب المسؤول السياسي الأصح، ضمن العملية الديمقراطية الجديدة كما يقال، حتى بدأت قوافل الهجرة الجماعية بإعلان مغادرتها العراق إلى البلاد الأجنبية، بعد مرور سنوات قليلة من سقوط الطاغية، وهذه البوادر الأولى للسفر خارج العراق حذر منها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) سنة ٢٠٠٧م في خطابته المباركة^{١٧٣} إلا أن أصحاب القرار في البلاد المنهمكون بجمع الغنائم الدنيوية لم يصفوا إليه، حتى تفاقمت هذه الحالة الخطيرة في سنة ٢٠١٥م وضجت وسائل الإعلام بالتحذير من مخاطر هذه الظاهرة، ومحل شاهد الكلام إن العراقيين بادروا إلى الهجرة خارج العراق لعدة أسباب أبرزها:

✓ ما ذكره أنفاً من عدم التحلي بروح المثابرة والمطاوله على تحقيق الأهداف، والصبر على المطالب حتى نهاية المطاف.

✓ إن العراق في زمن الطاغية كان يمثل سجنًا كبيراً للشعب المظلوم، وبسقوط الطاغية تم الإفراج عنه ليستنشق نسيم الحرية - حسب ظنه - في الدول الأخرى، فسارع الكثير للهجرة ليتنفس الصعداء في بلاد الغربية.

✓ إن الشعب العراقي سأم حالة تردي الأوضاع الداخلية لبلاده، ولم يلمس المصدقية الحقيقية من السياسيين الجدد، على الرغم من الوعود المتكثرة، ولم يرى الفرق الكبير بين عهد صدام وعهد من بعده، لذا راح يبحث عن بلد بديل

١٧٣ - ينظر خطابات المرحلة. ج ٥، خطاب بعنوان: (العجز عن حل مشاكل العراق بسبب عدم وجود رمز كبير يفرض الحل على السياسيين) وغيرها من الخطابات.

ووطن آخر ينعم بالأمن والحرية والعيش الرغيد يسكن فيه، ويوفر له مستلزمات الحياة الكريمة حسب ظنه، ولكن العكس هو الذي حصل.

وهذا هو إحدى الأسباب التي أشار إليها المرجع اليعقوبي، حيث قال: (توجد ظاهرتان في العلاقة بين السلطة والشعب هما السبب في حصول الفجوة والافتراق بينهما وتعمل عدة عوامل أخرى على توسيعها وتأجيجها، هما استئثار الحكام وعدم صبر المحكوم، فإذا التفت المتسلطون إلى أنانياتهم وكرسوا جهدهم للتفرد بمغانم السلطة وجني المكاسب الشخصية مما يسبب الحيف والظلم والجور على عامة الشعب الذين قد يصبرون على مستوى معين من الحرمان والتعسف لكن صبرهم لا يستمر إلى ما لا نهاية، وعندما يصل الحرمان من أبسط حقوق الحياة الإنسانية الكريمة إلى درجة لا تطاق فإن الصبر والتصبر لا يجدي حينئذٍ وينفجر الوضع، وهذا ما عبر عنه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج شاهراً سيفه).^{١٧٤} وقد جاءت العديد من الروايات الشريفة التي تدفع المؤمنين على الصبر والثبات على الحق وتحمل الأذى وعد التزلزل أو التنازل عن الحق. ففي الحديث الشريف: (عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ خَبَّابٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَشَكُونَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا أَلَا تَسْتَنْصِرُنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا فَجَلَسَ مُحَمَّرًا وَجْهَهُ فَقَالَ قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ

الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنَعَاءَ وَحَضْرُمُوتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ
وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ).^{١٧٥}

١١/عدم وجود رمز قيادي موحد تجتمع عليه كل أطراف الشعب وتستمع إلى نصائحه في حل مشكلاتهم، وتلتف حول كل أطراف المجتمع العراقي، فالمرجع اليعقوبي لديه علاج لمشكلات العراق إلا أن أصحاب القرار في البلاد لا يسمعون منه، لأنهم ركنوا إلى أنانياتهم ومصالحهم الشخصية، وليس كل أطراف الشعب تطيعه في أوامره، لذا وكلوا أمرهم لمن أوصلنا إلى ما نحن فيه، وهذه الحقيقة أشار إليها مرجعنا اليعقوبي قائلاً: (إن العجز عن حل مشكلة العراق اليوم يرجع في بعض أسبابه المهمة إلى عدم وجود رمز وطني أو ديني كبير له هيبة وانقياد يستطيع فرض الحل على السياسيين وإرغامهم على الرضوخ إلى الحق، وهنا يكون واجب النخبة كبيراً فعليهم تحمل مسؤولياتهم لتوعية الشعب وتوجيهه نحو قيادته الحقيقية والتصدي لتحمل المسؤولية وتقديم البديل الصالح ليأخذ محل الفاسدين والظالمين).^{١٧٦} خلافاً للتجربة الإيرانية التي كان رائدها الإمام الخميني (قدس سره) الذي قاد الشعب الإيراني بأسره للتخلص من الحكم الشاهنشاهي المستبد ومن الهيمنة الصهيونية والأمريكية، بعد أن توحدت جميع القوى والأحزاب والجماهير تحت لوائه، ومن الشواهد التاريخية أيضاً في هذا المجال التفاف الشعب الهندي تحت قيادة المهاتما غاندي الذي حررهم من التبعية البريطانية المستعبدة فعندما جعل الشعب الهندي (غاندي) زعيماً روحياً ورمزاً قيادياً لهم يلوذون به لحل مشاكلاتهم تمكنوا من التحرر من الهيمنة الإنكليزية، أما الزعيم الأفريقي المعروف (نيلسون مانديلا) الذي قاد شعبه للتحرر من الطامعين

١٧٥ - حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ج ١، ص ١٤٤.

١٧٦ - خطابات المرحلة، ج ٥، ص ١٤٧.

في بلادهم، والسعي للقضاء على العنصرية والاستعباد فهي من الأمثلة الواضحة والقريبة المؤكدة لهذه الحقيقة، لذا ثمن المرجع اليعقوبي (دام ظله) في خطاب مستقل جهود هذا الزعيم الثائر الفذ.^{١٧٧}

ويرى السيد الشهيد محمد باقر الصدر (إن الأمة التي تأكلها التناقضات ولا يجمعها مثل أعلى فأنها تتحول إلى (شبح أمة) كما يقول، وفي ضل هذا الشبح سوف ينصرف كل فرد في هذه الأمة إلى همومه الصغيرة وإلى قضاياها المحدودة، وذلك بعد أن (يفتقد المثل الأعلى الذي تلتف حوله الطاقات وتحشد من أجله التضحيات وحين يسقط هذا المثل، تسقط الراية التي توجد الأمة ويبقى كل إنسان مشدوداً إلى حاجاته المحدودة وإلى المصالح الشخصية وإلى تفكيره في أموره الخاصة أي أن كل واحد من الأمة يبدأ يفكر، كيف يصبح؟ كيف يمسي؟ كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف يوفر الراحة والاستقرار له ولأولاده وعائلته...؟) وعندها تضمحل هذه الأمل وتنتهي وتنكسر شوكتها ويزول عزها لأن النصر كما يقول السيد الشهيد أيضاً (ليس حقاً لكم وإنما النصر حق طبيعي لكم بقدر ما يمكن أن توفرنا الشروط الموضوعية لهذا النصر بحسب سنن التاريخ التي وضعها الله سبحانه تعالى كونياً لا تشريعياً) وأكثر من ذلك وفي مرحلة التقسيم الفرعوني للأمم والشعوب يرى السيد الشهيد أن الأمم تتحمل المسؤولية الكبرى في سيطرة هذه المرحلة أو هذا التقسيم، وأنها غير معذورة في الاستسلام لهذا الفرعون أو ذاك رغم أن هذا الفرعون أول من يحاسب على فرعونيته وأول من سيحل عليه غضب الله سواء كان في الدنيا والآخرة حسب قرب أو بعد هذه الأمة أو هذا الفرعون من آثار مرحلة السنن التاريخية المذكورة ولكن دور الأئمة يبقى شاخصاً (فالأمة حين

تتنازل عن أراذمتها وشخصيتها لجبار من الجبابة حينئذٍ تكون عرضة للذوبان والتميع فتحترق في أتون الفرعون (أي الفرعون).^{١٧٨}

١٢/ كثرة مصاعب الحياة وتواليها من مرض وبطالة وفقر، وما يفرزه من إنشغال مُلح بطلب الرزق للعائلة وما تحتاجه من لوازم المعيشة الضرورية، بالإضافة إلى الكوارث الأمنية من تفجيرات واغتيالات واختطاف وتهجير قسري ونحوها، كل هذه العوامل وغيرها انهكت قوة الشعب وفتت من صبره وصموده على مواجهة التحديات لاسيما وأنه قد خرج للتو من محنة ظلماء هي حومة البعث البغيض المتوحش الذي أحال العراق إلى رماد وخرّب في صدور العراقيين آلاف الآفات والآلام، التي يصعب شفاؤها، ناهيك عن ما أفرزه تنظيم داعش الإجرامي التكفيري في الآونة الأخيرة حيث فرض على المجتمع العراقي هموماً جديدة كالهجرة والنزوح القسري وماترتب عليه من تدهور اقتصادي وتدني صحي ونفسي وربما تسبب بتصدع في المنظومة الأسرية بالكامل فأثقل كاهل المجتمع العراقي بهموم سياسية واقتصادية وأمنية كثيرة وتكبد أيضاً (عنتاً وشدة وكوارث يندر أن يمر بها شعب آخر من قطع الرؤوس والتمثيل بالأجساد وقتل النساء والأطفال وتدمير دور العبادة والمدارس وتخريب البلاد وكل مظاهر الحياة المتحضرة).^{١٧٩}

١٣/ كثرة المهليات وتوفر العديد من وسائل الغفلة واللعب والترفيه كالمقاهي والكازينوهات وصلات الألعاب الرياضية والحدائق السياحية التي من شأنها إنزواء الإنسان عن همومه ومسؤولياته الدينية والاجتماعية والوطنية، ولعل هذه المظاهر الملهية التجأ إليها المجتمع لمزاولة الترفيه الشكلي، لكي يتناسى آلام الحياة،

١٧٨ - الشهيد الصدر بين أزمة التأريخ وذمة المؤرخين، مختار الأسدي، ص ١٢٠.

١٧٩ - خطابات المرحلة، ج ٥، ص ٣.

وقلة الخدمات، كما تنتشر في أوساط المجتمع أمور أخرى أدت إلى حالة الخدر والإنكماش الإجتماعي كانتشار الأجهزة الذكية الحديثة كالهواتف النقالة ونظائرها، مع ما فيها من خدمات للتواصل الاجتماعي، فهي بيئة جيدة للإنعزال عن المجتمع، والاكتفاء بالتواصل معه إلكترونياً - لوصح التعبير- وإطلاق صيحات التنديد والاعتراض والاستهزاء والتندر والتهكم على مفاصد السياسيين، من خلال هذه القنوات الإعلامية لتكون متنفساً وساحة لتفريغ شحنات الاحتقان الداخلي ضدهم وعدم تفعيل هذه الاعتراضات بشكل عملي.

يضاف إلى هذه القائمة حالة الهوس الشعبي من قبل شريحة كبيرة من المجتمع بالجانب الرياضي، لاسيما لعبة كرة القدم، حتى إن شوارع المدن لتخلو في بعض الأحيان من المارة والسيارات جراء اعتكاف الناس خلف شاشات التلفاز لمشاهدة لعبة كرة القدم، فتتسمر الأعين وتُصم الأذان عما سوى مشاهدة المباريات، ليتناسى البعض آلامه، أو لأن هذه الهواية هي بمثابة كماله المنشود الذي يصبو إليه، بحيث إن البعض ليفرح بفوز فريقه المفضل ويبدي معالم البهجة والسرور لدرجة اطلاق العيارات النارية، على الرغم من مآسي الشعب جراء التفجيرات المتواصلة، أو مزامنته لشهادة أحد المعصومين الكرام (صلوات الله عليهم) وتصل النوبة بإثارة الخلافات والمشكلات والعراك بالأيدي جراء هذا الهوس والتحمس بتشجيع هذا الفريق أو ذاك وهذا بطبيعة الحال ناتج من قلة الوعي وسطحية التفكير وعدم الشعور بالمسؤولية وعدم سعة الأفق والانغماس بطاعة الذات وما تشهيه، والسقوط فريسة سهلة لسياسة الغرب الماكر الذي أوجد هذه الحالة والتي يطلق عليها بسياسة (إلهاء الشعوب) ، أما طائفة الشباب المراهقين فبعضهم منشغل اليوم بعالمهم الخاص، ولا يشعرون إنهم ينتمون إلى هذا البلد بالبتة، لقد

نحجت فيهم تجربة التسلية والالهاء التي تقودها الصهيونية العالمية فتجد إن اغلبيتهم لا يستطيعون التنازل عن المزرعة السعيدة خوفاً على وفاة بقراته. ومما يزيد الطين بلة والمشكلة تعقيداً إن حالة انشغال المجتمع بالمهيات وموارد اللعب واللهو ليست أموراً اعتباطية بل من ورائها أجنداث مغرضة تهدف إلى إسقاط الأمة في مستنقع الانحرافات، والتمكن من الهيمنة على مصيرها وثرواتها حيث (إن المهتمكين في الحياة المادية والساعين وراء إشباع شهواتهم ونزواتهم والنهمين في جمع المال يتفننون في ابتكار رياضات وفعاليات أخرى لا قيمة لها سوى شد الناس وجذبتهم للاستمرار في استدرار أموالهم فما إن يأفل نجم رياضة ويعزف عنها الناس حتى يبتكروا غيرها وربما كان بعضها يشبه أفعال المجانين لا العقلاء، وتوجد خلفهم مؤسسات تخدم مصالح استكبارية تريد للشعوب أن تبقى غافلة لاهية مشغولة عن قضاياها المصيرية وأهدافها الحقيقية ولا يلتفتون إلى مكائد المستكبرين ونهيم لثروات الشعوب فعلى هذه الشعوب أن لا تنخدع بهم).^{١٨٠} وقد شبه سماحة الشيخ المرجع (دام ظله) حال الأمة اليوم بعصر الإمام أمير المؤمنين والإمام المجتبي (عليهما الصلاة والسلام). حيث قال: (إذا أردت تشبيه حالة الأمة اليوم بحالة سابقة فإنها تحكي حالتها في أخريات أيام أمير المؤمنين (عليه السلام) وزمان الإمام الحسن (عليه السلام) حين عصفت بها الفتن والشبهات ولعب حب الدنيا بعقولها، ومالت إلى الدعة والراحة والسكون والترهل والاكْتفاء بترتيب أحوالها الخاصة واللامبالاة بأمور الدين والمصالح العامة).^{١٨١}

١٤/ حُب الراحة والدعة والركون إلى الدنيا، فأثر البعض الاستسلام للظلم طلباً لذلك، ولكيلا يجلب لنفسه -حسب فهمه- ما يُصدِّع رأسه ويذهب براحة باله، ويحبذ أكثر الناس حالة الدعة والسكون على الحركة والرفض حتى وإن لم يحصلوا على أبسط حقوقهم، فالمهم لديهم هو العيش ولو بمواجهة ظروف صعبة،

١٨٠ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٢٥٩.

١٨١ خطاب المرحلة، ج٦، بعنوان: (كيف نخرج من حالة الفشل والتقاعس).

والنتيجة هو أن (يبقى الشعب المسالم البريء الأعزل الذي يمنعه دينه وأخلاقه وتقاليده عن ارتكاب الظلم والفساد يبقى محروماً من أبسط حقوقه ويعيش دون خط الفقر في مدنٍ تسبح على بحار من النفط).^{١٨٢}

١٥/ وجود حالة من الطيبة الزائفة، والعقلية السطحية الساذجة التي لا ترقى لفهم مجريات الأحداث وتقييم الأشخاص اللاعبين في الساحة، والمسؤولين عن القرار الديني والسياسي والاجتماعي، وعدم تمييز الصالح عن الفاسد منهم، والعجز عن قرائه ما بين السطور كما يعبرون، وهذه الظاهرة هي من نتائج قلة الثقافة والوعي، وبسبب ما تقدم تنطلي على من هذه صفته الأكاذيب والخداع ويصدقون بكل الوعود والالتزامات التي يُصرح بها بعض السياسيين في وسائل الإعلام، فإن انتشار حالة الجهل وقلة الوعي بالأوضاع التي تُحاك تجاه الشعب من قبل أصحاب النفوذ في المؤسسة الدينية الفاسدة وأصحاب المطاعم في المؤسسة السياسية هي أحد العوامل الرئيسة التي مكنت ظاهرة التدجين من التغلغل في المجتمع، ولكي يكون المجتمع واعياً وبصيراً عليه أن يلجأ إلى الحل الجذري وهي صناديق الاقتراع في الممارسة الانتخابية التي تعد من مظاهر الديمقراطية المتحضرة لانتخاب الأصلح ولن يمثل تطلعات الشعب ومصالحهم، وأن لا يبادر في بيع صوته بالمال وحطام الدنيا الزائلة، كما حصل للأسف الشديد.

وقد حذر المرجع اليعقوبي في خطاب له من مغبة الجهالة والضلالة وإيهما سببان رئيسيان لهلاك الأمة، حيث قال (دام ظلّه): (فما دام هذان الداءان الوبيلان يفتكان بالأمة فيجب أن يستمر العمل الدؤوب في سبيل الله تعالى لاستنقاذ الأمة منهما وإلا فإنهما سيؤديان إلى هلاكها وموتها المعنوي وستدخل في تيه الضلالة

وتبتعد عن المنهج السليم، وان كانت بحسب الظاهر تعيش حياتها المادية ولكن [إن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا] والجهالة أوسع من المصطلح المعروف في مقابل العلم، واستقراء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يكشف عن أنها تعني فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل فيمكن أن تكون في الاعتقادات [وَمَا أَتَى قَدْ أَهَمَّهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ] ويمكن أن تكون في القوانين والتشريعات [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] ويمكن أن تكون في التصرفات وأنماط السلوك [إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى] ^{١٨٣}.

وكما يمكن أن يكون الجهل والضلال أساساً للهلاك يمكن أن تكون الثقافة الخاطئة هي الأخرى سبباً آخرًا للمشكلات التي تعصف بالمجتمع، وهذا ما أكده المرجع اليعقوبي حيث قال (دام ظله): (إن الثقافة يمكن أن تكون أساس المشكلة ويمكن أن تكون أساس الحل فإذا سادت ثقافة العنف والاحتراب والصراع في المجتمع تحول أبنائه إلى العنف وإذا نُشرت ثقافة الحب والتسامح والأخوة نزع المجتمع إلى هذه الخصال). ^{١٨٤} ومن هنا نرى إصرار الأجنداث المغرضة والمعادية للعراق كيف تصر على تجهيل المجتمع، وتحاول مجاهدة السير قدماً في سياسة التكريع الحضاري للشعوب وتحقيق سلخ الهوية الحضارية والفكرية عن الأمة، وهذا يفسر لنا بعض الخروقات الأمنية التي تحصل في الحواضر العلمية كالتفجيرات المتعمدة قرب الجامعات واستهداف الكوادر والشخصيات العلمية والأكاديمية، بالإضافة إلى استهداف المظاهر الفكرية والثقافية في البلاد كشارع

١٨٣ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٢٧٦.

١٨٤ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٤٠٨.

المتنبي ومدينة الكرادة في بغداد، ف(إن استهداف الكرادة بهذا الشكل المتواصل ليس اعتباطياً وإنما لأنها الوجه الحضاري المشرق في بغداد والمنجبة للعلماء والمفكرين والشباب الرساليين وهي مفخرة بغداد التي تباهي بها وتتجلى فيها وحدة الشعب العراقي وانسجام مكوناته من مختلف الطوائف والأعراق).^{١٨٥}

١٦/ إن الكثير من الشخصيات القيادية المخلصة والنزيهة قد تم القضاء عليها من قبل النظام البعثي البائد، فاصبحوا بين شهيداً أو مهجر، ولم يبق منهم إلا القليل، وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت الإمام علي (عليه السلام) يتحسّر عندما اشتاق لرؤية الشخصيات الفذة والمخلصة آنذاك، والتي كان لها دور بارز في عملية إصلاح الأمة، ومساعدته في نشر الدين، ومقاومة الظالمين والمفسدين، حيث قال (عليه السلام): (أين اخواني الذين، ركبوا الطريق، ومضوا على الحق، أين عمّارو أين ابن التّيمان، وأين ذو الشّهادتين، وأين نظراؤهم) ولعله (عليه السلام) يقصد أمثال سلمان المحمدي والمقداد وأبو ذر ومالك الأشترهاشم المرقال وغيرهم، وقد شكّلت مسألة ندرة الأتباع العاملين المخلصين مشكلة كبيرة في طريق المصلحين منذ زمن الأنبياء الكرام (عليهم السلام) وامتداداً بأسلافهم من العلماء الرساليين، وهذا ما جعل المرجع اليعقوبي يتسأل قائلاً: (فهل من الصدفة أن يصل السيدان الشهيديان الصدران الأول والثاني (قدس الله سرهما) في ذروة المواجهة مع النظام الطاغوتي إلى نتيجة واحدة وهي قلة الواعين المخلصين؟ فمثل هذه التجارب سواء كانت مرجعية أو سياسية أو اجتماعية أو عسكرية لا بد أن تُمحصّ ويستفاد منها).^{١٨٦} ومن جهة أخرى يُبيّن (دام ظله) أهمية دور الثلة القيادية المخلصة في ساحة العمل الحركي والرسالي، قائلاً: (إن بقاء الثلة الصالحة المؤمنة التي تديم الوجود المبارك لأتباع

١٨٥ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٣٩٩.

١٨٦ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٣٩٦.

أهل البيت (عليهم السلام) هو أعظم رد على كل الأعداء لأنهم يريدون إخلاء الساحة منهم كما فعلوا بعد قتل الشهيد الصدر الأول (قدس سره) عام ١٩٨٠م، ونجحوا في فصل الناس عن دينهم حتى أذن الله تبارك وتعالى بانبعث الحياة وانتفاض الروح من جديد، ألم يقل صدام أني لا أسلم العراق إلا أرضاً جرداء بلا إنسان، وها هم أيتامه يكملون صفحات جرائمه فكونوا منهم على وعي وحذر، وإذا كان في يوم ما تكليف المؤمنين هي التضحية في سبيل الله فأنهم سوف لا يقصرون ولا يترددون وسيكونون كما قال الشاعر:

لبسوا الدروع على القلوب واقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفسي

وهذا يتطلب منهم إدامة الروح الثورية والتواجد في الساحة والتواصل مع تعاليم دينهم تعليماً وتطبيقاً، والحذر والوعي لما يحاك لهم من مؤامرات، والالتفاف حول قيادتهم الرشيدة التي هي أمان لهم من الوقوع في المزالق.^{١٨٧}

١٧/ ومن الأسباب التي أدت إلى نشوؤ ظاهرة التدجين في الأمة هو ابتعاد المجتمع عن طاعة الله تعالى، والتورط في الكثير من المخالفات الشرعية، وارتكاب المحرمات وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم نصره القيادات الدينية المخلصة الحققة، فكانت النتيجة أن تولى الحكم من يذيق الأمة العاصية، ألم الظلم والإضطهاد ويستضعفها ويدجنها، وقد مارس ذلك العديد من حكام الجور في أزمة مختلفة ومتعاقبة، فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في وصيته للحسين (عليهما السلام): (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم) كما (يلفت الإمام المهدي (عجل الله فرجه) نظرنا إلى بعض هذه الأسباب، ويعطينا الوصفات العلاجية الدقيقة في رسالته إلى الشيخ

١٨٧ - خطابات المرحلة، ج ٤، خطاب بعنوان: (أي خدمة للأعداء قدمها مرتكبو جريمة ببيع سامراء؟).

المفيد (قدس سره) ومما جاء فيها عن سبب النذل والهوان (ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالنذل الذي أصابكم منذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون). (ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم) ومن الحلول التي وردت في كلام الإمام (عليه السلام): (فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم).^{١٨٨}

كما وردت العديد من الآيات المباركة والروايات الشريفة التي تحذّر من مغبة الإعراض عن طاعة الله تعالى والتورط بمعاصيه، لأن ذلك سيجر عليها الويلات والبلاءات المتكررة، وفيما يأتي نماذج من تلك النصوص الشريفة:

- قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى).
- وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).
- وقال تعالى: (وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ).
- وقال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ).
- وقال تعالى: (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا).
- وقال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلِهَا ظَالِمُونَ).

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إن الله تبارك وتعالى أعزمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها.
- وعنه (صلى الله عليه وآله): (إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أدخل الله عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم).
- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنْ تَلَدَّذَ بِمَعَاصِيِ اللَّهِ أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذُلًّا).
- وعنه (عليه السلام): (أَعْظَمُ النَّاسِ ذُلًّا الطَّامِعُ الْحَرِيصُ الْمُرِيبُ).
- وعنه (عليه السلام): (هَلَكَ مَنْ اسْتَنَامَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَمْرَهَا دِينُهُ فَهُوَ حَيْثُمَا مَالَتْ مَالٌ إِلَيْهَا، قَدْ اتَّخَذَهَا هَمَّهُ وَمَعْبُودُهُ).
- عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أحب الحياة ذل).

١٨ / تفشي حالة الخدر والرضا بحصة التغيير الجديدة الناتجة بزوال كابوس الطاغية، وانفتاح البلاد على ممارسة نظام جديد ذي صبغة ديمقراطية، وحرية مفتوحة، وهذا النظام الجديد هو الذي أرادت الولايات المتحدة الأمريكية تطبيقه في العراق عقب النظام الديكتاتوري وذلك للمخططات مدروسة سلفاً، فمُنح العراقيين حريات متعددة كحرية ممارسة الطقوس الدينية بكافة أشكالها وحرية السفر خارج العراق وحرية التعبير الإعلامي، وحرية التعددية الحزبية والمشاركة في السلطة وحرية المعارضة والاحتجاج وغيرها. وهذه الحريات كما هو معلوم كانت ممنوعة في زمن حكومة البعث، لذا اعتبر الشعب ذلك من أكبر المغنم والمكتسبات التي حصل عليها بعد ٢٠٠٣م بالإضافة إلى بعض التطورات على الساحة الاقتصادية من جهة امتلاك السلع الاستهلاكية التي لم يعهدها المواطن العراقي

وزيادة رواتب الموظفين التي تؤهله للإتقان في شراء البضائع والأجهزة الكهربائية التي حُرِّم منها لسنوات عديدة، على الرغم من قلة الخدمات الأخرى كتوفر الكهرباء اللازمة والماء الصافي ومد أنابيب الصرف الصحي وتصليح الفاسد منها، وتعبيد الشوارع وتعويض عوائل الشهداء وضحايا النظام البائد، وغيرها، وبشكل عام فإن هذه الحريات العريضة والواسعة التي مُنحت للعراقيين بعد طول قهر وإذلال وظلم وجدوا فيها سلوهم وغفلوا أو تناسوا القضايا السياسية الأخرى، في حين إن هذا الشعب الأبى عندما كان تحت مطرقة الحُكم البعثي الظالم، وفي حقبة البلاء والشدة تراه ينتفض عدة مرات ضد الحكم الديكتاتوري المستبد ويمارس أسلوب الكفاح المسلح أو المعارضة الثورية بمجرد احساسه بفرصة سانحة للتعبير عن رأيه ومعارضة الحكم، كالانتفاضة الصفرية في سنة ١٩٧٧ م، وكالانتفاضة الشعبانية في آذار ١٩٩١ م، والحراك الثوري الشعبي الغاضب في سنة ١٩٩٩ م على أثر استشهاد السيد الصدر الثاني (قدس سره)، بالإضافة إلى حركات المعارضة التي حصلت في المجتمع الكردي شمال العراق، في نهاية عقد الثمانينيات وفي بدايات مطلع عقد التسعينيات، لذا يبدو إن من أسباب الخمود والركود الذي أصاب الشارع العراقي وأقعده عن إبداء صيحات الاعتراض بوجه السياسيين الفاسدين على كثرتها، موجه رضاء الحرية، واستنشاق نسيمها الذي خدر الحس الثوري لدى المجتمع، على الرغم من امتعاض المجتمع ونقمته الداخلية تجاه سياسيه الفاشلين.

١٩/ عدم الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية، تجاه مجريات الأحداث في العراق، وما يصيب المجتمع من ويلات، وقد أنتج ذلك عدة أمور:
أ/ تفشي حالة من اللامبالاة وعدم وعي خطورة الأمور والمرحلة وقلة الإيمان بالله تعالى والحساب بالأخرة لم يحفز الناس للتغيير.

ب/ عدم الغيرة على الآخر ولسان حال البعض - للأسف الشديد - (فما دام بيتي في أمان فلا يهمني ما يجري على جاري) لكن الناس يجهلون الحكمة القائلة: (إذا حلقت لحية جارك فاسكب الماء على لحيتك) ويظهر من سياق الحوادث التاريخية التي مر بها الشعب العراقي إنه شعب تعصبي وولائي يتقوقع ضمن إطار الولاء لجماعته وفتنه الدينية أو المذهبية أو حوزوية أو العشائرية التي ينتمي إليها ويدافع عن حريمها ولا يهتم لما يصيب الجماعات الأخرى ولا يتضامن معهم ولا يتقاسم معهم همومهم ومشكلاتهم.

ج/ انتشار حالة الاتكالية الناشئة بسبب عدم الشعور بالمسؤولية وعدم الاعتزاز بالهوية الوطنية وفقدان الشعور بالانتماء الوطني والانتماء الديني. حيث ساهمت هذه الظاهرة في توسع رقعة الظلم لأن كل فرد لا يشعر بالمسؤولية ينتظر غيره بالتهوض للقيام بعملية التغيير بدلاً عنه، وبالتحديد إن الفرد العراقي ينتظر جهتين للتغيير، الأولى القيادة الدينية الفاسدة التي هي في الحقيقة أساس الظلم والفساد والجهة الثانية هم بقية أبناء الشعب وهنا ينتج الدور المنطقي كما يعبرون وهو توقف عملي على عملي و هكذا، قال المرجع اليعقوبي (دام ظله): (إن الله تبارك وتعالى ذم المتقاعسين المتواكلين الذين لا يريدون أن يقدموا جهداً أو تضحية وينتظرون من الغير إنجاز العمل وينشغلون هم بالتشكيك والاعتراض، ولقد ذكر الله تبارك وتعالى مثلاً لهم من قوم موسى [يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ] لكن الله تبارك وتعالى أثنى على المبادرين إلى العمل المستجيبين لأوامر نبيهم [قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ]. فكانت عاقبة

التخاذل والتمرد والتشكيك التيه جيلاً كاملاً حتى استبدل بهم ربهم غيرهم [قَالَ
فَاتَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ] ^{١٨٩}.

٢٠/عوامل مساعدة أخرى، ساعدت على انتشار حالة الخضوع والاستكانة في
المجتمع، وهي:

أولاً/ عدم وعي أهداف القضية الحسينية المباركة والاهتمام بالأمر الشكلي فقط
وعدم التأثر بالروح النضالية والثورية التي تشع من شمس ملحمة عاشوراء
الخالدة ومن شعائرها المباركة، في حين إن القضية الحسينية هي خير علاج لظاهرة
تدجين الشعوب، وهذا ما جعل المرجع اليعقوبي يستغرب قائلاً: (أسجل استغرابي
واستنكاري من حصول بعض حالات الفساد في المجتمع كالذي ينقل عما يجري في
المقاهي من أعمال منكرة وتعاطي مخدرات، أو ما يجري في محلات المساج والعلاج
الطبيعي من اختلاط منكر ودعوة إلى الرذيلة، أو انتشار الفساد المالي وهدر الأموال
العامة التي هي ملك الشعب، أو وجود مافيات وميليشيات القتل والاختطاف
والابتزاز والسرقعة، كل ذلك يحصل في مدن وسط وجنوب العراق التي فيها أغلبية
ساحقة من الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) فإذا كان المشاركون في شعائر
الحسين (عليه السلام) ثمانية ملايين أو أكثر بحيث نستطيع أن نقول إن كل شيعة موالي
لأهل البيت (عليهم السلام) في هذه المدن يشارك بشكل أو بآخر في الشعائر كالمشي
إلى مرقد الشريف أو خدمة الزوار أو المشاركة في مواكب العزاء أو المجالس
الحسينية، إذن فمن الذي يقوم بتلك الأفعال المنكرة في المجتمع التي ذكرنا نماذج
منها، وماذا استفاد هؤلاء من مبادئ الحسين (عليه السلام) وماذا فهموا من حركته

المباركة؟ وهل يتوقعون قبول أعمالهم من الله تبارك وتعالى في ضوء الآيات الكريمة والروايات الشريفة؟!^{١٩٠}

لذا أكد (دام ظله) على ضرورة الإنتهال من عقب عاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام) وتضحياته العظيمة والإقتداء به في مقارعة الظلم وعدم السكوت على الباطل والمنكر في المجتمع، وعد هذا الأمر لوناً من ألوان النصر والتأسي العملي والفاعل بالإمام سيد الشهداء (عليه السلام) حيث قال (دام ظله): (...ولنقوم بشكل من إشكال النصر التي طلبها الإمام السبط الشهيد (عليه السلام) بإبراز القيم السامية والمثل العليا التي عمل (عليه السلام) على إقامتها وترسيخها ودعوة الناس إليها... وأول تلك المبادئ وأهمها وأرقاها والتي تتقوم بها إنسانية الإنسان هي الحرية ونعني بها الانعتاق من عبودية ما سوى الله تبارك وتعالى، من خلال السعي لتحقيق العبودية الحقة لله تبارك وتعالى بالتوحيد الخالص وطاعته تبارك وتعالى وطاعة من أمر الله تبارك وتعالى بطاعته. وقد كان تحرير الأمة من عبودية الطواغيت ومن أغلال الخنوع والاستكانة والركون إلى الدنيا وضعف الهمة ومن الجهل والنفاق أهم نتائج النهضة الحسينية، حتى أصبح الإمام (عليه السلام) سيد الأحرار ورمزهم ورائد كل حركات التحرر إلى يومنا هذا وإلى قيام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وما كان (عليه السلام) يستطيع تحقيق ذلك لولا أنه امتلاً معرفة بالله تعالى، وتجرد من كل ما سوى الله تعالى، وعاش عبداً مخلصاً لله تبارك وتعالى، وكيف لا يكون كذلك وهو من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة).^{١٩١}

١٩٠ - خطابات المرحلة، ج٧، خطاب بعنوان: المشاركة والمحاسبة في أول السنة وآخرها وإحياء الشعائر الحسينية.

١٩١ - خطاب المرحلة، ج٨، بعنوان: (النهضة الحسينية والدفاع عن حقوق الإنسان).

ثانياً/ وجود محاولات محمومة ومن عدة جهات مغرضة لأجل فصل الدين عن السياسة وعن واقع الحياة وتطبيق المقولة القائلة: (ما لقيصر لقيصر وما للشعب للشعب) وهذه الظاهرة أشار إلى خطرهما المرجع اليعقوبي، حيث قال: (لقد تعمد أعداء الإسلام والشعب الفصل بين الحوزة والدين وتنفيذ كل منهما من الآخر فتصّور الحوزة العلمية للجامعيين وكأنها كيان متخلف رجعي متحجر لا يفقه من المدنية شيئاً وتصور الجامعيين للحوزة العلمية وكأنهم شباب فارغون متميعون بعيدون عن الدين وأنهم لاهثون وراء شهواتهم، وكان على مدى الأجيال في الكيانيين ثلة واعية رسالية استطاعت كسر هذا الإسفين وأزالت الحواجز).^{١٩٢}

ثالثاً/ الاختلاف الطبقي ووجود حالة من الطبقة الاجتماعية والاقتصادية، فبعض الوجهاء والأغنياء من المجتمع لما رأوا أنهم في مأمن من الحالات الفقر والاحتياج وتضرر المصالح الشخصية، أثروا السكوت على مظالم الآخرين، طلباً للراحة أو تحقيقاً لمجاملة أسيادهم أو غير ذلك، فمن لا دين له ومن لا شعور بالمسؤولية لديه تجاه الآخرين حاله حال الناس الذين عبّر عنهم الإمام الحسين (عليه السلام) في مقولة الشهيرة: (النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالِدِّينُ لِعَقِّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ لِلَّهِ فَإِذَا مَجَّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ) فكتمت المصالح والثراء أفواه الأغنياء والوجهاء إلا في بعض الموارد.

رابعاً/ الإعلام المضل:

يُعد خطر وسائل الإعلام بكل قنواته سبباً فعالاً من أسباب التأثير على صياغة عقلية المجتمع ونفسيته وطريقة تفكيره ونمط سلوكياته وكيفية تعامله مع الأحداث والوقائع من خلال ما يقوم به الإعلام من غسيل للأدمغة وبلورة الأفكار بالاتجاه الذي يريده صانعوها وموجهوا الإعلام المضلّ، ونقصد بالإعلام هنا هو كل

ما يرد على المجتمع من توجيه جماعي سواء عبر الوسائل المرئية والمسموعة أو عن طريق ما يتناقله الناس من أخبار وإشاعات، ويعتمد نجاح المجتمع في التخلص من خطر هذه المؤامرات على مدى وعي المجتمع، فالمجتمع الساذج تنطلي عليه الأكاذيب والإشاعات المغرضة بسهولة وينسى الحيل السابقة التي انطلت عليه، أما المجتمع الواعي فيصعب على أعداء الإنسانية اختراقه، ومن هنا فإن للإعلام مساهمة فعالة في تلقين الناس وتوجيههم ويقع الإعلام أيضاً ضمن سلسلة ما يبني شخصية الإنسان بعد دور الأبوين والأصدقاء والمدرسة وسائر أفراد المحيط الاجتماعي وفي بعض الأحيان قد يتفوق تأثيره على هذه القنوات المؤثرة في شخصية الإنسان من حيث يشعر أو لا يشعر.

لذا نجد الاستكبار العالمي قد إهتم بهذا الجانب أيما اهتمام وسخر له الكثير من القدرات والإمكانات المادية والمعنوية، وما ذلك إلا لأجل التأثير على عقول الشعوب وإراداتها وسهولة قياداتها وترويضها بالشكل الذي يرغبون فيه، فالأخبار والإشاعات على سبيل المثال يمكن أن تساهم بشكل كبير في صناعة النصر لجيش ما، وتعزيز الروح القتالية لديه وترفع من مستوى الثقة بنفسه، ويمكن أن يكن الأمر بالعكس تماماً حيث يمكن لإشاعة واحدة هزيمة جيش جرار ومقتدر، كما حصل بالفعل في العديد من المواقف والأحداث التي نقلها لنا التاريخ إذن ينبغي على قادة المجتمع وأولياء الأمور دراسة وتحليل ومراقبة ما يصل إلى المجتمع عبر وسائل الإعلام بشكل عام لاسيما بعد الهجوم الكاسح والانفتاح الإعلامي الكبير الذي شهده المجتمع العراقي بعد سقوط الطاغية المقبور في سنة ٢٠٠٣ الذي أحكم خناقته على الشعب وعزله عن العالم إعلامياً واجتماعياً وبمجرد زوال هذا الكابوس بدأت مرحلة جديدة من الإنفتاح الإعلامي تمثلت في بادي الأمر باقتناء

جهاز (الستلايت) وتلقي ماتبثه القنوات الفضائية المختلفة بما فيها من غث وسمين وحلال وحرام ونافع وضار .

وهذه الظاهرة لم تكن عفوية بل هي من ضمن تخطيطات الإستكبار العالمي وفي مقدمتهم الإدارة الأمريكية التي تزامن مع دخولها الاحتلال العراقي دخول هذا المد الإعلامي الهائلة دفعة واحدة والهدف منه تغيير أفكار الشعب وبناء آيدلوجية جديدة ونمطية جديدة للشخصية عراقية تتناغم مع متطلبات الغرب الهدامة وتهدف إلى مسخ لهويته العقائدية والوطنية والاجتماعية.

لذا كان أول هدية قدمها المحتل الأمريكي للشعب العراقي هو جهاز (الستلايت) وهذا الظاهرة بكل تفاصيلها لم تفت مرجعنا القائد الشيخ اليعقوبي (دام ظله) الذي يعيش محنة شعبه فنبه المجتمع منذ ذلك الحين إلى هذا الخطر المقبل والمواجهة الجديدة مع الاستكبار العالمي الذي جاء هذا المرة بكل ثقله في الساحة ليمارس مهامه التدميرية والتخريبية في المنطقة.

لذا أصد سماحته (دام ظله) وقبل دخول قوات الاحتلال أرض العراق بيانا بعنوان (الاستماع إلى الأخبار في أوقات الأزمات) بتاريخ (٢٦ ذو القعدة ١٤٢٣ الموافق ٢٠٠٣/١/٣٠) وهذا ينم عن سعة وعيه واستيعابه للمرحلة وما ستؤول إليه الإحداث المستقبلية، فتصدى (دام ظله) للمؤامرات والانحرافات قبل وقوعها (فالوقاية خير من العلاج) ثم أردف سماحه (دام ظله) خطاباً آخر في نفس الصدد بعنوان (جهاز الستلايت أول هدية بعد سقوط النظام) هذا الخطاب كان من أوائل الخطابات التي ألقاها سماحته (دام ظله) بعد سقوط (صدام) المقبور مباشرة حيث كانت أول هدية قدمها الاحتلال للشعب العراقي هي مليون جهاز ستلايت لإفساده وقد لخص الخطاب من عدة كتب ألقت تحت إشرافه (دام ظله) منها

(احذر في بيتك شيطان) و(الأفلام والمسلسلات مشكلة وعلاج) ناهيك عن المحاضرات والكتب الأخرى التي أصدرها في هذا الصدد وبعد هذه المقدمة التي أردنا فيها بيان خطر الإعلام على المجتمع، إن نوجه الأنظار على مدى تأثير الإعلام المفتوح وكيف أريد للمواطن العراقي أن يكون في تعامله مع نفسه ومجتمعه ووطنه وحتى أعدائه وخصومه في هذه المرحلة المهمة في الإنفتاح على الثقافات الجديدة، والتغيير الجذري في نظام الحكم وإدارة البلاد، ومجيء شخصيات وجهات دينية وسياسية كانت خارج العراق للمشاركة والتأثير في نظام حكم الشعب.

علاج ظاهرة تدجين المجتمع

ندكر فيما يأتي جملة من العلاجات الأساسية والثانوية لظاهرة تدجين الشعوب واستضعافها:

(١) أول أمرٍ لعلاج هذه الظاهرة هو (بناء النفس وتنمية الذات):
فيجب أن نبدأ من النفس ثم ننتقل نحو الآخرين، فلو أردنا علاج أي حالة مرضية نُصيب الإنسان فيجب أن نبدأ من الإنسان نفسه وننتهي إلى الأمور الخارجية الأخرى التي سخرها الله تعالى لصالحه، فإن (علاج ظاهرة قابلية الشعوب الاستعباد التي تؤسس للانحطاط يبدأ باجتثاثها من عقل الإنسان وقلبه ونفسه، وقد اختصره أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)

أياً كان هذا الغير؛ أهواء النفس الأمارة بالسوء أو الطواغيت والزعامات المصطنعة، أو شياطين الجن والأنس).^{١٩٣} و(النصر والغلبة إنما ينطلق من داخل النفس فمن انتصر على نفسه وعزز قواه المعنوية الداخلية من التقوى والصبر والمصابرة كان هو المنتصر حقيقة، ومن عاش الهزيمة في داخله فلم يلتزم بما أمره الله تعالى كان هو المهزوم في الخارج، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) وكذلك الحرية والعزة والكرامة يحيها الإنسان في داخله فتنعكس على حياته الخارجية في المجتمع، من مناجاة أمير المؤمنين (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي ربا) فالعزة كلها في تحرير النفس مما سوى الله تعالى، (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) ولا يُستعبد الإنسان والمجتمع من قبل الطواغيت والمستكبرين إلا بعد أن تتكبل نفوسهم بأغلال الخوف والجهل والطمع والشهوة والوهم والشك والتمرد فيصبح سلس القياد لغيره، قال الله تعالى (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) فإن فرعون لم يستعبد قومه ويصادر حرياتهم ويستخف بعقولهم إلا بعد أن أصبحت نفوسهم أسيرة الشهوات والخوف والقلق).^{١٩٤}

٢) تفعيل دور العشائر:

أما العلاج الآخر الذي ينبغي وضعه لعلاج حالة الخنوع والاستسلام والتدجين هو تفعيل دور العشائر وفق رؤى المرجعية الرشيدة واستنهاض روح الغيرة والنخوة العربية الأصيلة فيها وإحياء الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية من خلال استثارة هذه المعاني في الأوساط العشائرية الكريمة، وتحييدها عن الانتماءات الحزبية، التي تؤدي إلى تكمم الأفواه ضد المفسدين وتخرس السنة البعض بسبب

١٩٠- يُنظر خطاب المرحلة، خطاب بعنوان: (قابلية الشعوب على الاستعباد).

١٩٤ - خطاب المرحلة، ج٨، بعنوان: (ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم).

المجاملة أو الطمع بالحصول على المغانم والمكاسب الشخصية، وهذه الحقيقة أكدها المرجع اليعقوبي (دام ظله) في إحدى خطابه الشريفة حيث قال: (إن مما يؤسف له أن الكثير من القيادات الدينية والسياسية تعي حقيقة الوضع البالي الذي يعيشه حوالي نصف المجتمع العراقي ولكنهم لا يتحركون لإصلاحه، بل قد يعملون على إبقائه ودعم رؤساء العشائر من أجل المحافظة على مواقعهم وسلطتهم كما يحصل قبيل الانتخابات، فيتحمل هؤلاء وزر هذا الوجود ودوامه وإذا كانوا لا يعون ذلك فالمصيبة أعظم).^{١٩٥} كما استنهض سماحته (دام ظله) روح الإباء وصفة الغيرة العربية في نفوس أبناء العشائر العراقية من خلال خطابه لهم حتى لا يرضخوا لأطماع أصحاب الأهواء والخداع من السياسيين الماكرين، وحتى لا يصبخوا العوبة بأيديهم يحركوهم كيفما شاؤوا، حيث قال (دام ظله): (إن دور العشائر لا يقتصر على مواجهة الإرهاب بل إن لهم القدرة على المساهمة في بناء البلد وفرض سلطة القانون وحماية مؤسسات الدولة وهذه مطلوبة في كل أنحاء العراق، وإن هذه العشائر تأبى حياة الضيم والذل فكيف ترضى بأن يبلغ بها الحال أن تطرق أبواب الأحزاب وتستجدي موافقتها على تعيين أبنائها الأصدقاء في سلك الجيش والشرطة ولا يجدون أذناً صاغية وهذا ابسط حق لهم على تلك الأحزاب التي تسللت إلى المناصب بأصوات العشائر).^{١٩٦}

٣) الثناء على أصحاب التغيير والإصلاح ومساندهم وتثمين مواقفهم البطولية: ينبغي تثمين دور بناء البلد من العاملين المخلصين لاسيما في المجال السياسي الذين انتفضوا لتغيير واقع الشعب المؤلم ولم يهتموا للوم اللائمين والوقوف إلى جنبهم وموازرتهم لإكمال المسيرة الإصلاحية، وحثهم في العمل على المزيد من تحقيق

١٩٥- خطاب المرحلة، ج٦، ص ٣٠٣.

١٩٦- خطاب المرحلة، ج٥، ص ٢٥١.

الانجازات والخدمات للشعب، وإن تقاطعت مع مصالح الأحزاب أو الجهات التي ينتمون إليها، لأننا إذا تركنا أهل التغيير والإصلاح وحدهم في الساحة ولم نساندهم واصحرناهم في معترك الحياة القاسية، فإنهم سيستوحشون من قلة الناصر وسيخمد نور الإصلاح في المجتمع وتعلوا أصوات المنحرفين وأهل الباطل والأهواء المضلة في المجتمع، لذا نرى المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) لا تفوته بادرة الثناء على عمل المخلصين والمبدعين من أبناء العراق الغياري، ويشد على أيديهم للمزيد من العطاء، ونذكر على سبيل المثال تأييده (دام ظلّه) لأعضاء مجلس محافظة بغداد الذين أصدروا قراراً يقضي بغلق النوادي الليلية ومحلات الخمور العلنية غير المرخصة، ونادي اتحاد الأدباء الذي يقدم الخمور فقام هؤلاء بإحداث ضجة ومظاهرات في شارع المتنبي وتحشد معهم اللادينيون ورفعوا شعارات تشبه القرار بحكومة طالبان في أفغانستان، لذا أصدر (دام ظلّه) خطاباً يؤيد فيه هذا القرار ويشد على أيدي السياسيين الذي وقفوا بحزم ضد هذه المخالفات الشرعية الصارخة في مجتمعنا المحافظ، جاء فيه: (نشدّ على أيدي أعضاء مجلس محافظة بغداد، خصوصاً رئيس المجلس الذي تحمل مسؤولية القرار بشجاعة ودافع عنه في وسائل الإعلام، ولم يتعامل معه بخجل، ونبارك لهم هذه الخطوة التي تعيد إلى ناخبيهم الثقة بهم وتعزز مكانتهم. ونهيب بأبناء بغداد الحبيبة، خصوصاً من تأدّوا بالتصرفات الشاذة لأولئك الأشرار أن يظهروا تأييدهم لهذا القرار المبارك بأي وسيلة، كنشر اللافتات المؤيدة له والمستنكرة لفعل المعترضين والرافضة لسلوك الفسقة، وأن يقوم أئمة المساجد والخطباء والكتّاب والمفكّرون والمنظمات الإنسانية، المدافعة عن حقوق الإنسان بتحمل مسؤولياتهم في الحفاظ على كرامة الأمة ومقدساتها وصيانتها من الفساد والانحراف الذي هو من أقوى أسباب توليد الجريمة والإرهاب ونخر كيان المجتمع. [إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]).^{١٩٧} وكذلك بادر (دام ظلّه) إلى تأييد قرار منع تصنيع وبيع الخمور الذي أصدره البرلمان العراقي عام ٢٠١٦ م.

كما أبدى سماحة (دام ظلّه) أسفه لعدم نصرة المبدعين وأصحاب التغيير، حيث قال: (مما يُؤسف له أن أمتنا لا ترعى الإبداع، وأن المبدعين ضائعون بين ظهرانها فمهاجرون أو يتخلون عن المجالات التي يبدعون فيها، وربما تتذكرهم بعد وفاتهم فتقيم لهم مجالس التأبين وتعدّد فضائلهم وأثارهم وإسهاماتهم، وفي هذا بعض وفاءٍ لهم لكنه غير كافٍ لتشجيعهم وتفجير طاقات غيرهم، قال الشاعر:

لا أَلْفَيْتُكَ بعد الموت تندُّبني وفي حياتي ما زودتني زادي

كان المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمي شاعراً مبدعاً أهمله مجتمعه فاضطر للهجرة إلى مصر حتى توفي سنة ١٩٣٥ فأقيمت له مجالس التأبين في بغداد واشترك في أحدها جدي الشيخ محمد علي اليعقوبي والشاعران معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وأنشدوا قصائدهم وقد اتَّفَقوا على معنى واحد من باب (توارد الخواطر) من دون اتفاق مسبق، وهو المعنى التالي الذي تضمنته قصيدة جدي اليعقوبي (رحمه الله):

ومن عجبٍ بكتك وأنت ميتٌ بلاد ضيِّعتك وأنت حيٌّ

وموت الإبداع يعني موت الأمة، فإذا أرادت الأمة أن تكون حيّة فعليها رعاية المبدعين وأن تكزِّمهم في حياتهم وتوفر كل الإمكانيات التي تكشف عن هذه الكنوز وتستثير ما فيها).^{١٩٨}

٤) التمسك بالقيادة الرسالية الواعية المخلصة:

إن ولاية الفقيه في نظر المرجع اليعقوبي هي اختيار وانتخاب الناس بنفسها للقائد الديني لأجل أعمال ولاية الفقيه في الأمة، وتفعيل دوره مرهون بوعي الأمة وخروجها من حالة الحيرة والجهال والانتصار على حالات الاستضعاف الفكري والتجهيل الذي يمارسه بعض من تزيى بلباس الدين، قال (دام ظلّه): (إن القيادة ليست شيئاً يُدعى ولا ينال بالقهر والتسلط بالقوة وإنما هي علاقة تنشأ بين القائد

والآخرين يحددها عاملان هما حاجة الآخرين إلى الشخص وإحسانه إلى الآخرين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عن من شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره) وقيل لأحد العلماء ما هو الدليل على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: (حاجة الناس إليه واستغناؤه عن الناس) فكلما كان الإنسان معطاء في حياته ومحسنا إلى الناس كل أشكال الإحسان فإن حاجة الناس إليه ستزداد وستختاره لقيادتها، على إننا تعلمنا من أئمتنا المعصومين عليهم السلام الزهد في المناصب واحتقار الدنيا التي تُنال بالظلم والعدوان والمكر والخديعة، ولا نرى المناصب إلا وسيلة للإحسان إلى الناس ورفع الظلم عنهم وإسعادهم وتوجد كلمات جليلة لأمر المؤمنين (عليه السلام) في هذا الصدد في نهج البلاغة لا ينبغي لأحد أن يغفل عنها).^{١٩٩}

فإن القيادة الدينية الواعية والمخلصة هي التي تخلق حالة التغيير في المجتمع وتقوده نحو الهداية والصلاح، و(القائد هو الذي يصنع المستقبل ويحدّد مسار الأحداث ومآل الأمور بلطف الله تبارك وتعالى من خلال المشروع والبرنامج الذي يسير عليه، وهنا أتذكر - والكلام للمرجع اليعقوبي - أن السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) سألتني في اليومين الأولين من الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ عن موقف المرجعية المعروفة يومئذٍ من الأحداث فقلت يسوده الترقب وانتظار ما ستؤول إليه الأحداث، قال (قدس سره): (حبيبي ومن الذي يصنع الأحداث؟!)^{٢٠٠} أما إذا خلفت الأمة قيادتها الحقّة خلف ظهرها، فإنها لا تجني سوى العناء والخسران، وسيتسلط عليها حينئذٍ من يدجتها ويستعبدها ويمتص ثروتها، وهذا

١٩٩ - خطابات المرحلة، ج٥، خطاب رقم (١٤٠) بعنوان: (القيادة الحكيمة تضع أصابعها على العلة وتصف العلاج).

٢٠٠ - خطابات المرحلة، ج٦، ص١٤٦.

ما حدّثنا منه مرجعنا اليعقوبي حيث قال: (إنّ مما يسعد إبليس اللعين إعراض أغلب الناس عن نصرته واتباع المرجعية الرسالية العاملة المخلصة المتأسيّة بوصف أمير المؤمنين (عليه السلام) للنبي (صلى الله عليه وآله) (طبيب دوار بطّبه) ورجوعهم في المرجعية والقيادة إلى الحوزة المتقاعسة عن تحمّل مسؤولياتها اتجاه الدين والأمة مع اعترافنا بأنّها تقيم طقوس الدين، إلّا أنّها لا تهتمّ بأمور الإسلام ولا المسلمين ولا تشعر بالغيرة عليهما والرحمة بهما وهذه أوصاف مأخوذة من طبيعة عملها ومنهجها الذي اختارته فلا ينبغي لها الاستياء من هذا التوصيف ولقد دلّت الأحاديث الشريفة على أنّ المرجعية الأولى أشدّ على إبليس من الثانية عن معاوية بن عمّار قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) رجل راوية لحديثكم يبئّ ذلك في الناس ويشدّده في قلوبكم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيّهما أفضل، قال: الرواية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد) ومن المعلوم أنّ شدّ قلوب الشيعة لا يتحقّق بمجرد كتابة الرسالة العملية، عن الإمام الهادي (عليه السلام): (لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه والدالّين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحدٌ إلّا ارتدّ عن دين الله ولكّهم الذين يمسون أزمنة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون صاحب السفينة سگانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجل) وهذا ما تقوم به المرجعية الرسالية العاملة كما هو واضح، والأدلة كثيرة، فإنّ قولهم (عليهم السلام): (الفقهاء قادة) وأنّهم نواب الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين هم (ساسة العباد) لا ينطبق إلّا على المرجعية العاملة).^{٢٠١}

لذا يجب على الأمة أن تختار القائد المصلح صاحب القلب الطيب، ومن ثم تطيعه وتنصره وتدافع عنه وعن مشرعه الإصلاحى الرسالى، بالإضافة إلى واجبها الآخر وهو (الشهادة) بأن تكون شاهدة ومراقبة على دور هذا المرجع القائد، فتكون معه في خط النصر والاسناد له مادام في خدمة المسلمين وخدم مشروعه الرسالى، وعليها أن تتخلى عنه ساعة تراه تراجع في أداء دوره ومسؤولياته تجاهها أو لأنه فقد شرطاً من الشروط التي تؤهله لهذا المنصب العظيم، فلها حينئذ اختيار غيره من القيادات التي تتمتع بالصلاح والكفاءة لإدارة شؤونها، وهذا ما يعتقد به المرجع اليعقوبي (دام ظله) في نظرتة حول أعمال ولاية الفقيه في الأمة، وحول شهادتها عليه في أداء مسؤوليته، حيث قال (دام ظله): (...المرجعية باعتبارها غير معصومة فهي لا ترث كل وظائف الإمامة وامتيازاتها فشهادة القيادة المعصومة لا تقابلها شهادة من الأمة عليها بينما الأمة شاهدة على المرجعية بمعنى انها تراقب حركة المرجعية وتتأكد على الدوام من قيامها بوظائفها، لأن المرجع لم يعين بالاسم وإنما بالشروط والأوصاف فمن انطبقت عليه رجعت اليه الأمة ولو تجرد عنها تخلت عنه).^{٢٠٢} وهذا الحق (حق الشهادة) متبادل أيضاً بين الأمة وقيادتها الدينية فإن (من خصائص المرجعية الرشيدة الوارثة والناثبة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أنها شاهدة على الأمة (وَكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) ولا يمكن أن تكون شاهد زور لئلا فإنها لا تستطيع أن تبارك أي انحراف أو تسكت عنه أو تعطي الشرعية له ولا بد أن تعلن للأمة عدم إرضائها لمثلته..).^{٢٠٣}

٢٠٢ - خطابات المرحلة، خطاب بعنوان: (الشهادة المتبادلة بين المرجعية والأمة).

٢٠٣ - خطابات المرحلة، خطاب بعنوان: (المرجعية الشاهدة تدين ردود أفعال كتلة الائتلاف).

ولكي تكون الأمة في حصانة من الانحراف عن الخط الرسالي وإتباع القيادة الرشيدة، يجب عليها أن تتحلى بعدة مواصفات أخلاقية وتربوية، وأن تبتعد عن رذائل الأخلاق وأتباع الشهوات والأباطيل، وبخلافه فهي لن تهدي لنور الحق ولن توفق لطاعته، وهذه الحقيقة أكدها القرآن الكريم في العديد من آياته المباركة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) وتقع صفة التقوى في مقدمة هذه الصفات المحصنة للفرد والمجتمع من الانحراف، هذه الصفة التي يتحدث عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً: (فصونها وتصونها بها) وقال أيضاً (عليه السلام): (اعلموا عبادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنِ عَزِيزٍ وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ إِلَّا وَبِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حِمَّةُ الْخَطَايَا).

ومن المهلكات في هذا الباب هو إتباع الهوى فهو يصد عن الحق، وهذه الحقائق قد أشار لها المرجع اليعقوبي في خطاباته وكلماته لكي يعظ الأمة وينبها لتتحصن من مهاوي الانحراف، حيث قال: (...وإذا سألتكم كيف ندرك ذلك؟ وكيف ينبج نور الفرقان هذا في قلوبنا حتى نستطيع به هذا التمييز، فان الله تبارك وتعالى يجيبكم من قبل أن تسألوه تفضلاً منه وكرماً، قال تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) إنها تقوى الله تبارك وتعالى التي تفجر ينابيع المعرفة في القلب، لان التقوى تزيل تأثير الهوى الذي يصد عن الحق ويحجب القلب عن رؤيته بما يجعل من الحجب فتعمى القلوب التي في الصدور، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فانه يصد عن الحق،

وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وهذه الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وهذه الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فان استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فافعلوا، فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب وانتم غداً في دار حساب ولا عمل).^{٢٠٤}

وقال أيضاً (دام ظله) في خطاب آخر: (إن القلب مالم يعمر بالتقوى وينفض عنه غبار الهوى وأغلال الشهوات لا يمكن أن يهتدي إلى الحق ولو أقمت له ألف دليل (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ) لأن الدليل مهما كان مفحماً ومسكناً فانه لا يكون مؤثراً إذا لم تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب. إن من لا يمتلك هذا الفرقان يتخبط ويسير على غير هدى ويضل نفسه والآخرين ولا يميّز بين ما يضره وما ينفعه ولا بين العدو وغيره كالثور المستعمل في حلبات مصارعة الثيران يجعل همه في نطح قطعة القماش الحمراء غافلاً عن عدوه المصارع الذي يطعنه بالخناجر حتى يصيب مقتله.^{٢٠٥}

كما أشار (دام ظله) إلى نموذج مشرق وقدوة حسنة في مجال إتباع الحق وتمييزه عن الباطل وهذه القدوة هي الصديقة الزهراء (عليها السلام) التي كانت بمثابة الفرقان وجعل يوم شهادتها مناسبة للتذكير بذلك، حيث قال (دام ظله) موضحاً هذه الحقيقة في خطابه الجماهيري: (إن يوم الزهراء (عليها السلام) فرقاناً أوضح معالم وصفات الإمام الحقّ وميّزته عن المتقمص له ... وما أحوجنا اليوم إلى هذا الفرقان ليميّز لنا الحق من الباطل، والهدى من الضلال في كل عقيدة أو دعوة أو فكرة. وما أحوجنا إلى هذا الفرقان ليفرّق لنا بين الصحيح والخطأ في آرائنا وتصوراتنا. وما أحوجنا إلى هذا الفرقان ليميّز لنا السلوك والتصرف الذي يرضي

٢٠٤ - خطابات المرحلة، خطاب رقم (١٦٠) بعنوان: (يوم الزهراء عليها السلام يوم الفرقان).

٢٠٥ - المصدر نفسه.

الله تبارك وتعالى من الذي يسخّطه حيث اختلطت الأوراق وكثر المدّعون واشتهت الأمور).^{٢٠٦}

وتعدّ حادثة انقلاب الأمة وانحرافها عن خط القيادة الرسالية يوم السقيفة حالة عامة تحكي حالة أي انقلاب من نفس النوع وإن حصلت في عهد صدر الرسالة الإسلامية، قال (دام ظله): (إن السقيفة مفتوحة كحالة وإن انتهت كحدث أي إن النفوس الحاملة بالسلطة والجاه والاستئثار والرئاسة على العباد موجودة في كل زمان ومستعدة لأن ترتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه الأولون ولا تصغي إلى وصية القائد الحق فتترتب على مثل هذا التصرف نفس النتائج السيئة التي ترتبت على حادث السقيفة والتي أشرت إلى جملة منها في محاضرة (ماذا خسرت الأمة حينما ولت أمرها من لا يستحق)... فالكلام الفات نظر لحالة عامة تعيشها الأمة كلما ابتعدت عن المنهج الإلهي).^{٢٠٧} ونفهم من ذلك إن حادثة انقلاب السقيفة حالة متكررة تُعبر فيها الأمة عن تنكُّرها للحق وأهله، كلما توفرت لها الظروف الملائمة، وقد حمّل (دام ظله) الحلقة الوسطية الرسالية شيئاً من المسؤولية للقيام بدورها في هذا الميدان، ليكونوا قادة في المشروع الإلهي العظيم، ليأخذوا بيد الأمة نحو الهداية والاختيار الأمثل وليساعدوا الأمة في عملية (الفرقان) أعني التفريق بين الحق والباطل، وقد أوجزها بعدة نقاط منها:

١- الوحدة والتآلف والتنوع في أداء الأدوار والتسامي عن التقاطع والتشاحن والتزاحم المؤدي إلى الفرقة والتشتت.

٢. تهذيب النفس بالأخلاق الفاضلة وتطهير القلب حتى يأتي الله بقلب سليم.

٢٠٦ - المصدر نفسه.

٢٠٧ - كتاب المعالم المستقبلية للحوزة العلمية، للمرجع اليعقوبي (دام ظله).

٣- تخليص الأمة من الجهل والتخلف و سوء الظن وخلق حالة الوعي والتدين والورع .

٤- التنظيم و الدقة في العمل المؤسساتي بحيث ينصهر الجميع في خلية عمل متكاملة .

٥- مقاومة الفساد والانحراف والظلم والأناثية والاستئثار والتسلط بغير حق وإنصاف المظلومين بكل الآليات المتاحة .^{٢٠٨}

٥) نبذ الخلافات الداخلية والترفع عن الدخول في مشكلات شخصية أو انتمائية أو عشائرية أو قومية لهذا الطرف أو ذاك، لأنه هذا التشرذم والتفرق مما يضعف شكيمة الشعب في مواجهة المصاعب والتحديات التي يواجهها، خصوصاً على الصعيدين السياسي والامني فهذه النزاعات والخصومات لا تخدم الشعب بل هي في النتيجة النهائية تصب في صالح اعدائه، ومن النتائج السلبية الأخرى لهذه الحالة هو بعثرة الإمكانيات والقدرات والطاقات في الأماكن غير الصحيحة.

٦) على الحلقة الوسطية من فضلاء الحوزة تفعيل دورهم في استنهاض الأمة، فإن نجاح القيادة الصالحة مرهون بمعونة العاملين المخلصين من الحلقة الوسطية (فالحالة التي تشكو منها الجماهير طبيعية وتاريخية وإن كانت سيئة في نفسها، وما دمتنا ممهدين للظهور الميمون فعلينا أن نعمل لبناء هذه الحلقة الوسطية القادرة على إنجاز المشروع الإلهي).^{٢٠٩} (إن إحدى مسؤوليات المرجعية الدينية التي هي امتداد لدور الائمة المعصومين (عليهم السلام) في حياة الأمة رعاية الناس وهدايتهم

٢٠٨ - خطاب رقم (١٤٢) بعنوان: (اسعوا لتكونوا قادة في المشروع الرسالي وليس فقط جزءاً منه).

٢٠٩ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٢١.

وإرشادهم لما فيه صلاح الدين والدنيا، لكنها وحدها لا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة الواسعة مالم يتعاون معها العاملون الرساليون المخلصون الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله [الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ] (٢١٠).

٧) استخدام اسلوب الضغط النفسي على الشخصيات الفاسدة من خلال ممارسة سياسة المقاطعة الجماعية، بالإضافة إلى استثمار الاعتصامات الفاعلة والمظاهرات السلمية في ذلك، كما يمكن مقاطعة السياسيين المفسدين أيضاً بعدم انتخابهم مجدداً وانتخاب الكفو النزيه، وهذا الأمر هو ما أكد عليه المرجع اليعقوبي، ونبه الأمة إلى ضرورة اتخاذ قرار التغيير عن طريق العملية الانتخابية، فإن كان الشعب معذوراً في انتخاب غير الأصلاح في المرة الأولى، فإنه غير معذور في المرة الثانية بعدما لمس الشعب من بعض السياسيين التقصير والظلم، قال (دام ظلّه): (الانتخابات ستجري بإذن الله تعالى وحينئذٍ سيقول الشعب كلمته في من يمثله وإذا كان معذوراً في المرة السابقة بسبب قلة الخبرة والمعرفة بالأشخاص وحدائث التجربة والمزايدات الطائفية والقومية والمتاجرة ببعض الرموز الدينية وغيرها من المؤثرات فاختار أشخاصاً لم يكونوا أمناء على المسؤولية ولم يعملوا لمصلحة شعبيهم فإنه هذه المرة غير معذور في عدم اختيار أبنائه الكفوئين النزيبين الوطنيين الذين يتفانون في حب وطنهم وخدمة شعبيهم، بعد أن ذاقوا الأمرين من الموجودين وحرموهم من ابسط حقوقهم في الحياة الحرة الكريمة، تتحدث الروايات الشريفة عن حالات لا يُعذر فيها الناس ولا يُسمع لهم دعاء برفع البلاء لأنهم مسؤولون عن الظلم الذي وقع بهم ومنها رواية صحيحة عن الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (كنت عنده وعنده جفنة من رطب فجاء سائل

فأعطاه ثم جاء سائل آخر فأعطاه، ثم جاء آخر فأعطاه، ثم جاء آخر فقال: وسَّع الله عليك، ثم قال: إن رجلاً لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألفاً، ثم شاء أن لا يبقى منه شيء إلا قسّمه في حقّ فعل فيبقى لا مال له، فيكون من الثلاثة الذين يُردّ دعاؤهم عليهم، قال: قلت: جُعِلت فداك من هم؟ قال: رجل رزقه الله عز وجل مالاً فأنفقه في وجوهه ثم قال: يا رب ارزقني فيقول الله عز وجل أولم أرزقك، ورجل دعا على امرأته وهي ظالمة له فيقال له: ألم أجعل أمرها بيدك، ورجل جلس في بيته وترك الطلب، ثم يقول: يا رب ارزقني فيقول الله عز وجل: ألم أجعل لك السبيل إلى طلب الرزق، ويفهم الفقيه العارف بالروايات ومن مناسبات الحكم والموضوع -كما يصطلحون عليهما- أن القضية غير مقتصرة على هؤلاء الثلاثة، لذا ذكر حديث آخر مثله خمسة عناوين وإنما يترتب هذا الأثر - وهو عدم استجابة الدعاء برفع الظلم وعدم المعذورية- لكل من رضي بالظلم وخنع له وهو ممن شارك في جلب هذا الظلم وإقامته فإذا أعطيتكم أصواتكم في الانتخابات المقبلة سواء كانت المحلية أو العامة للذين لا تعرفون منهم مؤهلات التصدي للمسؤولية فلا تلوموا إلا أنفسكم إذا جوعوكم وأعطوكم مواداً غذائية مسرطنة وغير صالحة للاستهلاك البشري، أو إذا حرموكم من خدمات الماء والكهرباء والنفط والغاز وغيرها، أو إذا اعتقلوا أبناءكم لا لذنوب إلا لأنهم يخالفون رؤاهم، أو إذا قسّموا الوطن الواحد وجعلوا أهله شيعاً، أو إذا أطلقوا يد ميليشياتهم وجماعاتهم المسلحة لينشروا القتل والدمار والخطف والسرقة، أو إذا وزّعوا على المرضى أدوية ملوثة بفيروسات الايدز وغيرها من الأمراض الفتاكة، أو إذا حرّموا أبناءكم من فرصة للعمل يكسبون منها قوتهم مادامت لا تنتمي إلى أحزابهم، أو إذا باعوا الوطن إلى الأجنبي بصفقات بخسة، أو إذا جعلوكم ضحية ووقوداً لتنفيذ أجنادات إقليمية ودولية وغيرها من المآسي التي فاقت التصور والحصر وسوف لا يسمع الله

تعالى لكم دعاءاً لأنكم قادرون على رفع كل هذه المظالم بوعي وإدراك أهمية أصواتكم التي تلقونها في صناديق الاقتراع وأتعبتم أنفسكم في التعرف على من يخدمكم ويخلص لكم).^{٢١١}

٨) تأسيس وتفعيل دور المؤسسات والهيئات واللجان الرقابية للعملية السياسية، ولكي تؤدي هذه اللجان دورها بشكل صحيح وفعال يجب أن تكون مستقلة إدارياً وسياسياً عن هيمنة الأحزاب المشاركة في السلطة للمحافظة على نزاهتها وإخلاصها، كما ذكر المرجع اليعقوبي إن من ضمن أهداف مؤسسات المجتمع المدني هي: (ممارسة دور الرقابة على عمل المؤسسات الرسمية جميعاً بعد أن تخلت الجهات المختصة بهذا المجال عن ممارسة دورها في حسابات المصالح والمحاصصات والتوافقات السياسية).^{٢١٢} لأن (الأحزاب السياسية قد فقدت مصداقيتها وثقة الناس بها بسبب سوء تصرفاتها واهتمامها بمصالحها دون مصالح الشعب الذي يتطلع إلى الجهات النزيهة الصادقة في القول والعمل وحينئذ ستكون هذه المؤسسات جهة موثوقة لدى الشعب لترشيح الشخصيات القادرة على نفع البلد والشعب).^{٢١٣}

٩) مطالعة حياة الثوار والأحرار في العالم الذين قادوا حركات تغييرية وإصلاحية لأممهم سواء في التاريخ العربي أو الغربي والاستفادة من تجاربهم والمحاولة لاستلهام القيم الجيدة التي فيها كمعاني البطولة والإيثار والتضحية والشجاعة والاقدام وعدم الاستسلام للظلم ونحوها من القيم الانسانية النبيلة، والتركيز على سيرة علمائنا المعاصرين المجاهدين الذين انتفضوا على الواقع الظالم وحققوا

٢١١- خطابات المرحلة، ج ٥، ص ٣٤٢ - ٣٤٤.

٢١٢- خطابات المرحلة، ج ٥، ص ٢٤.

٢١٣- خطابات المرحلة، ج ٥، ص ٢٥.

انتصارات مشهوده على أعداء الإنسانية أمثال: الإمام الخميني والشهيدين الصدرين والسيد موسى الصدر والسيد الحبوبي والسيد الشيرازي صاحب فتوى التبناك والشيخ الشيرازي صاحب ثورة العشرين والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مروراً بالمناضل عبد القادر الجزائري في الجزائر وعمر المختار في ليبيا بالإضافة إلى زعماء وقادة الأمم الأخرى أمثال المهاتما غاندي في الهند ونيلسون مانديلا في أفريقيا ومارتن لوثر كينغ في أمريكا، وغيرهم الكثير، فإن التعمق في مطالعة حياة هؤلاء القادة يؤثر نفسياً على الفرد ويكسبه حالات من الاندفاع والتعزيز النفسي نحو التغيير والتكامل، والاقترناء بمن هو ناجح في مسيرته الحياتية، قال المرجع اليعقوبي: (إن مطالعة سير الصالحين تؤثر في روحية الإنسان وتدله على طريق الكمال، وان لم يسمع ولم يلتقي بصاحب الكلام في الكتاب لكنه يلتقيه روحياً من خلال هذه الكلمات فكأنما يعيش معه).^{٢١٤}

١٠) استشارة الشخصيات النزيهة والمخلصة من الحكماء والمفكرين من فضلاء الحوزة العلمية وأساتذة الجامعات وسائر الوجهاء في المجتمع الذين يُعرفون بإخلاصهم وتفانيهم في خدمة الشعب ومحاولة التنسيق بينهم وبين المرجعية الرشيدة للخروج من مأزق المشكلات التي نتعرض لها، فقد ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): هلك من ليس له حكيم يرشده، وذل من ليس له سفيه يعضده) وفي هذا السياق فقد دعا المرجع اليعقوبي (دام ظله) إلى تأسيس مجلس للأعيان والحكماء وفق تقنين دستوري، يضم حكماء المجتمع وزعماء العشائر وأعيان البلد على التحرك والمشاركة في حل المشاكل ومعالجة القضايا المهمة، وقد بين سماحته (دام ظله) أهم وظائف هذا المجلس في بيان خاص جاء فيه:

٢١٤ - خطابات المرحلة، خطاب بعنوان: (بركة الاقامة عند امير المؤمنين (عليه السلام) في العشر الاواخر من شهر رمضان).

أ- حل النزاعات والصراعات التي تحصل بين العشائر كالذي حصل مؤخراً في شمال البصرة وادى الى مقتل وجرح العديد من الاشخاص وترويع المدنيين والابرياء وانقطاع ارزاق المئات من الناس وفصل عدد كبير من الموظفين وطلبة الجامعات لعدم قدرتهم على الدوام وغير ذلك من التداعيات.

ب- المشاركة في تعبئة المقاتلين لصد الارهاب ودحره وحماية النفوس والاعراض والممتلكات من الفساد والتخريب .

ت- بذل الجهود في اقناع الكثير من الشباب الذي تورطوا في الانضمام الى الجماعات الارهابية بسبب غسيل الدماغ الذي تعرضوا له والحرمان الذي يعيشونه فيقوم المجلس بترشيدهم وكفالتهم واعادة دمجهم في المجتمع والسعي لإيجاد حياة كريمة لهم .

ث- حفظ وحدة المجتمع وتماسكه وردم الفجوات التي يصنعها البعض لمصالح يراها، ولأن الكثير من العشائر تضم تنوعاً طائفيّاً داخلها وعلاقات المصاهرة وروابط اجتماعية فيما بينها على تمام مساحة العراق فإنها أقدر من ألف مؤتمر للمصالحة الوطنية على حفظ هذه الوحدة وإعادة كلمة الاخوة لأبناء الوطن الواحد، ولدينا نموذج صالح على ذلك في التعاون الصادق بين اهالي بلد والضلوعية مما جعلهم قادرين على مقاومة كل هجمات الارهابيين الشرسة على الضلوعية طيلة ستة اشهر حتى قضوا عليها تمام بفضل الله تبارك وتعالى .

ج- بث الروح الوطنية ومقاومة مشاريع التقسيم والتفتيت التي ينادي بها البعض في داخل العراق وخارجه، وان انتشار العشائر على تمام محافظات العراق كفيل بحفظ وحدة العراق والشعور بالهوية الوطنية .

ح- ممارسة الدور الرقابي على أداء السياسيين وسائر موظفي الدولة باعتبارهم سلطة خامسة يستطيعون من خلالها خلق رأي عام وموقف موحد لتصحيح

الفساد والانحراف وفضح المسيئين، وحينئذٍ سنستطيع الحد من الفساد الذي خرب مؤسسات الدولة وأهدر المال العام وأضاع مصالح البلاد.

خ- إيصال صوت المحرومين والمظلومين واصحاب الحقوق من عامة الشعب الذين لا يستطيعون إيصال صوتهم ولا يصغي اليهم احد من المسؤولين. إن هذه الاعمال التي يؤديها المجلس وغيرها تجعل في نظامه الداخلي كوظائف له وكأغراض موجبة لتأسيسه، وأعتقد انها كافية لإقناع الجميع بضرورة قيام هذا المجلس ونترك للمعنيين مهمة وضع التفاصيل.

(١١) ممارسة الضغط الإعلامي، فمن محاسن كثرة القنوات الإعلامية هذه الأيام هو سهولة إيصال الأفكار والأخبار البناءة والصالحة للمجتمع وهي متيسرة للكثير من أبناء المجتمع فمن (وظائف وسائل الإعلام صناعة الرأي العام ليتخذ موقفاً إزاء مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والدينية وغيرها فإنها تساهم مع الكتاب والخطباء وأئمة المساجد وغيرهم في صنع هذا الموقف العام. ونحن نعاني من أزمات على كل هذه الأصعدة ويتطلب الحل نشر ثقافة خاصة للتمهيد له فمثلاً هذه (الصحوة) التي حصلت لكثير من العشائر وأبناء الوطن الغيارى لم تولد بين عشية وضحاها وإنما جاءت حصيلة تحشيد وتثقيف باتجاه حب الوطن والناس جميعاً والتسامي عن الأنانية والخروج عن التخندقات الطائفية واستشعار العواقب الوخيمة التي يولدها العنف والقتال، ومثلما حصل في الحركة المباركة لسيدنا الأستاذ الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) حينما استطاع بفضل الله تبارك وتعالى أن يقضي على كثير من الظواهر المنحرفة والموبقات التي تفشت في المجتمع عن طريق تعبئة الرأي العام وحشده ضد هذه المفاسد من خلال الخطب الجمعة المباركة فحوصر الفساد والانحراف واضطر فاعلوا المنكر لتركه إما اقتناعاً وانسياقاً مع التوجه العام أو حياءً من الآخرين

بحيث اعترف مسؤولو النظام بأن الجرائم قلت بدرجة ٩٠% وهي نسبة عالية جداً عجزت كل الوسائل التنفيذية للقضاء على الجريمة عن تحقيقها. وهذه الطريقة مستفادة من سيرة المعصومين (سلام الله عليهم) فإنهم لم يستعملوا العنف للقضاء على المنكر وإنما عملوا على إشاعة الفضائل وخصال الخير وإقناع الناس بطريق الصواب بحيث غدا المنكر مفضوحاً وِعاراً على صاحبه... ولكي تنجح وسائل الإعلام في أداء هذه الوظيفة لا بد لها أن تنشئ قسماً يقوم بتشخيص القضايا التي تتطلب حشد الرأي العام باتجاهها ودراستها ووضع الحلول لها وآليات إقناع الرأي العام بالأخذ بهذه الحلول).^{٢١٥}

(١٢) عدم التواني في محاسبة المقصرين والمفسدين والتنديد بهم حتى وإن كانوا من الجهة التي ينتمي إليها الفرد، أو كان من الاشراف والوجهاء وأصحاب الحصانة الدينية أو الاجتماعية أو السياسية أو العشائرية، بدأ من أصغر موظف في الدولة إلى قمة الهرم السياسي وهكذا في سائر المؤسسات والبنى الاجتماعية... فإن (سبب نزول البلاء على الأمم الذي ورد في الحديث الشريف: (إنما هلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد) وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما يسمى السارق الأول شريفاً بلحاظ المعايير الاجتماعية التي تعتبر مثل أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان شريفاً في قومه لا بلحاظ الواقع لأن السارق ليس شريفاً، وهذا الذي حدّر منه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نعيشه في العراق حرفياً..)^{٢١٦} ومن جهة أخرى يجب أن تكون الأمة شاهدة ومراقبة على دور المؤسسة الدينية والسياسية، ولها الحق في الاعتراض على المقصرين في

٢١٥ - خطابات المرحلة، ج٥، ص ٤١١.

٢١٦ - خطابات المرحلة، ج٥، ص ١٤٦.

أداء وظيفتهم، بل ومحاسبتهم إذا استلزم الأمر، وبخلاف ذلك تجري الأمور وفق أهواء أصحاب المطاعم حيث لا رقيب ولا حسيب.

١٣) إقامة المهرجانات السنوية والندوات الثقافية والأدبية التي تمجد وتخلد المواقف والأدوار البطولية والتاريخية، التي حققها عظماء الأمة، وبيان كيفية نجاحهم في أداء العمليات التغييرية والإصلاحية، والكشف عن مدى حماسهم في رفض الظلم وعدم الاستسلام لأعداء الدين والإنسانية، بالإضافة إلى ضرورة نشر اللافتات والبوسترات التي تحمل الروايات الشريفة والحكم المؤثرة التي من شأنها الحث على محاسبة المقصرين ورفع روح الهمة وتأجيج المعاني الثورية الراضية للظلم في النفوس.

١٤) على المفكرين والباحثين وأصحاب الأقلام الواعية المخلصة والمنصفة كتابة بحوث ومؤلفات حول هذه الظاهرة، وهذا ما أكد عليه مرجعنا اليعقوبي في أكثر من مناسبة، ومنها ما سطره في خطابه الموسوم (تدجين الشعب العراقي ليستسلم للظلم والإذلال)^{٢١٧} الذي أصدره على أثر لقاءه برئيس جمعية أطباء الأمراض النفسية والعصبية، الذي تحدث معه حول ظاهرة السكون وعدم اتخاذ أي رد فعل لدى العراقيين إزاء الكوارث التي تحلُّ بهم. فدعا (دام ظله) مجدداً إلى دراسة هذه الحالة وضرورة الكتابة فيها بالتفصيل مع بيان لأسبابها وكيفية علاجها، فإن هذه الظاهرة تُعد ظاهرة غريبة على الشعب العراقي المعروف برفضه للظلم، ومعروف بعدم خنوعه وبعدم استسلامه على حد تعبيره (دام ظله).

١٥) ضرورة تصدي الكفاءات الجامعية (التكنوقراط) المخلصة لتولي السلطة في البلاد:

فعلى الشريحة الواعية والمخلصة من أبناء الجامعات والمعاهد ممن لهم الأهلية الكافية التصدي لإدارة دفة البلاد، فإن هذه الشريحة المهمة من المجتمع تمتلك قدرة كبيرة على التغيير والإصلاح لذا أهتم بها المرجع اليعقوبي (دام ظله) وخصص لها حيزاً من خطابه الشريفية: (أيها الجامعيون أساتذة وطلاباً وخريجين وإداريين وفنيين: مَنْ أولى منكم بتفعيل هذه الحركة المباركة لتحرير الإنسان من أغلال الذل والهوان والحرمان، فاستلموا من الحسين (عليه السلام) كل تلك القيم النبيلة وأنتم تجتمعون في حضرته الشريفية على تربة كربلاء المقدسة وتظلكم شآبيب رحمة الله تبارك وتعالى وألطف إمامكم العظيم... وأنتم من تستحقون قيادة البلد نحو الازدهار وليكون في مصاف الدول المتقدمة والمتحضرة وهو له أهل فمن المعيب على أي بلد أن يقوم أساتذة الجامعات أو المهندسون أو الأطباء وغيرهم من الكفاءات باحتجاجات واعتصامات مطالبين بحقوقهم من مسؤولي البلاد وهم أحق منهم في هذه المواقع).^{٢١٨}

١٦) ممارسة أسلوب التكلّف والإيحاء النفسي الإيجابي على المستوى الفردي: فقد طرح علماء النفس وعلماء الأخلاق طريقة لأجل الخلاص من الصفات الذميمة، وللتحلي بدلاً منها بالصفات الفاضلة، وهذه الطريقة هي؛ (التكلف) فإذا لم يكن الإنسان بطبيعته ممتلكاً لخصلة ما ضمن أخلاقه الشخصية. لو صح هذا التعبير. فيمكنه أن يمارس أسلوباً تربوياً ونفسياً يستطيع من خلاله أن يتملك هذه الخصلة وذلك بالتعامل على النفس والتحايل عليها لأجل الحصول بشكل تدريجي

على هذه الخصلة التي يفتقدها الإنسان، وهذا ما يطلق عليه بـ(التخلق) حيث عُرِفَ الخُلُقُ بأنه: عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدُرُ عنها الأفعال بسهولة ويُسرٍ، من غير حاجة إلى فكرٍ ولا رويّة. وهذه الهيئة إما أن تصدُرَ عنها أفعالٌ محمودة، وإما أن تصدُرَ عنها أفعالٌ مذمومةٌ، فإن كانت الأولى، كان الخُلُقُ حسنًا، وإن كانت الثانية، كان الخُلُقُ سيئًا، أما (التخلُّق)؛ فهو التكلُّف والتصنُّع، وهو لا يدوم طويلاً، بل يرجع إلى الأصل، والسلوك المتكلَّف لا يسمَّى خُلُقًا حتى يصير عادةً وحالةً للنفس راسخةً، يصدُرُ عن صاحبه في يُسر وسهولة؛ فالذي يصدُقُ مرة لا يوصَفُ بأن خُلِقَ الصدقُ، ومن يكذبُ مرّةً لا يقال: إن خُلِقَ الكذب، بل العبرة بالاستمرار في الفعل، حتى يصير سجية عامة في سلوكه.

فعلى سبيل المثال لو كان المرء بخيلاً، ويريد التخلص من هذه الصفة الرذيلة فيمكنه أن يوحى لنفسه بأنه كريم، ويرغم نفسه (تكلِّفاً) بالإنفاق على المحتاجين والإعداق على الأهل والأحبة، حتى ولو كان ذلك إبتداء بمبالغ مالية قليلة، ويحاول دائماً أن يعزز هذا الإيحاء في نفسه، فيخاطبها قائلاً أنا كريم، أنا معطاء، أنا جواد، أنا سخي، وهكذا، ويردِّف هذا الإيحاء عملياً بالسبق إلى البذل والعطاء إلى أن تصبح صفة الكرم ملكة راسخة في نفسه، وإذا كان الفرد يعاني - مثلاً - من صفة سرعة الغضب، فعليه أن يتكلَّف صفة الحلم والتروي وكظم الغيظ وإن شق عليه ذلك إبتداء، فبالاستمرار يمكن أن يكتسب الفرد صفة الحلم تدريجياً من حيث يشعر أو لا يشعر، وهذه الطريقة النفسية التربوية حثت عليها مدرسة أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم) وأكدت عليها في أكثر من رواية، حيث وردت العديد من الروايات التي تشير إلى ضرورة استعمال هذه الطريقة (التكليفية) لأجل الخلاص من الصفات الرذيلة والتحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق، وهذه بعض منها:

- عن الإمام علي (عليه السلام): (إن لم تكن حليماً فتعلم، فإنه قل من تشبهه يقوم إلا أوشك أن يكون منهم).
 - وعنه (عليه السلام): (خير الحلم التحلم).
 - وعنه (عليه السلام): (من لا يتعلم لا يحلم).
 - وعنه (عليه السلام): (من تعلم حلم).
 - وعنه (عليه السلام): (قد يتزى بالحلم غير الحليم).
 - وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا لم تكن حليماً فتعلم).^{٢١٩}
- وهذا يمكن لأبناء الأمة أن يستعملوا هذه الطريقة بشكل فردي لأجل التخلص من صفة الخوف والركون إلى الذل والتدجين والاستسلام للظلم.

١٧) المحاولة في فهم الآيات والروايات الشريفة وسيرة المعصومين (صلوات الله عليهم) بشكلها الصحيح والواعي:

فقد ذكرنا في بحث أسباب ظاهرة التدجين هو عدم فهم الأمة لبعض الروايات الشريفة بشكلها الصحيح، حيث ترجم البعض إن الروايات الحادثة على العزلة - مثلاً - إلى ضرورة السلبية والانكماش الاجتماعي والانكفاء على الذات، والروايات الحادثة على الصمت، هو استحباب الالتزام بالسكوت دائماً وعدم ممارسة التدخل اجتماعياً لإصلاح الآخرين، وهكذا في بقية الروايات، التي أكدت على مفاهيم معينة أخرى مثل ممارسة (التقية) و(الانتظار) و(الانعزال في البيت) و(مداراة الناس) و(التغافل) ونحو ذلك، فإن هذه المفاهيم إذا فهمت بشكلها المغلوط تؤدي إلى أضرار على الفرد والمجتمع، لذا يجب لأجل فهمها فهماً صحيحاً هو الرجوع إلى

العلماء والمفكرين والأخذ من معينهم لأجل إستيعابها وعدم الاعتماد على التصورات الأولية والثقافة الشخصية في فهم هذه الآيات المباركة والروايات الشريفة.

١٨) مطالعة الروايات الشريفة والقصص الهادفة والأشعار الحماسية من التأريخ الإسلامي والعالمي التي تزيد من الوعي الثوري، ومن جانب آخر ينبغي على أبناء الأمة أن يشحذوا همهم لرفض الظلم، من خلال مطالعة المدرسة القرآنية، ومدرسة النبي الخاتم وأهل بيته الأطهار(صلوات الله عليهم أجمعين) والنظر بعمق في سيرتهم ودورهم لإحياء الأمة، بالإضافة سائر المعارف المبنوثة في التراث الإسلامي، الذي يحوي الكثير من القيم السامية والمعاني الثورية، التي تعزز في النفوس الروح النضالية، والقيم الإنسانية الأصيلة التي تأبى الركون للظالمين والاستسلام لحياة الذل والرضا بأنصاف الحلول، ف(إن الله تبارك وتعالى حثّ في القرآن الكريم على دراسة التأريخ والاعتبار به وأخذ الدروس والمواعظ من أحداثه لأن سنن الله تعالى في خلقه لن تجد لها تبديلاً ولن تجد عنها تحويلاً فلا ينبغي لعاقل أن يبدأ من حيث بدأ الآخرون من دون أن يستفيد من تجاربهم).^{٢٠}

و(إن الثقافة والعلم من مقومات حياة الامم فالآية الكريمة؛ (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) تدعونا الى التجاوب مع كل مصدر يزودنا بهما. فعلى كل شخص أن يقرأ ويصاحب الكتاب وكل مصادر المعرفة الأخرى ويتزود منها ليكون إنساناً بمعنى الإنسان الحقيقي لا الشكلي وليكون حياً فاعلاً في المجتمع، ولينسجم مع متطلبات الفطرة التي تنزع نحو الكمال، وليحظى برضى الله تبارك وتعالى ويتأسى برسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن وجهة نظري - بغض النظر عن التعريفات التي

قيلت- فإن الثقافة هي منظومة الأفكار التي تجعل للإنسان رؤية فيما حوله ولا يكون إمعة من غناء الناس ينعق مع كل ناعق ويسير به السلوك الجمعي بلا رؤية وتأمل فيما يفعل).^{٢٢١} ونذكر فيما يأتي . على سبيل المثال . بعض الروايات والأبيات الشعرية، التي تنفع في هذا الصدد:

✓ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من أقر بالذل طائعا فليس منا أهل البيت).

✓ عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الناس من خوف الذل متعجلوا الذل).

✓ وعنه (عليه السلام): (ساعة ذل لا تفي بعز الدهر).

✓ وعنه (عليه السلام): لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا

✓ وعنه (عليه السلام): الحر حر وإن مسه الضر، العبد عبد وإن ساعده القدر

✓ لما عبأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين (عليه السلام)... وأحاطوا به من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة... فقام الحسين (عليه السلام) ثم قال: ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهمات ما أخذ الدنية، أبى الله ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام).

✓ عن الإمام الحسين (عليه السلام): موت في عز خير من حياة في ذل، وأنشأ (عليه السلام) يوم قتل:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

✓ عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه).

✓ وعنه (عليه السلام): خمس خصال من لم تكن فيه خصلة منها فليس فيه كثير مستمتع، أولها: الوفاء، والثانية: التدبير، والثالثة: الحياء، والرابعة: حسن الخلق، والخامسة - وهي تجمع هذه الخصال -: الحرية

✓ وعنه (عليه السلام): إن الحر حر على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره وإن أسر وقهر واستبدل باليسر عسرا، كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضر حرته أن استعبد وقهر وأسر.

✓ وجاء في الرواية الشريفة أيضاً: (اريحوا اجسادكم بالتعب ولا تتعبوها بالراحة).

✓ قال الإمام الخميني (قدس سره): (عند لمسكم الحجر الأسود بايعوا الله على أن تكونوا أعداءً لأعدائه ولأعداء رسله، ولأعداء الصالحين والأحرار. ولا تخضعوا لأولئك الأعداء . مهما كانوا وأينما كانوا . وانزعوا الخوف والخنوع من قلوبكم، فإن أعداء الله - وعلى رأسهم الشيطان الأكبر - هم الخانعون، مهما تفوقوا في معدات القتل والقمع والإجرام).

قال الشاعر أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة	فلا بُدَّ أن يستجيبَ القَدْرُ
ولا بُدَّ لليلِ أن ينجلي	ولأبَدَّ للقيدِ أن ينكسرَ
ومن لم يعانقهُ شوقُ الحياةِ	تبخرَ في جَوْها وأنْدَثرَ
ومن لا يحب صعودَ الجبالِ	يعيشُ أبد الدهرِ بين الحفرِ
هو الكونُ حيٌّ يحبُّ الحياة	ويحتقرُ الميتَ المندثرَ
فويلٌ لمن لم تشقه الحياةُ	ومن لعنةِ العدمِ المندثرَ

(١٩) التوجه بالدعاء والطلب من الله تعالى لتغيير الواقع الفاسد:

إن الدعاء هو سلاح الأنبياء والمؤمنين، والدعاء هو طلب من الله تعالى الذي بيده مقادير الأمور كلها، وقطعاً يمكن للإنسان أن يغير واقعه السيء نحو الأفضل من

خلال الارتباط بالله سبحانه، والطلب منه في إصلاح أمورنا بشرط تقديم المقدمات الصحيحة واللازمة لذلك، فإن الدعاء وحده يمثل جزء العلة في التغيير والإصلاح، ونذكر فيما يأتي بعض الشواهد التاريخية التي تنفع كدليل على أهمية الدعاء في حياة المجتمع:

روي إن أهل بغداد اشتكوا إلى المعتصم العباسي من الإساءات والأذى الذي لحقهم من جيشه الأتراك، الذين أكثر المعتصم من شرائهم ليقوي بهم الجيش، حتى ملأوا بغداد وكانوا أناساً جفاة، عندها قدم وفد من الصالحين للمعتصم وقالوا له: (تحول عنا بجيش الأتراك هذا وإلا قاتلناك!) فقال لهم المعتصم: وكيف تقاتلونني وفي عسكري ثمانون ألف دارع؟ فقالوا: نقاتلك بسهام الليل (يقصدون بذلك الدعاء ليلاً). فقال: لا طاقة لي بذلك. وتحول بجيشه إلى مدينة سامراء.

وينقل أيضاً إن أحد الوزراء في عهد بني العباس غره منصب الدولة وأعطيات الحكومة فتجبر وظلم أحد الناس وسجنه ونكل به فأنت أم المظلوم تريد ابنها فنهرا وتكلم عليها فقالت: اتق الله وإلا حاربناك! فضحك وقال: عجوز؟! بماذا تحاربيني؟! قالت سنحاربك بالدعاء! فقال مستهزئاً: عليك بثلاث الليل الآخر. قالت: ستعلم. وبعد مدة انقلب الحاكم العباسي عليه وسجنه وعذبه ثم أمر بقتله بقطع عضو من جسده كل يوم، وفي آخر يوم وهو على خشبة الصلب ولم يبق إلا لحظات على حياته أتته تلك العجوز فسلمت عليه وسألت عن حاله مستهزئة، ثم قالت: كيف وجدت الدعاء؟! قال: أتشمتين بي في هذه الساعة؟! قالت: إنما جئت لأخبرك أن ثلاث الليل الآخر ينفع وله فوائد عظيمة ومنافع عديدة.

وينقل إن دولة الأغالبة كانوا هم الحكام على إفريقيا أيام الدولة العباسية، وكان الوالي عليها حينئذ (عبد الله بن الأغلب) وكان سيئ السلوك والأخلاق ظلوماً غشوماً، وأسرف في ظلم الناس، فجاءه عالم إفريقيا وقتها وهو (حفص بن حميد)

وقال له: يا أيها الأمير اتق الله في شبابك وأرحم جمالك وأشفق على بدنك من النار، وارفع هذه الضرائب الجائرة عن الرعية، وخذ بكتاب الله وسنة رسول الله. فأعرض الوالي (عبد الله بن الأغلب) عن سماعه ولم يأخذ بنصيحته بل غالى في المكوس والضرائب كرد فعل عكسي للوعظ والإرشاد، فقال حفص بن حميد: قد يئسنا من المخلوق فلا نياس من الخالق فاسألوا المولى وتضرعوا إليه في زوال ظلمه عن المسلمين، فقام الناس فتوضئوا وساروا إلى المصلى ودعوا الله بعد صلاة العشاء أن يكف عن المسلمين أذى هذا الوالي الظالم وأن يريحهم من أيامه، فإذا بهذا الظلوم تصيبه قرحة تحت أذنه لم يستطع أن يصمد أمام وجعها سوى خمسة أيام فقط وخلالها تغير لون بشرته البيضاء وكان من أجمل أهل زمانه حتى ضربوا به الأمثال في الوجاهة والوسامة إلى اللون الأسود كأنه زنجي بعد هذه الخمسة أيام مات غير مأسوف عليه ولا مبكى. قال الشاعر:

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم.

٢٠) وعي أهداف القضية الحسينية، ودورها في إصلاح الفرد والأمة: تُعد ملحمة عاشوراء من أعظم الملاحم التي يتعلم منها الإنسان قيم الإباء ورفض الظلم والثورة على الباطل، فمدرسة عاشوراء بما تحويه من تعاليم وشعائر تُعد أغنى مدرسة عرفها التاريخ الإنساني فضلاً عن التاريخ الإسلامي، ولم يقتصر تأثير هذه المدرسة المعطاءة على الشعوب الإسلامية والعربية فحسب بل تعدت في تأثيرها الواسع إلى شعوب العالم الغربي وقادتهم ومفكرهم، فصدرت منهم العديد من الكلمات التي تبدي أعجابهم وتأثرهم بشخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وبنهضته المباركة، حتى جعل بعضهم الإمام سيد الشهداء (عليه السلام) قدوة ونبراساً له في مسيرته

الثورية والنضالية ضد الطامعين والمتسلطين. ونذكر على سبيل المثال بعض هذه الكلمات التي قيلت في حق الامام الحسين (عليه السلام):

- الزعيم الهندي (غاندي): (أن أردنا أن نتصر، فعلينا أن نقتدي بالحسين)، وقال أيضاً: (تعلمت من الحسين، كيف أكون مظلوماً فأنتصر) وله أيضاً: (لقد طالعت بدقة حياة الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء، فأتضح لي أن الهند إذا أرادت النصر، فلا بد لها من اقتفاء سيرة الحسين).
- الكاتب المسيحي (انطوان بارا): (لو كان الحسين منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبر، ولدعونا الناس إلى المسيحية بإسم الحسين).
- الكاتب الإيرلندي (جورج برنارد شو): (ما من رجل متنور إلا وعليه الوقوف وقفة اجلال واحترام لذلك الزعيم الفذ حفيد الإسلام، الذي وقف تلك الوقفة الشامخة أمام حفنة من الأقزام الذين روعوا واضطهدوا أبناء شعوبهم).
- الثائر الأرجنتيني الشهير (جيفارا): (على جميع الثوار في العالم الاقتداء بتلك الثورة العارمة التي قادها الزعيم الصلب الحسين العظيم والسير على نهجها لدحر زعماء الشر والاطاحة برؤوسهم العفنة).
- الباحث الإنكليزي (جون أشر): (إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي).
- الزعيم البريطاني (ونستون تشرشل): (مادام للمسلمين قرآن يتلى وكعبة تقصد وحسين يذكر فإنه لا يمكن لأحد أن يسيطر عليهم).
- الزعيم الصيني (ماوتسي تونغ): (عندكم تجربة ثورية قاندها الحسين وهي تجربة إنسانية فذه وتأتون إلينا لتأخذوا التجارب).
- الزعيم الألماني (أدولف هتلر): (اثبتوا في القتال كما ثبت الحسين بن علي سبط محمد وأصحابه في كربلاء في العراق، وهم نفر قليل بين ألوف تفوقهم فنالوا بذلك

المجد الخالد). وقال أيضاً مخاطباً جنوده: (عليكم أيها الجنود الأبطال الاقتداء بتلك النخبة المثابرة التي التفت حول زعيمها الحسين الذي تمكن من أن يهز مضاجع اركان دولة قوية ذهبت فيما بعد إلى الهاوية بعد أن تضعضت أسسها جراء الأعمال البطولية التي قامت بها هذه المجموعة الصامدة).

• المفكر الروسي (تولستري): (مما لا ريب فيه ان الحسين كان من اعظم الرجال الثائرين من اجل تقويم الحكام الذين انحرفوا عن جادة الصواب فنال بوقفته تلك الشهادة التي طالما يتمناها الأحرار).

• الرئيس الأمريكي (ابراهام لونكولن): (مامن عظيم إلا ويخلد إلا أن خلود الحسين كان مميزاً بأفكاره النيرة وعشق الناس له في شرق الأرض وغربها إن القرآن ومحمد والحسين ثالث مقدس يجب النظر إليهم نظرة تقديس لأن فيهم الكثير من المثل العليا واحترام حقوق الإنسان).

• الكاتب الياباني (كويانا): (ثورة الحسين اضاءت للمظلومين درب خلاصهم ورسخت لهم مواطئ أقدامهم وانتشلتهم من الضلالة وأبانت لبصائرهم مسالك الحق).

في حين إن بعض المنتمين لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وممن يتشيعون عقائدياً للإمام سيد الشهداء (عليه السلام) لم يستثمروا للأسف الشديد هذه الخصال الثورية والنهضوية كما ينبغي، بل راح بعضهم يمارس الشعائر الحسينية بشكل سطحي، أو يقوم هو عمداً أو جهلاً بتسطيحها وابتداع طرق جديدة تفرغها عن أهدافها الثورية والتربوية وعن محتواها السامي، هذا في الجانب الشعائري وممارسة الطقوس الحسينية، أما في جانب فهم الفكري الحسيني والأبعاد الثورية والإنسانية في مدرسة عاشوراء فهم قلة ممن وعوها كما يجب، واستفادوا منها في تغيير الواقع، فالبعض لا يُحسن سوى ترديد الشعارات الحسينية والتهافتات

الثورية الواردة على لسان سيد الشهداء (عليه السلام) ولا يعي أبعاد ما تنطوي عليه هذه الحكمة والكلمات المباركة، التي تعلوا الأصوات بذكرها لكي تلهب مشاعر الناس، ليس إلا، وما تنفك أن تتبخر حماستهم بمجرد انتهاء الطقوس والمواسم الحسينية، ولا يوظفونها لإصلاح الحياة وتعمير الأرض، بل يُقصر المد الحسيني الإصلاحي في بعده الفكري والشعائري على ممارسات شكلية فلكلورية تؤدي بشكلٍ روتيني رتيبٍ في مواسم معينة من السنة، ويحبسون النور الحسيني الوهاج في زنزانة ضيقة من العاطفة والبكاء واللطم، بسبب المنهج الخاطئ الذي سار عليه تجار الدين من علماء السوء ورواديدهم، وهذا ما حذر منه المرجع اليعقوبي حيث قال في إحدى خطباته المباركة: (... أصبح أداء الكثير من المراثي والمواليد مطابقاً لألحان الغناء المحرم وطرقه وتصاحبه حركات وآلات موسيقية، وبعض ما يسمى (فيديو كليب) لا يختلف عما ينتجه أهل الفسق، وخلت من الأجواء القدسية التي تضيفها ذكرى أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وأما بالمضمون فقد تحول الكثير من المراسيم خصوصاً في زيارة الأربعين والشعبانية إلى ما يشبه الفلكلور الشعبي الذي اعتادته كثير من الأمم ووضعت له برامج وفعاليات من دون أن يستلهم معاني الثورة الحسينية، والأهداف التي سعى الإمام (عليه السلام) لتحقيقها وطالب الأجيال كلها بنصرته في تحقيقها، بل إن الكثير من المشاركين مخالفون لتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) وتاركون للواجبات ومرتكبون للمحرمات فواجبنا اليوم تنقية هذه الشعائر المقدسة وصيانتها من الانحراف عن مسارها الذي وضعه لنا أهل البيت (عليهم السلام) وترسيخ القيم والمبادئ التي شادتها الثورة الحسينية المباركة، وهي إصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة السنة وإماتة البدعة وتحرير العباد من طاعة الشيطان والأهواء والطواغيت ليعودوا إلى عبادة الله تعالى

وحده، وهذه مسؤولية تقع على الجميع: سواء الخطباء على المنابر أو الشعراء الذين ينظمون القصائد أو الذين يتلوونها أو غيرهم).^{٢٢٢}

إذن علينا أن نحرر عاشوراء في وجداننا أولاً لكي تحررها هي من الظلم والاستعباد، فلا نظلم الإمام الحسين (عليه السلام) بقتل ثورته وحبسها في أطر ضيقة وخانقة، كما أراد لها ذلك أعدائها، في حين إنه يمكننا أن نصالح العالم وننقذه من براثن الظلم والفساد بتصديرتنا أفكار وشعائر الإمام الحسين (عليه السلام) فضلاً عن إصلاح شؤوننا، ف(نحن اليوم نعيش محنة سوق الخداع والرياء والنفاق والكذب والتسقيط والافتراء والتجهيل رائجة، وحمى التنافس على الدنيا والصراع على المغانم في أشدها، ولا احد يهتم بالوعي والثقافة والإصلاح والقضايا المعاصرة وحركة التجديد والنهضة، وتخلي عن هذه المفاهيم حتى أهلها الذين طالما تحدثوا بها، لكن الوضع ليس يائسا بل الأمل موجود وتوجد جذوة من فكر وهي آخذة بالنمو والازدهار كما أن لطف الله تعالى بعباده متواصل فجعل معالم تعيد للأمة إيمانها وكرامتها وثقتها بنفسها وعلى رأسها الشعائر الحسينية المباركة).^{٢٢٣}

أفلا يدعونا واقعنا المرير للعجب والدهشة على ما نحن فيه من تردي وفساد، ونحن نمتلك هذه الثروة العملاقة التي غيرت مجرى التاريخ وأطاحت بعروش الأكاسرة وتيجان الأباطرة، وقد اختصر الإمام الخميني الراحل (رضوان الله عليه) الكلام لنا في هذا الباب بمقولته الشهيرة: (كل ما لدينا هو من عاشوراء)، كما ذكر المرجع اليعقوبي (دام ظله) عدة خطابات وكلمات تناول فيها هذا الموضوع بشكل مركز، نذكر فيما يأتي بعض منها:

٢٢٢ - خطابات المرحلة، ج٦، ص ٣٦٦.

٢٢٣ - خطابات المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (التجديد في الخطاب الديني).

• (إن قضية الإمام الحسين (عليه السلام) لو عرضت بالطريقة التي تناسها لأمكن تأصيل قيم الحرية والمحبة والسلام والعدالة والمساواة وكل القيم الإنسانية العليا لدى البشر جميعاً).^{٢٢٤}

• (إن من أهم ألقاب الإمام الحسين (عليه السلام) (أبيّ الضيم) فعلى أتباعه والموالين له والذين يقيمون شعائره أن يكونوا أباءً للضيم والخنوع والاستسلام وأن يرفضوا كل من يحاول تجهيلهم وتدجينهم وإخضاعهم مهما كان موقعه ومقامه المزعوم).^{٢٢٥}

• (إن شعائر الإمام الحسين (عليه السلام) يجب أن تكشف بوضوح عن المعاني التي جسدها (عليه السلام) في مواقفه من الشجاعة والإنسانية والإخلاص لله تبارك وتعالى والسمو والتحرر من عبادة الذات والطواغيت ومن الحب والرحمة ورفض الباطل والفساد بكل أشكاله ولنجعل من شهر محرم الحرام - كما هو كذلك - مظهراً لكل تلك المعاني النبيلة، وما اصطحابه (عليه السلام) لعقائل النبوة والإمامة وتعريضهن للسبي إلا لإعلان تلك المبادئ الإنسانية والإسلامية العليا بعد أن كتمت السلطات القمعية أفواه الرجال عن الكلام).^{٢٢٦}

• (النهوض بواقع الشعائر الدينية وخصوصاً الشعائر الحسينية لتكون محققة للأهداف التي سالت تلك الدماء الزواكي الطواهر من أجل تحقيقها، لأننا نلمس مع الأسف تسطيحاً لهذه الشعائر وتراجعاً في الممارسات لتصبح غالباً خالية من تلك الأهداف ولا تترك تأثيراً حقيقياً على نفوس الملايين إلا في وقت ممارستها، مع الإشادة التامة بالنبل والمواقف الكريمة التي تجلت في الزيارة الأربعينية والتي

٢٢٤ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٧٦.

٢٢٥ - خطابات المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (محافظة المثني نموذج بائس لتردي أحوال شعبنا).

٢٢٦ - خطابات المرحلة، ج٥، ص٤٢١-٤٢٢.

تستحق أن يُفرد لها كتاب خاص لتطلع البشرية على التجليات الإنسانية فيها. لكن هذه المسيرة المليونية يمكن أن تساهم بشكل كبير في تعجيل الظهور الميمون المبارك إذا أبرزت بشكل أكبر الأهداف والمبادئ التي أعلنها الإمام الحسين (عليه السلام)، وإنما يتحقق التأسي به (عليه السلام) بمقدار تجسيد تلك المبادئ والمحافظة عليها وليس بمقدار شجّ الرؤوس بالسيوف وإدماء الظهور بالسلاسل والمشي على الجمر وبعض الممارسات التي تشوه الصورة الناصعة لمدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم)).^{٢٢٧}

• (إن قيمة العبادات والشعائر التي تؤديها بمقدار تحقيقها لتلك المضامين العالية، قال تعالى [إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ]، [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] [لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ]، [خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ]. فإذا تجردت عن المضامين فإنها ستفرغ من القيمة إلا أن يتداركها الله تعالى بفضله وكرمه. خذ لذلك مثلاً قشور الفاكهة فإنها ما دامت محتوية على اللب وحافطة له فلها كل القيمة، ولكنها إذا نزعنا عنها فلا قيمة لها وترمي في سلة النفايات. فالمأمول هو أحياء هذه الشعائر بشكل واعٍ مع استحضار للأهداف التي أسست من أجلها، والمبادئ التي أراد الأئمة المعصومون (عليهم السلام) تركيزها من خلال إحيائها، فلم يستشهد الإمام الحسين (عليه السلام) من أجل أن نبكي عليه فقط أو لنتفجّع ونحزن، وإن كان هذا مطلوباً في نفسه، ولكن الهدف هو توظيف هذا الحزن والبكاء والألم في رفض الظلم والانحراف والفساد والسعي بهمة عالية نحو الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمأمول أيضاً

إدامة هذه الآثار المباركة التي عاشها الجميع خلال أيام المناسبة لتكون خصلاً ثابتة في سلوكنا).^{٢٢٨}

• لو كان الإمام الحسين (عليه السلام) موجوداً بشخصه بيننا لقاد هذه المسيرة المليونية (يقصد (دام ظلّه) الزيارة الأربعينية المباركة) إلى حيث يقبع الظالمون المستبدون ليجتث جذور الفساد والظلم والاستبداد والاستئثار ويحاسب المفسدين ويعاقبهم ويقيم المبادئ التي تحرك من أجل تحقيقها ولوجه هذه الملايين لتصوّت في صناديق الاقتراع للكفّوين النزيهين المخلصين المتفانين في عملهم. ولا يكتفي باللطم والمناداة بالويل والثبور. انظروا إلى هذه الشعوب التي حولنا والتي لا تملك مثل الإمام الحسين (عليه السلام) لكنها تأثرت به ولو من بعيد ومن دون أن تشعر بسريان الروح الحسينية الراضية للظلم والمنكر والبغي والاستبداد والاستئثار، فلم يكن مصادفة انطلاق ثورة شباب مصر يوم ٢٥ يناير (كانون الثاني) الذي كان يوم الزيارة الأربعينية حيث تابع كثير منهم ما يُنقل عن الشعائر الحسينية ومعانيها عبر الفضائيات خلال الأيام التي سبقتها، فتأثر بحركة سيد الشهداء وأبوة الضيم ورافضي الظلم والمنكر والبغي..أيها الأحبة: أنتم شريحتان مهمتان في المجتمع وعليكم المعوّل في إحداث التغيير والإصلاح: الشباب الذي هم قلب الأمة النابض الذي يتدفق بالحياة في جسدها، والحوزة العلمية التي هي عقل الأمة المفكر والمخطط والقائد لها خصوصاً الحوزة النجفية التي تتسع مسؤولياتها لتشمل العالم كله).^{٢٢٩}

• وقال (دام ظلّه) حول فوائد المشي للزيارة الشريفة: (إنّ المسيرات السلمية وسيلة حضارية تتبعها كل الأمم المتحضرة لإلفات النظر إلى قضاياها والمطالبة بحقوقها ودفع الآخرين للسؤال والفحص عن المشروع المحرّك لها، وهذا ما تحقق إذ صار العالم كله يتساءل اليوم عن الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم

٢٢٨ - خطابات المرحلة، ج٦، ص١٩١.

٢٢٩ خطاب المرحلة، ج٧، بعنوان: (المبادئ الحسينية وثورات الشعوب).

السلام) والشيعة، والسؤال مفتاح الوصول إلى الحقيقة، إنها تحبط محاولات الأعداء المتنوعين التي تستهدف الشعب العراقي الأبى وهذا البلد الكريم، لإفساده وإخضاعه وإرعابه وتدجينه وسلخه من هويته الإسلامية الأصيلة، فقد حاول الإرهابيون بكل وسائل القتل والتدمير والجريمة إخافته، وحاول الاحتلال تدجينه وتحويله إلى جزء من مشروع الشرق الأوسط الكبير بل رأس الحربة فيه، وحاولت تقنيات الإغراء والغواية والتضليل إفساده وإبعاده عن إسلامه الأصيل ففشل الجميع، ببركة هذه المسيرات المليونية، إنها ممارسة تعبوية تحافظ على جاهزية الأمة وحضورها في الميدان على الدوام وبدونها يصاب الشعب بالخمول والكسل والاسترخاء فيكون مكشوفاً وهدفاً سهلاً لكل استهداف، إنها تقوي الإرادة والتحمل وتوطئ النفس على الصعاب مما يعجز عن تحقيقه أي ممارسة أخرى وتشكل بذلك فقرة مهمة من عملية الاستعداد لنصرة الإمام الموعود (عليه السلام) والمشاركة الفاعلة في التمهيد لدولته المباركة ونصرتة).^{٢٣٠}

• كما تساءل (دام ظله) عن سبب عدم احتجاج الناس على ظالمهم وسالبي حقوقهم، قائلاً: (إن بضعة آلاف من الناس أخذوا امتيازات غير مستحقة، وبأثر رجعي حتى ٢٠٠٣ م،^{٢٣١} رغم إنهم كانوا هم الجلادين، فيما لا يزال الملايين من الضحايا لم ينالوا حقوقهم؟! ، مشيراً إلى أن تظاهرات بضعة الاف من الجلادين اخذت من المكاسب ما لا تستحق ، بينما إن الملايين من الموالين لأهل البيت الذين يزحفون نحو كربلاء سنويا، لنصرة الحسين (عليه السلام) وثورته، ويفخرون بأنه (أبي الضيم) يفشلون من أن يكونوا هم أباة الضيم، ولا يزحفون لاستنقاذ حقوقهم ! وقد شخّص (دام ظله) بعض الأسباب الكامنة وراء هذه المشكلات، والتي من

٢٣٠ - خطابات المرحلة، ج٨، خطاب بعنوان: (إلى المشككين بجدوى الزيارات المليونية).

٢٣١ - يشير سماحته (دام ظله) إلى أزلام النظام السابق.

أبرزها تدجين الناس، وتجهيلهم، وتقاعس الناس أنفسهم، وخضوع هذه الملايين لسياسة التدجين والتجهيل بصورة إرادية غريبة، تظهر ارتياحهم لهذا النوع من العيش البائس، متسائلاً عن سبب رفض الناس لمن يريد أن يأخذ بأيديهم نحو الهدى وجادة الصواب، لاستنقاذهم من هذه الظلمات).

ومما يجدر الإشارة إليه هنا أيضاً هو إن بعض الناس يمارس الطقوس الحسينية لأجلها لا لأجل أهدافها وغاياتها السامية، فيلطمون لأجل اللطم، ويمشون للزيارة لأجل المشي، ويقىمون المجالس لأجل المجالس وهكذا، فيتخندقون في أطر ضيقة تحبسهم عن استنشاق نسيم الأخلاق والقيم والأهداف الحسينية التي من أجلها سنّ لنا أئمة أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) هذه الشعائر المباركة، حتى إنني لأتذكر حادثة غريبة شاهدتها بأمر العين في كربلاء المقدسة أيام الطاغية (صدام) في إحدى المناسبات الحسينية الكبيرة، تنفع كشاهد على ما أقول، حيث رأيت مجموعة معتد بها من الرجال والنساء قد تجمعوا وسط الشارع وهو يلطمون ويرددون هتافاً غريباً، حيث يقولون بصوت واحد ومتكرر: (صدام حسين امخليه) فهؤلاء بكل صورة يريدون اللطم للطم حتى وإن أفرغ من محتواه الثوري والقيمي الأصيل، وحتى وإن استلزم اللطم وإقامة المجالس محاذير ومخالفات شرعية؟! وهذه الحادثة تتكرر هذه الأيام ولكن بطرق وأساليب مختلفة، والحكيم تكفيه الإشارة.

(٢١) وعي المرحلة الراهنة وتحصيل القناعة بالتغيير والتعاون الجاد والنزيه:
إذا أردنا أن نعالج ظاهرة التدجين فينبغي علينا أن نقوم بخلط ثلاثة عناصر مهمة مع بعضها البعض، لكي نحصل على علاج شافي وسريع لهذا المرض الفتاك، وهذه العناصر، هي:

أولاً: (وعي المرحلة الراهنة).

ثانياً: (تحصيل القناعة بالتغيير).

ثالثاً: (التعاون الجماعي الجاد والذويه).

فيمهذه العناصر العلاجية الثلاث نستطيع أن نتخطى حواجز التدجين والتجهيل، ويمكننا القضاء على براثن الفساد الصادرة من تجار الدين ودهاقنة السياسة، وهذه العناصر مرتبة مع بعضها طويلاً، ونعني بذلك، إن الأمة في المرحلة الأولى يجب أن تعي حقيقة وأبعاد المرحلة التي تعيش فيها، وماهية مجريات الأحداث ومن هو المؤثر الحقيقي ورائها، والمسبب للمشكلات التي يمرون بها، وهذا يعتمد على مدى وعي أبناء الأمة وفطنتهم وثقافتهم، واطلاعهم على الساحة الدينية والسياسية والإجتماعية، أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة تحصيل القناعة التامة بالتغيير وإصلاح الأخطاء وحل المشكلات التي تُسبب ضرراً على الأمة، وبدون هذه القناعة لا يمكن تحقيق حالة التغيير والإصلاح، أما المرتبة الثالثة فهي خطوة عملية، حيث يستلزم من أبناء الأمة التكاتف والتعاون لدفع المشكلات وإزالة الشخصيات المفسدة في المجتمع مهما كلف الأمر، وعدم الرضوخ للعناوين الكبيرة أو التسامح معها على حساب الحق مجاملة أو مدهانة أو طمعاً طلباً لإرضائها، وهذا التعاون بين أفراد المجتمع لكي يؤتي ثماره لا بد أن يكون تعاوناً حقيقياً وليس تعاوناً وتكاتفاً شكلياً، كما هو حال الكثير من التكتلات والائتلافات السياسية اليوم.

الفرق بين تجربة الشعب العراقي والشعب الإيراني في

إسقاط رموز الظلم

لو ألقينا نظرة تحليلية على ما مر به كل من الشعب العراقي والشعب الإيراني من مآسي وظلم من قبل الحكومات الجائرة التي تسلطت عليهما في القرن الماضي، لوجدنا فرقاً واضحاً بين كيفية تعامل كل من الشعبين مع ظالمهم، والسؤال هو: كيف نجح الإيرانيون في التغلب على الشاه الهلولي وأسقطوا عرشه على الرغم من كل الوسائل والإمكانات التي يتمتع بها في داخل البلاد وخارجها في حين إن الشعب العراقي ظل قابلاً تحت الهيمنة البعثية الجائرة لعقود عدة ولم يستطع الانتصار على هذه الجرثومة الخبيثة ولم يكتب له النجاح في إسقاطها على الرغم من وجود قيادات دينية صالحة مخلصه جادت بها الحوزة النجفية كالشهيد الصدرين (رضوان الله عليهما) ووجود قواعد شعبية عريضة موالية لهم؟ وللجواب عن هذا السؤال لابد من معرفة الفوارق بين التجريبتين (التجربة العراقية والإيرانية) لكي نضع أيدينا على الخلل، ومن ثمة ندرسها بإنصاف وموضوعية، لكي نستفيد منها في هذه الحقبة التاريخية المهمة من حياة هذين الشعبين المسلمين المكافحين، ولو أردنا أن نشخص أسباب وعوامل انتصار الشعب الإيراني في ثورته الإسلامية المباركة فإن ذلك يعود - في حدود ما نرى - لعدة عوامل أبرزها خمسة عوامل، هي:

١. التحلي بالروح الثورية والنضالية الطافحة التي أستلهمها المجتمع الإيراني من مدرسة عاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام) ويعود الفضل في ذلك إلى وجود ثلة مخلصه من العلماء والخطباء الواعين والإحياء المكثف للشعائر الحسينية الهادفة التي عمقت في نفوسهم قيم الثورة ضد الظالمين.

٢. إتباع المجتمع الإيراني للقيادات الدينية الصالحة وطاعة أوامرها بشكل منقطع النظير، حيث كانوا يطبقون حرفياً كل ما يوجه إليهم من أوامر وإرشادات، فكان الشعب في طاعة كبيرة لمراجعهم الكرام وفي مقدمتهم مرشد الثورة وقائدها الإمام الخميني (قدس سره) التي كانت أوامره تنفذ بسرعة كالنار في الهشيم، حتى في أيام وجوده خارج إيران.

٣. التكاثر واللحمة الوطنية والإجتماعية التي أنصهر فيها الشعب ضمن بودقه واحدة لمواجهة النظام المهلوي الظالم.

٤. الإتصاف بروح المثابرة والمصابرة والمرابطة وطول النَفَس في تحمل المصاعب والبلاءات، وعدم اليأس من التغيير، على الرغم من طول مدة الثورة وتقديمهم الكثير من الشهداء، فظلت الجماهير الإيرانية صامدة حتى حققت إنتصارها الكبير في سنة ١٩٧٩م.

٥. المميزات القيادية الفريدة التي كانت تتمتع بها شخصية الإمام الخميني الراحل (قدس سره) حيث كان يمتلك (كاريزما) قلّ نظيرها في العالم، نضراً لارتباطه العميق بخالقه تعالى، وإخلاصه في أداء رسالته الإسلامية، مما جعل القلوب والنفوس تهوي وتنجذب إليه بشكل غريب، فجعل (قدس سره) الشعب الإيراني المسلم يذوبون فيه حباً ويطيعونه بشكل كبير.

وهذه المميزات والعوامل في التجربة الإيرانية لم يكن الشعب العراقي فاقداً لها ولكن كل ما في الأمر إنه تحلى بها بنسب متفاوتة ومن جهة أخرى إن هذه العوامل لم تجتمع كلها دفعة واحدة في زمن واحد، لكي يُحدث الشعب حالة التغيير والإصلاح، فإن وجود هذه العوامل مجتمعة في زمان واحد يمكن أن تؤدي دورها الفاعل، وتحقق عناصر قوة تمكن الشعب حينئذ من الإنتصار على ظالميه، ولكي نقرب الفكرة نضرب مثلاً للتوضيح، عندما اندلعت الانتفاضة الشعبانية المباركة

ضد الطاغية صدام في سنة ١٩٩١م أفلح الشعب في إسقاط العديد من المحافظات، وكاد أن ينتصر بشكل نهائي، ويقطع رأس الأفعى، لولا فقدان سبب رئيسي مهم، وهو عدم وجود قيادة صالحة وموحدة تقود الثورة وتوصلها إلى بر النصر^{٢٣٢}، فالجماهير الثائرة كانت تواقفة وبشغف إلى وجود قيادة دينية تمسك بزمام الانتفاضة، إلا أن ذلك لم يحصل للأسف الشديد، سوى يوم واحد قاد فيه الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) الانتفاضة ثم اعتقل بعدها في اليوم الثاني .

بالإضافة إلى ذلك فإن الإدارة الأمريكية منعت من مساندة الانتفاضة من خارج العراق، فبقي الثوار يقاتلون بصمود وبسالة بالرغم من ذلك، وبالرغم من قلة الإمكانيات الغذائية والعسكرية، على أمل مجيء قيادة تمسك بزمام الأمور، فظلت تحت رحمة الأحداث التي صنعتها فيما بعد يد السلطة التي ملمت جراحها وانقضت على الثائرين ببركان من الغضب الهائج فاسقط في يد الثوار واحترقت ورقة الانتفاضة ونكل بأصحابها أشد التنكيل وأبشعه.

إذن فالشعب العراقي لديه طاقة ثورية هائلة والدليل على ذلك إنه تحدى أعتى طاغية عرفه العصر الحديث، ولم يتهيب ترسانته المسلحة المعروفة ببطشها وفتكها، وللشعب أيضاً كما يبدو من تاريخ الانتفاضة الشعبانية طاعة وولاء كبيرين للقيادة الدينية وللحوزة العلمية ومراجعها وله أيضاً هممة كبيرة ويمتلك روح المثابرة على الرغم من الصعوبات والأزمات التي مر بها أبان الحصار الإقتصادي الخانق، ولكن العنصر الأساسي الذي فقد آنذاك هو وجود القيادة الصالحة، ولو تحقق هذا العنصر لقلب المعادلة وانتصرت الانتفاضة.

٢٣٢ - نعم فُسح المجال للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) بقيادة الانتفاضة وإدارة أمورها في النجف الأشرف، والتفت جموع الثوار حوله لكن عامل الزمن لم يسعفه للأسف الشديد، لأنه زاول مهام القيادة ليوم واحد فقط، ولولا ذلك لقلب الطاولة على النظام الحاكم كما يقال، وللمزيد من التفاصيل في هذا المجال راجع خطابات المرحلة للمرجع اليعقوبي.

ومما يجدر الإشارة إليه أيضاً إن حالة الوعي الديني والحس الرسالي لم يكن عند جميع الثوار على درجة واحد وبالشكل المطلوب، ففي حادث مؤسفة حصلت أيام الانتفاضة سجلها مرجعنا اليعقوبي بحكمه شاهد عيان عليها، يكشف من خلالها مستوى وعي الأمة الديني والرسالي، حيث قال (دام ظله): (أتذكر إننا في أيام الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١م كان الصحن الحيدري الشريف مليئاً بالناس المتحمسين الذين يلوحون بالسلاح فرحين بالنصر ومتهيين لأية مواجهة، والحناجر تصدح بالشعارات، ولكن حينما يرتفع صوت المؤذن بالصلاة لم يكن يحضر صلاة الجماعة خلف سيدنا الشهيد الصدر (قدس سره) في داخل الروضة المطهرة إلا عدد الأصابع فهل يمكن أن نعتبر هذا نجاحاً حقيقياً؟! وأنا لا أريد أن أوبخ أولئك الثائرين بقدر ما أريد إلفات النظر إلى عناصر التربية المتكاملة بينما يقيم الإمام الحسين (عليه السلام) صلاة الظهر جماعة يوم عاشوراء وسط صليل السيوف واصطكاك الأسنان وأشلاء الشهداء، وفي معركة صفين وفي ليلة الهرير بالذات التي شهدت اعنف المعارك يفتقد جيش الحق إمامهم أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعد البحث وجدوه يصلي والحرب مشتعلة فقال له مالك الأشر: أفي مثل هذا الحال تنشغل بالصلاة يا أمير المؤمنين؟ قال: (عليه السلام) وهل قاتلناهم إلا من أجل الصلاة؟).^{٢٣٣}

وهنا قد يقول قائل: إن العراق شهد بوجود قيادات دينية صالحة وواعية وذات (كاريزما) قيادية مميزة جادت بها الحوزة النجفية، أمثال: السيدين الشهيدان الصدرين (قدس الله سرهما)، فلماذا لم يكن النصر النهائي حليفاً لهما في إسقاط طاغية العراق؟، والجواب: إن السبب وراء ذلك هذه المرة هو عدم وعي الأمة لمتطلبات المرحلة آنذاك بشكل كافي، وعدم وجود الولاء والطاعة المطلقة

لهما، بل إن بعض شرائح المجتمع المهمة وقفت ضدهما، ممن ينتسبون للصف الشيعي بل الحوزوي، فضلاً عن باقي الصنوف الأخرى، لذا (وصل السيدان الشهيدان الصدران الأول والثاني (قدس الله سرهما) في ذروة المواجهة مع النظام الطاغوتي إلى نتيجة واحدة وهي قلة الواعين المخلصين).^{٢٣٤}

والأن يستطيع الباحث البصير أن يمعن النظر ليكتشف أي العوامل يفتقدها الشعب العراقي هذه الأيام مما جعلته يصبح على ما هو عليه من تعاسه وتردي، على الرغم من وجود قيادة صالحة وواعية ومخلصة ووجود ظرف أمني مناسب جداً، والدولة تحكم باسم الديمقراطية، بل أن السلطة بيد أغلب الكتل الشيعية، والشارع العراقي حسه وولائه ديني، إذن أين تكمن المشكلة!؟

٢٣٤ - يُنظر ج ٥، ص ٣٩٦ (دور السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في الانتفاضة الشعبانية) (بتصرف).

خصائص ومميزات المجتمع العراقي

في الميزان

قال المرجع اليعقوبي (دام ظله) معلقاً على الدراسات التي صدرت قديماً وحديثاً والتي تناولت دراسة طبيعة المجتمع العراقي، وتحليل الشخصية العراقية، بعدما أطلع على خلاصة محاضرة ألقاها عالم اجتماع عراقي مغترب في ندوة أقيمت في لندن بعنوان (التحولات البنيوية وتأثيرها على الشخصية العراقية):

(صدرت الكثير من الكتب والدراسات منذ عقود من الزمن وإلى الآن عن طبيعة المجتمع العراقي والشخصية العراقية وتحليلها وتشخيص العناصر المؤثرة فيها.. وأول ملاحظة تسجل على مثل هذه الدراسات وجود نقاط ضعف كثيرة منها: ١- إنها مبنية على الاستقراء وهو ليس تاماً وقد يهمل الباحث في دراسته شرائح بأكملها فلا تكون النتائج دقيقة أي لا يمكن تعميمها وإنما هي تصح على شريحة معينة.

٢- إن تحليلاتها ونتائجها تتأثر بنفسية الباحث وتوجهاته حتى لو حاول أن يكون موضوعياً، فإذا كان الكاتب علمانياً. كما هو الغالب. اتهم الظاهرة الدينية وألقى اللوم على المؤسسة الدينية، وإن كان فئة عانت الإقصاء من الحكم، حمل السلطات المسؤولية، وقد يعيش عقداً باتجاه ما فتوثر على كتابته.

٣- إن بعض هذه الدراسات مدفوعة الثمن من قبل جهات معينة فيضطر الباحث إلى مناغمتها والانسجام معها ويصوغ البحث بشكل يدفع إلى اعتناق الأفكار والتصورات التي تريدها تلك الجهات.

٤- إنها لا تنطلق من الواقع أحياناً، وإنما يطبق ما يشبه المعادلات الرياضية، فيقول: إن الشعب العراقي ما دام قد عانى من بطش وقسوة وديكتاتورية فإنه سيكون عنيفاً صدامياً إقصائياً خائفاً كئيباً جنائزياً ونحوها.

والحال أن الظروف المعاشة ليست هي الوحيدة التي تصنع شخصية الإنسان وتؤثر فيه، فهناك العقيدة والقيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية النبيلة وغيرها، فقد ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعاش في مجتمع جاهلي حوى المنكرات جميعاً ثم كان أفضل المخلوقات وأكملها، وهناك الكثير من الصالحين الذين نشأوا في مجتمعات فاسدة).^{٢٣٥} ثم ذكر سماحته (دام ظلّه) النقاط الايجابية لهذه الدراسات، إذا صدرت من باحثين متخصصين ومحايدين، حيث قال: (ورغم نقاط الضعف المذكورة فإن هذه الدراسات مفيدة خصوصاً إذا صدرت من باحثين متخصصين محنكين لأنّها تساعد في إلفات النظر إلى ظواهر إيجابية بناءة عديدة ينبغي تدعيمها وترسيخها، وظواهر سلبية هدامة يجب مكافحتها والقضاء عليها).^{٢٣٦}

كما نبّه (دام ظلّه) إلى ضرورة عدم تعميم الخصائص والصفات التي توصل لها الباحثون ضمن دراستهم لطبيعة المجتمع العراقي، وأنماط الشخصية العراقية، وفق استقراءات واستحسانات معينة، وإن الكثير من هذه الخصائص التي نُسبت للشعب العراقي يمكن أن تنسب إلى غيره من الشعوب نظراً لما تمر به من ظروف، حيث قال (دام ظلّه): (إن كثيراً من الخصائص التي تُنسب إلى الشخصية العراقية لا تختص بها، بل يتصف بها كل شعب يتعرض لما يتعرض له الشعب العراقي، مثلاً

٢٣٥ خطابات المرحلة، ج ٦، ص ٢٧٥، خطاب بعنوان: (تقييم الدراسات الاجتماعية عن

الشخصية العراقية).

٢٣٦ - المصدر نفسه.

ظاهرة العنف أو ما يسمى بالحواسم والفرهود أو الفتنة الطائفية ونحوها، موجودة في المجتمعات التي يعدونها راقية، فقد استمرت الحروب الطائفية بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا منذ قرون إلى الآن، وتوجد أحياء في العاصمة الأمريكية واقعة تحت سيطرة العصابات والجماعات المسلحة ولا تستطيع قوات الشرطة الدخول إليها، فضلاً عن بسط الأمن فيها، وفضائح الفساد المالي والإثراء من المال العام في الغرب عموماً لا تكاد تنقطع وتجاوزت المليارات وأدت إلى إفلاس مؤسسات ضخمة، ونفوذ المافيات في عدة دول من الواضحات وكذا تجارة المخدرات وغيرها. هذا غير ما سببوه من إزهاق ملايين الأرواح وتدمير الممتلكات في عمليات الغزو والاحتلال والإبادة التي عمّت بني البشر، وعلى العكس من ذلك فإن قيماً نبيلة ومبادئ سامية تتجسد في الشخصية العراقية كانت سداً منيعاً حال دون حصول المزيد من الانهيار والتردي الذي خطّط لحصوله في ظل الظروف التي أقحم فيها الشعب العراقي، نعم توجد خصوصيات في الشخصية العراقية إيجابية أو سلبية، بعضها على نحو العلل والأسباب، وبعضها على نحو المعلولات والآثار والنتائج.

ومنها: على المستوى الأول، شدة الصراع والتناقض الذي يعيشه بداخله بين داعي الدين والإيمان والمبادئ التي آمن بها وتوارثها وتربى عليها وهي التي تدفعه بقوة إلى السمو والكمال، وداعي النفس التي تريد الاستئثار والانتقام والتسلط وحب الشهوات، بينما أكثر الأمم الأخرى لا يوجد لديها الوازع الأول فتتساق تلقائياً وراء الثاني ولا تجد مشكلة في ذلك.

ومنها: على المستوى الثاني، إن مصدر ما حل بالعراقيين من جهل وفقر وقتل ودمار وكوارث هي قياداته فقد ابتلوا عبر التاريخ بزعامات فاسدة متخلفة ظالمة حمقى سواء على صعيد الزعامات الاجتماعية - كرؤساء العشائر عدا من عصم

الله تعالى - أو سياسية فقد سوّدت السلطات وجه التاريخ الماضي والحاضر بأفعالها الشنيعة، وحتى الدينية فإن الكثير من الزعامات الدينية تطلب الدنيا باسم الدين المقدس وهي لا تتورع عن ارتكاب الكبائر لتحقيق مآربها والعياذ بالله).^{٢٣٧}

أما عالم الاجتماع العراقي المعروف الدكتور (علي الوردى) فقد ذكّر جملة من الخصائص والمميزات التي يتصف بها المجتمع العراقي، نذكر بعضاً منها بغض النظر عن قبولها أو رفضها، وهي:

١. الكرم البدوي كالعناية بالضيوف وإكرامهم وتهيئة الطعام الجيد لهم.
٢. التماسك العائلي القوي، ويمتاز أفراد العائلة بالتضامن وقوة الرابطة والوقوف مع بعضهم البعض أثناء الأزمات والمشكلات. فالعائلة تشعر كأنها عشيرة صغيرة تجاه غيرها. وكل عار أو فخر يصاب به أحد أفرادها لا بد أن يصيب بقية الأفراد فيها.
٣. ظاهرة الإزدواجية في الشخصية العراقية إزدواج الشخصية ظاهرة اجتماعية موجودة في كثير من المجتمعات البشرية، وهي قد تكون ضعيفة أو قوية تبعاً لتفاوت الظروف في كل مجتمع. وسببها وقوع المجتمع تحت تأثير نظامين متناقضين من القيم، فيضطر بعض الأفراد من جراء ذلك إلى الإندفاع وراء أحد النظامين تارة، ووراء الأخر تارة أخرى. فهم يناقضون أنفسهم دون اكتراث ظاهر. والفرد العراقي يعاني من هذه الظاهرة بشكل كبير، فهو يهيم بالمثل العليا والدعوة إليها في خطابه ومجادلاته وكتاباتاته، ولكنه في الوقت نفسه من أكثر الناس بعداً عن تلك المثل في سلوكه وواقعه.

٤. العراقيون يميلون إلى الجدل والولع به، وأن النزعة الجدلية قوية في الشخصية العراقية . ولعلها أقوى من أي بلد عربي أو إسلامي آخر. كما أن لها جذورها التاريخية، حتى أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قد قال عنهم أنهم ملؤوا قلبه قيحاً، وليس جميع العراقيين على درجة واحدة في هذا الإزدواج.

كما انتقد الدكتور (علي الوردی) ظاهرة التقليد التي كثيراً ما يقع فيها الباحثون والأكاديميون في تفكيرهم وأسلوب تنفيذهم لبرامجهم أو آرائهم، فيقول: (ف نجد أحدهم مثلاً يدرس علم الاجتماع في جامعة أجنبية فيرجع إلى مجتمعه يريد أن يدرسه في ضوء ما درس هناك حرفياً، ناسياً الفرق بين مجتمعه والمجتمع الذي درس فيه، إنه قد يظن أن الظواهر التي درسها هناك "قوانين عامة" تصدق على جميع الشعوب في العالم من غير تفریق).^{٢٣٨}

ونذكر فيما يأتي جملة من المميزات الأخرى للمجتمع العراقي، والتي يتصف بها البعض دون البعض الآخر، بطبيعة الحال، فلا يمكننا تعميم هذه الصفات على جميع شرائح المجتمع العراقي، ولكن يمكن أن تكون بعضها أكثر انتشاراً من غيرها، وهذه الصفات نذكرها بحسب فهمنا القاصروهي قابلة للنقاش والتحليل، وهي:

١. كثرة التخاصم وروح التنازع والتسقيط المتبادل والمعاداة حتى داخل الصف الواحد.

٢. كثرة التبرم واللوم والشكوى.

٣. روح المغالبة.

٤. عدم التحلي بروح المطاولة والمثابرة، والثبات على الموقف، ومن نتائجها الرضا بأنصاف الحلول.

٥. الجهل بمعرفة القادة الحقيقيين القادرين على حل المشكلات والأزمات، والتشبث بمن هم ليسوا أهلاً للقيادة.
٦. سرعة الانغماس بالملذات الدنيوية والتلوث بذنوب الرخاء.
٧. ظاهرة الانبطاح والمجاملة للخصوم الطائفيين والسياسيين الانتفاعيين.
٨. ظاهرة التعميم (أي تعميم صفة شخص ما على جميع من في شاكلته ووظيفته دون استثناء).
٩. سرعة نسيان المواقف والأحداث التاريخية التي يمر بها الشعب مما يسبب عدم الحذر منها مستقبلاً.
١٠. شدة التعصب والولاء للجهة التي ينتسب إليها أحدهم وهذه الصفة من صفات الجاهلية لدرجة أن يرون شرارهم أفضل من خيار غيرهم.
١١. عدم الاستفادة من التجارب السابقة والسقوط في نفس الأخطاء السابقة.
١٢. الانخراط المتسرع المتأثر بالسلوك الجمعي الذي ينافي الثبات على القيم الصالحة وتعقل الأمور قبل الولوع فيها.^{٢٣٩}
١٣. سرعة تصديق الإشاعات والاكاذيب وعدم التحقق والتثبت مما يتناقله الناس.
١٤. إهمال وتهميش المبدعين وسرقة إبداعهم أو السخرية منهم أحياناً.
١٥. الخجل من إظهار الهوية الدينية أو المذهبية وممارسة طقوس أمام الآخرين.
١٦. احتقار الهوية الوطنية، وعدم الشعور بالاعتزاز بالانتماء الوطني والقومي،

٢٣٩ - وهذا ما يترجم التحول المتكرر والكثير في أسماء الأشخاص والمعالم المختلفة في البلاد عبر الأزمنة المتعاقبة، والحكومات والتيارات المتسلطة، كأسماء المقاهي مثلاً، فتغيرت أسمائها من مقهى (غازي) الى مقهى (الشعب) ثم الى مقهى (العروبة) ثم الى مقهى (بركات العباس) أو مقهى (الخلفاء) وحَقَل سجل المواليد بتغيير أسماء الأشخاص من (فيصل) إلى (كريم) الى (ناصر) إلى (صدام) إلى (باقر) ونحو ذلك.

١٧. بيع الذمم مقابل الأموال وعروض متع الدنيا الرخيصة والتنازل عن القيم الدينية والمبادئ الانسانية بسهولة كما حصل في الانتخابات المتكررة.

١٨. تقديس الذوات وعبادة الرموز الشخصية، سواء أكانت دينية أو سياسية أو عشائرية أو غير ذلك، وفي هذا الإطار نذكر استغراب المرجع اليعقوبي حيال انتخاب الشعب لنفس الفاسدين، واتباع القيادات الدينية المهملة لمصالحهم، الذي لعله نتج بسبب هذه الصفة السيئة، حيث قال (دام ظلّه): (الغريب هو انصياع الأغلب لتلك الزعامات والانسحاق ورائها من دون عذر أو مبرر، بل حتى لو أعطوا حق الاختيار فإنهم يختارون نفس الظالمين والمقصرين والفاسدين، ونتائج الانتخابات – في عصر الديمقراطية المزعوم- شاهدة على ذلك، هذا على صعيد السياسة، أما على صعيد الزعامة الدينية فالأمر كذلك إذ أن اختيار مرجع التقليد بأيديهم، ومع ذلك يختار الأكثر أتباع من لا يعبأ بهم ولا ينظر إليهم ويصنعون لهم قداسة مزيفة ثم يصدقونها ويتمسكون بها ويتركون المرجعيات الرسالية المخلصة لله تعالى ولهم حتى تمضي إلى ربها شاهدة شهيدة).^{٢٤٠} يقول أحد الباحثين: (العراقيون مولعون إلى حد الهوس في صناعة الرموز القيادية ومن ثم عبادة الرمز الذي يصنعونه . وقد اثبتت الوقائع بأن العراقيين لا يمكن أن يعيشوا من دون رمز، بل انهم يتفننون في خلق الوسائل التي من شأنها ان تصنع الرموز، والرمز المعني هنا هو اختيار شخصية معينة تنسب اليها صفات أو اعتبارات معينة بما يجعلها مؤهلة للقيادة او الزعامة . وتختلف الصفات او الاعتبارات المختارة حسب طبيعة الظرف المحيط وطبيعة الفئة التي تخلق الرمز. فقد تكون هذه صفات شخصية كالشجاعة والذكاء والحكمة والحنكة ، أو قد تكون قدسية كالتدين والمكانة

٢٤٠ - خطابات المرحلة، ج٦، ص٢٧٥، خطاب بعنوان: تقييم الدراسات الاجتماعية عن الشخصية العراقية.

الدينية أو معنوية كالأصل والزهد ... إلخ، أما عبادة الشخصية فهي تأتي من المبالغة في اطلاق الصفات على شخصية الرمز والتمادي في مديحه والتملق المفرط له . وعادة ما يكون الرمز هو رأس الدولة ، لكن في حالات معينة يمكن ان يكون غير ذلك، كأن يكون رئيس لحزب او زعيم لحركة او قائد لفئة من الناس).^{٢٤١}

١٩. تجذّر مُخلفات ومورثات حكومة البعث المقيتة في بعض النفوس المريضة، ونذكر فيما يأتي أبرزها:

أ- الانصياع للقيادة المتشددة والمتزمتة بأرائها التي تضرب بيد من حديد لمن يخالفها، وحب القائد المتفرد بالسلطة والمهيمن بشخصيته عليها، الذي يطلق عليه لقب (القائد الضرورة) والرضا بقراراته دون تفكير ومناقشة والتصفيق له ولحزبه، وعدم الرضا بالتعددية القيادية والحزبية.^{٢٤٢}

ب- ظاهرة الاستسلام بسهولة للذل والهوان، والذي يُصطلح عليه بظاهرة (التدجين).

ت- انتشار المحسوبيات وظاهرة الوساطة في دوائر الدولة.

ث- عدم الشعور بالغيرة الوطنية والقومية.

ج- الفوضوية وعدم التخطيط في انجاز الأعمال.

ح- تعاطي الرشوة من قبل موظفي الدولة.

خ- الاتكالية وعدم الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية.

٢٤١ - الكاتب وسام الشالجي.

٢٤٢ - ولعل هذه الصفة هي التي جعلت الجماهير تحمل سيارة الملك فيصل الثاني احتفاءً بزيارته لإحدى المدن العراقية في ١٩٥٣ ثم تخرج جموعها تهزج للثورة في ١٤ تموز هاتفة (عمال السكك فدوه لبن قاسم) ثم تسكن مذعورة أمام رشاشات شراذم الحرس القومي في ١٩٦٣، ثم تهتف لعبد السلام ولعودة البعث في ١٩٦٨... وهكذا.

د- احتقار كل شريحة من المجتمع الشرائح الأخرى المخالفة لها في الدين أو المذهب أو القومية أو العشيرة، والاستهزاء والسخرية بمعتقداتهم وعاداتهم.
ذ- الاستهانة بالمبدعين وإهمال انجازاتهم أو ابتكاراتهم بدلاً من تشجيعهم على ذلك.

أما الصفات الطيبة التي يمتاز بها المجتمع العراقي فهي كثيرة، ويأتي في مقدمتها الكرم والغيرة والنخوة والشهامة، فإن (العراقيين مشهورون بهذه الصفات وهم يتميزون بها على سائر شعوب العالم، وترتبط هذه الصفات في الواقع بصفة الكرم التي يتمتع بها أغلب العراقيين، فالعراقي لا يتردد أو يتأخر في الاحسان للفقير ومساعدة المحتاج واطعام الجائع ونصرة الضعيف والتبرع لأعمال الخير والعطف على الصغير. ليس هذا فقط بل إن الأمر يمتد لجميع شؤون الحياة ، فاذا رأى العراقي على سبيل المثال امرأة تحمل اغراض ثقيلة بادر مسرعاً إلى مساعدتها حتى دون ان تطلب ذلك . واذا صعد الى الباص رجل مسن او امرأة سارع الشبان الى القيام وترك المجال لجلوسهم . وهناك مثل عراقي قديم يطلق على من يحمل هذه الصفات هو: (اخو هدله). وفي ظروف ما بعد عام ٢٠٠٣ الاستثنائية وما صاحبها من أعمال عنف وتفجيرات ارهابية حصلت الكثير من القصص التي تعبر عن هذا الواقع . فعند حصول اي تفجير إرهابي نجد إن العراقيين يهتفون على الفور إلى مساعدة الجرحى، بالرغم ما في ذلك من مخاطر ويسارعون الى نقلهم الى المستشفيات بكل وسيلة متوفرة والتبرع لهم بالدم إن الزم . وهناك كثير من القصص بهذا الشأن، ومن هذه القصص قيام الشاب عثمان من أهالي الاعظمية بإنقاذ ستة اشخاص سقطوا في نهر دجلة في حادثة جسر الائمة ببغداد ومن ثم

غرقه في المرة السابعة حين حاول انقاذ امرأة سمينة مما يدل بوضوح على صفة الشهامة التي يتمتع بها العراقيين).^{٢٤٣}

وإن صفة الكرم والسخاء يعدان من صفات الشعب العراقي البارزة، حيث احتل المركز الأول من بين دول العالم في هذا المجال (على الرغم من الظروف الاستثنائية والعنف والحروب، إلا أن العراق هو البلد الأكثر سخاء في العالم مع الغرباء المحتاجين، وفقاً لمؤشر عالمي جديد للعمل الخيري، وفي استطلاع عالمي أشرفت عليه المؤسسة الخيرية (CAF) وللمرة الأولى منذ بدأت CAF الاستطلاع في عام ٢٠١٠ قال: إن أكثر من نصف المشاركين في ١٤٠ بلداً شملهم الاستطلاع إتهم ساعدوا غرباء من البلدان التي تضررت بشدة من الكوارث والحروب، وعلى الرغم من معاناة عدم الاستقرار والعنف، حافظ العراق للمرة الثانية على المرتبة الأولى من حيث مساعدة الغرباء، وحلت ليبيا مع الصراع الداخلي الخاص بها، في المركز الثاني على القائمة هذا العام، وحلت الكويت في المركز الثالث بينما الصومال المتورطة في حرب أهلية لمدة ٢٥ عاماً حازت المركز الرابع.

وعلى الرغم من الكوارث والمصائب التي يمر بها الشعب العراقي إلا أن ذلك لم يثلم لديه روح الكرم المجبول عليه العراقيون، ولنا في حصار التسعينيات مثال حي، فما دخل ضيف بيتنا، وقت الغداء او العشاء، إلا ويقدم له الطعام، حتى لو لم تأكل العائلة كلها بعدئذ، وهذا إنموذج الكرم العراقي المتعارف عليه شعبياً، والذي أكده إستطلاع مؤسسة كلوبال الأمريكية، فبرغم الفساد الذي أرمض العظم مبددا ثروات العراقيين، في جيوب ثلة متسلطة، والإنفجارات التي أودت بحياة الآلاف وقطعت أرزاق مئات الإلوف، والعنف المستشري، في البلاد، يكاد يشظها، وهبوط أسعار النفط، بالتزامن مع الحرب على "داعش" لتحرير الأراضي العراقية الطاهرة التي إحتلتها، إلا أنه ما زال الشعب الأكثر سخاء في العالم مع الغرباء والمحتاجين. وما زال العراق يتقدم في كل إستطلاع وإستفتاء يجري بشأن الكرم.

وقد نشرت وكالة الانباء والاحبار العالمية (Reuters) يوم ٢٤ تشرين الاول ٢٠١٦، تحت عنوان: "العراقيون اكرم الناس للغرباء" ناشرة مع نتائج الاستفتاء، صورا لسوق شعبي عراقي، واللافتات التي علقها أكثر من بائع، كاتبها عليها (من لا يمتلك نقودا، فليأخذ ما يحتاجه ويذهب)، وهذا ما أعادت التذكير به "مؤسسة تومسون" اللندنية، قائلة: "على الرغم من أن العراق تمزقه الحروب والإحتقانات الطائفية، إلا أن شعبه الأكثر سخاء في العالم تجاه الغرباء المحتاجين" مؤكدة: "مع كل الولايات والانقلابات والحصار والتعسف منذ مائة عام ومع كل الشر الذي يأتيه من دول الجوار ومن غير الجوار.. عربا وكردا، يبقى الشعب العراقي عزيزاً كريماً حتى مع الغرباء؛ لان الاصلالة نمت في جيناته منذ اقدم الازمان.. ولم تنقطع عندما عانى ظلام العثمانيين، خمسة قرون، بل بقي العراقيون من اكرم الشعوب". وتضيف التقارير الدولية: "على الرغم من كل المعاناة وعدم الاستقرار والعنف، بقي الشعب العراقي في المرتبة الاولى من حيث مساعدة الغرباء". إذن يحق لكل العراقيين.. عربا وكوردا أن يفخروا بنكتة "الإطفاء" وحكاية "النعجة".. يتشرفون كلهم، بجنون السخاء الذي فطرهم الرب عليه، حتى عد "الكرم شجاعة" في العراق.^{٢٤٤}

الاستضعاف الإيجابي

نقصد بالاستضعاف الإيجابي هو الاستضعاف الذي يقع على الفرد أو المجتمع فيأتي إليهم بمردودات إيجابية وهذه المردودات هي حصول حالة إيمانية وتكاملية، في نفوس المستضعفين، بسبب البلاء الذي يقع عليهم من قبل المُستضعف، كالتحلي بالصبر المحمود، والرجوع إلى الله تعالى، والافتقار والدعاء والتضرع إليه، بالإضافة إلى سمات تكاملية أخرى كغفران الذنوب ورفع المقام والاعتماد على النفس والشعور بالمسؤولية، ومعرفة قيمة نعمة الرخاء، وحصول التكاتف الجماعي والوحدة الإجتماعية وغير ذلك. وهذه السمات والمردودات التكاملية تفرزها قهراً امتحانات الشدة والبلاء، في حين إن المجتمع قد يسقط في امتحانات الرخاء، بسبب الركون إلى الغفلة والانخداع بزخارف الدنيا ومباهجها الخداعة، وهذا ما أكدت عدة آيات قرآنية مباركة، كقوله تعالى:

- (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).
- (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ).
- (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسِيًّا مَا كَانِ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلْنَا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).
- (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

كما أشار المرجع اليعقوبي في خطاب له إلى ايجابية البلاء على الناس حيث جاء فيه: (.. إن الله تعالى يخبر عن غالب البشر أنهم حينما تعود إليهم حالة الرخاء والدعة فإنهم ينسون حالة الحاجة والاضطرار [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ]، وقال تعالى [وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ] وحينئذ إذا كانت النعمة سبباً لشقاء الإنسان سيكون من المناسب بحال الإنسان الرضا بحياة البلاء والمشقة وبهذا نفسر كلام الإمام الصادق (عليه السلام): (لن تكونوا مؤمنين حتى تكونوا مؤتمنين وحتى تعدوا نعمة الرخاء مصيبة، وذلك أن الصبر على البلاء أفضل من الغفلة عند الرخاء) وورد: (إذا رأيت ربك يوالي عليك البلاء فاشكره) وورد: (إذا رأيت الله يتابع عليك البلاء فقد أيقظك).^{٢٤٥}

وهذا لا يعني أن على الإنسان أن يطلب من ربه البلاء لما فيه من الايجابيات التي ذكرناها، فهذا مخالف لما دعت إليه الشريعة السمحاء التي أمرتنا بعدم تمني البلاء أو طلبه، بل ينبغي على العبد أن يسأل من الله تعالى العافية دائماً، ففي الحديث: (سلوا الله العافية من جهد البلاء، فإن في جهد البلاء ذهاب الدين) وفي حين حل به البلاء فعلى العبد حينئذ الرضا والتسليم لخالفه.

وهناك نوعان من البلاء والاستضعاف الذي يقع على الناس، أما الاستضعاف الأول فهو الاستضعاف الذي يقع على المؤمنين من طرف الظالمين المتسلطين، وقد

٢٤٥ - خطابات المرحلة، ج ٥، خطاب رقم (١٣٥) بعنوان: (أسباب البلاء الذي يحل بالعراقيين ونتائجه).

بَشَّرَ اللهُ تعالى المؤمنين في هذه الحالة بالنصر والغلبة ووراثه الأرض بالإضافة إلا أن المصاعب والابتلاءات بسبب وجود الظالمين ستزيد ذلك من طاقتهم في التحمل والصبر والمثابرة على دفع هذا الظلم والاستضعاف المفروض، قال تعالى: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)، أما إذا كانت السلطة بيد المؤمنين الواعين المخلصين فهنا ينبغي عليهم أن يسعون بأنفسهم لعمارة الأرض وعمل الصالحات، وأن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر، قال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) وعليهم أيضاً أن يمارسوا ما أطلقنا عليه بـ(الاستضعاف الايجابي مع الكافرين) فيجب عليهم أن لا يمكنوا الظلمة أو الكفار من السيطرة على إدارة دفة الحياة، وسيعون أن لا يمكنوهم من أي نوع من أنواع الهيمنة سواء الهيمنة الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، بل يجب أن تكون يد المسلمين هي العليا، ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إني لأسارع إلى حاجة عدوي خوفاً أن أردّه فيستغني عني) وورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (إن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحدا منهم إلا من كانت يدك عليه العليا فافعل).

ولا يعني هذا أن نعاملهم بقسوة ونمنعهم من حقوقهم، بل على العكس تماماً، فلا بد أن نعرض لهم سماحة الإسلام ورأفته ونتعامل معهم بأخلاق حسنة، ونعطيهم حقوقهم كاملة وفق المساحة التي سمح لنا الإسلام بها، ونمّع عنهم الموارد التي أمرنا الإسلام بمنعها عنهم، ليحسوا بعزة الايمان ويحسوا بالذل الذي جلبه الكفر لهم، وذلك لكي ننقذهم من الظلم والكفر الذي هم فيه، الذي عبّر عنه القرآن الكريم بأنه هو الموت حقيقة، حيث قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وفي نفس الوقت يجب أن تكون

مقدرات الدولة بيد المؤمنين وتحت تسلطهم ويمنعون الكافرين من ذلك، قال تعالى: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا).

وسنذكر فيما يأتي أبرز الموارد الفقهية التي أمرت الشريعة الإسلامية بوجوب منعها عن الكافرين أو بوجوب أخذها منهم، لأجل حصول الغرض الذي ذكرناه، وهذه الموارد جاءت في أبواب فقهية متعددة كـ(الربا) و(الشفعة) و(الارث) و(الزواج) و(وجوب إعطاء الجزية) و(الصيد) و(الذباحة) و(حرمة بيع السلاح) و(المنع من اعطائه الحقوق المالية الشرعية) و(تولي القضاء) و(كفارة القتل)، وفيما يأتي لبض تفاصيلها:

١. لا يجوز إعطاء الكافر ولا المخالف من سهم الفقراء ولا غيره.
٢. الكافر الحربي لا حرمة لماله.
٣. جواز التعامل مع الكافر بالربا (وفقاً لرأي مشهور الفقهاء).^{٢٤٦}
٤. لا شفعة للكافر على المسلم.^{٢٤٧}
٥. لا يجوز للمسلمة أن تتزوج الكافر، وكذا لا يجوز للمسلم أن يتزوج بغير الكتابية من أصناف الكفار، وأما الكتابية - أي اليهودية والنصرانية التي تدين

٢٤٦ - أما سماحة الشيخ المرجع اليعقوبي (دام ظله) فيبيدئ رأيه المخالف للمشهور في هذه المسألة حيث جاء في رسالته العملية (سبل السلام) الخاصة بالمعاملات، مسألة رقم (٢٩): (تحرم المعاملة الربوية مطلقاً حتى مع غير المسلم وقد استثنى المشهور جملة موارد منها: بين المسلم والكافر حربياً كان أو ذمياً وبين الوالد وولده وبين الزوج وزوجته والظاهر أنها ليست استثناءات وإنما هي موارد لجواز أخذ الزيادة لعناوين خاصة بموردها وليس مطلقاً، فيجوز أخذ الزيادة من الكافر الحربي ومن الكافر الذمي لأنه يرى صحة هذه المعاملة فتجري فيه قاعدة الإلزام، أما بين الوالد وولده، أو الزوج وزوجته فليست مطلقة وإنما حينما يكون أخذ هذا المال متعارفاً ولا يحتاج إلى إذن لأن (جيهم واحد) كما يقال في لغة العامة).

٢٤٧ - إذا باع أحد الشريكين حصته على ثالث كان لشريكه أخذ المبيع بالثمن المقرر له في البيع، ويسمى هذا الحق بالشفعة.

بالتوحيد . فالأظهر جواز تزويجها متعة بل وكذلك دواماً إذا لم تتوفر لديه زوجة مسلمة ولم يكن عازفاً عن المسلمات والاحوط تركه. ولا يجوز للمؤمن أو المؤمنة نكاح بعض المنتحلين لدين الإسلام المحكومين بالكفر، كالخوارج والغلاة والنواصب دواماً ومتعة.

٦. لا تحل ذبيحة الكافر وإن كان كتابياً. إلا أن الظاهر حلية ذبحه إذا ذكر الله كما يذكره المسلم.

٧. لا يحل صيد الكافر ومنه المعلن بعداوة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.

٨. لا يرث الكافر من المسلم وإن ورث المسلم الكافر.

٩. يحرم بيع السلاح إلى اعداء الدين حال مقاتلتهم مع المسلمين، بل حال مباينتهم معهم، بحيث يخاف منهم عليهم. بل يحرم أية نحو من المساعدة ما دام هذا الخوف قائماً، كفارا كانوا أو مسلمين. لا يختلف في الخوف بين أن يكون عسكرياً أم ثقافياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً. ولا يبعد التعدي من اعداء الدين إلى أي شخص أو جهة، يخاف منها كذلك على الايمان أو المؤمنين، بما فيهم اللصوص وقطاع الطرق، أو الشركات المتاجرة بالحرام أو الممارسة للأجرام.

١٠. جوائز الظالم حلال إذا كانت من ماله الخاص، إلا إذا كان في اخذها تاييداً له، مالم تنتفي الحرمة بالتقبة ونحوها.

١١. لا يجوز التشبه بالكافرين والكافرات في أي قول أو عمل، وخاصة في الزي واللباس.

١٢. يجوز استرقاق الأسير الكافر بالحرب المشروعة في الإسلام بإذن قائده الشرعي.

١٣. لا يملك الكافر المسلم ابتداءً مهما كان السبب. ولو أسلم عبد الكافر قهر على بيعه من مسلم وأعطى ثمنه.

١٤. لا ينفذ قضاء الكافر، ولو كان على طبق حكم الإسلام.

١٥. يجب على القاضي التسوية بين الخصمين في السلام والجلوس والنظر والكلام والانصات والعدل في الحكم. ولا تجب التسوية في الميل القلبي لتعذره غالباً. ولكن انما تجب التسوية بينهما، مع التساوي في الاسلام او الكفر، ولو كان احدهما كافرا والاخر مسلماً، جاز ان يكون المسلم جالساً والكافر واقفاً، أو ان يجلس المسلم أعلى منزلاً.

١٦. لا كفارة في قتل الكافر، من دون فرق بين الذمي وغيره.

١٧. لا ولاية للدم لمن لا يرث، كالكافر عن المسلم والعبد والقاتل.

١٨. أخذ الجزية من أهل الكتاب، وذلك لأنهم سوف يعيشون في الدولة الإسلامية دون أن يدفعوا لها أي مقدار من المال لأن الزكاة والخمس غير واجبة عليهم بخلاف المسلمين الذين يجب عليهم دفع الزكاة والخمس وسائر الحقوق المالية، فكان من المناسب أن تفرض عليهم الشريعة ضريبة مالية على الرجال منهم وتعيد التوازن إلى حركة انتقال الأموال بين المجتمع الواحد، هذا من وجهة اقتصادية ومن وجهة أخرى إن فيها تصغير لشأنهم بأن يكونوا مواطنين منقادين لقوانين الإسلام حتى تحفظ لهم أنفسهم وأموالهم، وأيضاً ليرتفع عنهم القتال والاستعباد، ويقرون على دينهم، ويسمح لهم بالسكنى في دار الإسلام آمنين على أنفسهم وأموالهم.

أقوال بعض مشاهير العالم حول ظاهرة الخنوع والعبودية للأسياد

وفي ختام هذا الكتاب سنأخذ جولة مختصرة في أقوال بعض مشاهير العالم، حول ظاهرة الخنوع والعبودية للأسياد وضرورة التحرر من قيود المستبدين:

• من أقوال الدكتور الشهيد علي شريعتي:

١. من كان أكثر وعياً، كان أكثر مسؤولية.
٢. الأفكار مشلولة.. العقول مخدرة.. الأوفياء يعيشون الوحدة .. الشباب يائس ومنحرف .. كسروا الأقلام .. كعموا الأفواه .. هذه سمات هذا العصر.
٣. إن شئت التمرد على الديكتاتورية وعدم الرضوخ للظلم ، ما عليك سوى أن تقرأ وتقرأ وتقرأ.
٤. إذا كنت لا تستطيع رفع الظلم، فأخبر عنه الجميع على الأقل.
٥. أقول إنه كما تصنع الاواني اليوم من مادة المطاط، بعد وضع مادتها الخام في جرة، فتدوب، ثم تصب في حفر أعدت على أشكال الأواني، ليستنتج منها الإبريق والقدح والكأس وغير ذلك من الادوات التي تعرض في السوق للبيع؛ هكذا أخذوا يصنعون الإنسان.
٦. إن الشيء الذي ينجي الإنسان والأمة من شؤم الاستنزاف الفكري في طريقته القديمة والحديثة، هو النباهة الإنسانية، التي يتحدث عنها الدين الراقى الذي تجاوز العلم، والدراية الاجتماعية التي تتحدث عنها الرسالة العقائدية النبوية.
٧. لا شك ان الجيل الذي يحتقر نفسه بنفسه يكون حقيراً حقاً، فسياسة الاستعباد والاسترقاق، تقتضي التحقير اولاً، اي ان يُحترَ الذي يراد استرقاقه،

حتى يظن انه من طبقة دنيا وأسرة منحطة، ثم يتقبل الذل بكامل الرحب، ويلجأ للعبودية والاسترقاق.

٨. إن أكبر قيم الانسان تلك التي بدأ منها وهي الرفض وعدم التسليم وما يلخص بكلمة "لا" حيث منها بدأ ادم أبو البشر، لقد أمر أن لا يأكل من تلك الثمرة لكنه اكل فصار بعدئذ ادم وصار بشرا وهبط الى الارض ولولا ذلك لصار ملكاً وصار غيره آدم.

• من أقوال سيد قطب نقلاً عن كتابه دراسات إسلامية:

١. ليس العبيد هم الذين تقهرهم الاوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية على ان يكونوا رقيقا يتصرف فيهم السادة كما يتصرفون في السلع والحيوان انما العبيد الذين تعفيم الاوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية من الرق ولكنهم يتهافتون عليه طائعين.

٢. العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع وعندهم كفايتهم من المال ولديهم وسائل للعمل والانتاج ولا سلطان لأحد عليهم في اموالهم او ارواحهم وهم من ذلك يتزاحمون على ابواب السادة ويتهافتون على الرق والخدمة ويضعون بأنفسهم الاغلال في اعناقهم والسلاسل في اقدامهم ويلبسون شارة العبودية في مباهاة واختيال

٣. العبيد هم الذين يقفون بباب السادة يتزاحمون وهم يرون بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الاذلاء في الداخل بكعب حذائه كيف يطردهم من خدمته دون انذار او اخطار كيف يطأطئون هامتهم له فيصفع اقفيتهم باستهانة ويأمر بألقائهم خارج الاعتاب ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الابواب يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين وكلما امعن السيد في احتقارهم زادوا تهافتا كالذباب.

٤. العبيد هم الذين يهربون من الحرية فاذا طردهم سيد بحثوا عن سيد اخر لان في نفوسهم حاجة ملحة الى العبودية لان لهم حاسة سادسة او سابعة.. حاسة الذل.. لا بد لهم من اروائها فاذا لم يستعبدهم احد احست نفوسهم بالظماً الى الاستعباد وتراموا على الاعتاب يتمسحون بها ولا ينتظرون حتى الاشارة من اصبع السيد ليخروا له ساجدين.

٥. العبيد هم الذين اذا أُعتقوا وأُطلقوا حسدوا الارقاء الباقين في الحظيرة لا الاحرار المطلقى السراح لان الحرية تخيفهم والكرامة تثقل كواهلهم لان حزام الخدمة في اوساطهم هو شارة الفخر التي يعتزون بها ولان القصب الذي يرصع ثياب الخدمة هو ابيهى الازياء التي يتعشقونها.

٦. العبيد هم الذين يحسون النير لافي الاعناق ولكن في الارواح الذي لا تلهب جلودهم سياط الجلد ولكن تلهب نفوسهم سياط الذل الذين لا يقودهم النخاس من حلقات في اذانهم ولكنهم يقادون بلا نخاس لان النخاس كامن في دمائهم

٧. العبيد هم الذين لا يجدون انفسهم الا في سلاسل الرقيق وفي حضائر النخاسين فاذا انطلقوا تاهوا في خضم الحياة وضلوا في زحمة المجتمع وفزعوا من مواجهة النور وعادوا طائعين يدقون ابواب الحظيرة ويتضرعون للحراس ان يفتحوا لهم الابواب والعبيد - مع هذا- جبارون في الارض غلاظ على الاحرار شداد يتطوعون للتنكيل بهم ويتلذذون بإيذائهم وتعذيبهم ويتشفون فيهم تشفي الجلادين العتاة

٨. إنهم لا يدركون بواعث الاحرار للتحرر فيحسبون التحرر تمردا والاستعلاء شذوذا والعزة جريمة ومن ثم يصبون نقيمتهم الجامعة على الاحرار المعتزين الذين لا يسيرون في قافلة الرقيق

٩. إنهم يتسابقون الى ابتكار وسائل التنكيل بالأحرار تسابقهم الى ارضاء السادة ولكن السادة مع هذا يملونهم فيطردونهم من الخدمة لان مزاج السادة يدركه السأم من تكرار اللعبة فيغيرون اللاعبين ويستبدلون بهم بعض الواقفين على الابواب ومع ذلك كله فالمستقبل للأحرار لا للعبيد ولا للسادة الذين يتمرغ على اقدامهم العبيد المستقبل للأحرار لان كفاح الانسانية كلها في سبيل الحرية لن يضيع ولان حظائر الرقيق التي هدمت لن تقام ولان سلاسل الرقيق التي حطمت لن يعاد سبكها من جديد.

• من أقوال جمال الدين الأفغاني:

١. خائن الوطن من يكون سبباً في خطوة يخطوها العدو في أرض الوطن.
٢. الشرقي متواضع، قنوع، جزوع، كثير الذكاء، سريع التقلب، قليل الصبر.
٣. لن تنبعث شرارة الاصلاح الحقيقي في وسط هذا الظلام الحالك الا اذا تعلمت الشعوب العربية وعرفت حقوقها، ودافعت عنها بالثورة القائمة على العلم والعقل.
٤. أمة تطعن حاكمها سرا وتعبده جهرا لا تستحق الحياة.
٥. العار الذي لا يمحوه كر الدهر هو أن تسعى الأمة أو أحد رجالها أو طائفة منهم لتمكين أيدي العدو من نواصمهم، إما غفلة عن شئونهم أو رغبة في نفع وقتي.
٦. بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة.
٧. العبيد هم الذين يهربون من الحرية فإذا طردهم سيد بحثوا عن سيد آخر.
٨. قالوا لجمال الدين الأفغاني: إن المستعمرين ذئاب، فقال : (لو لم يجدوكم نعاجاً لما كانوا ذئاباً).

- عبد الرحمن الكواكبي: (إن الحرية هي شجرة الخلد، وسقيها قطرات من الدم المسفوك).
- وقال أيضاً: (الإنسان في ظل الاستبداد لا يحب قومه لأنهم عون الاستبداد عليه، ولا يحب وطنه لأنه يشقى فيه).
- أفلاطون: (لو أمطرت السماء حرية .. لرأيت بعض العبيد يحملون المظلات).
- ميخائيل نعيمة: (الحرية أئمن ما في الوجود، لذلك كان ثمنها باهظاً).
- محمود درويش: (من رضع من ثدى الذل دهرا رأى في الحرية خراباً وشرأ).
- مصطفى محمود: (هناك من يناضلون من أجل التحرر من العبودية، وهناك من يطالبون بتحسين شروط العبودية).
- نيلسون مانديلا: (العبيد فقط يطلبون الحرية أما الأحرار فيصنعونها).
- مارتن لوثركنغ: (إذا لم يجد الإنسان ما يضحى لأجله، فهو لا يستحق العيش).
- وقال أيضاً: (لا يستطيع أحد ركوب ظهره إلا إذا انحنيت).
- جورج برنارد شو: (الحرية تعني المسؤولية، ولهذا يخافها معظم الناس).
- جميل شيوخو: (العبودية عبر العصور كانت جريمة العبيد أكثر من كونها جريمة الأسياد).
- جان جاك روسو: (لا حرية دون مسؤولية).
- دريه موروا: (الحرية والمسؤولية توأمان، لو انفصل أحدهما عن الآخر ماتا جميعاً).
- تشي جيفارا: (إذا فرضت على الإنسان ظروف غير إنسانية ولم يتمرد سيفقد إنسانيته شيئاً فشيئاً).

- وقال أيضاً: (إن أبشع استغلال للإنسان هو إستغلاله باسم الدين.. لذلك يجب محاربة المشعوذين والدجالين حتى يعلم الجميع أن كرامة الإنسان هي الخط الأحمر الذي دونه الموت).
- وقال أيضاً: (الذي باع بلاده وخان وطنه مثل الذي يسرق من بيت أبيه ليطعم اللصوص فلا أبوه يسامحه ولا اللص يكافئه).
- وقال أيضاً: (خير لنا أن نموت ونحن واقفين مرفوعي الرأس من أن نموت ونحن راكعين).
- أبراهام لينكون: (انهضوا أيها العبيد، فإنكم لا ترونهم كباراً إلا لأنكم ساجدون).
- مثل انجليزي: (أن تموت جوعاً وأنت حر خير من أن تعيش عبداً وأنت سمين).

بِحَمْدِ اللَّهِ

الفهرس

٥.....	مقدمة الكتاب
٩.....	تعريف مصطلح التدجين
١٠.....	أنواع التدجين
١٠.....	١-التدجين الديني
١٠.....	٢-التدجين السلطوي
١١.....	٣-التدجين الفكري
١٢.....	٤-التدجين الأسري
١٢.....	٥-التدجين المدرسي
١٢.....	٦-التدجين الأمني
١٣.....	٧-التدجين النفسي
١٣.....	٨-التدجين الاقتصادي
١٣.....	٩-التدجين السياسي
١٤.....	١٠-التدجين الإعلامي
١٤.....	١١-التدجين العشائري
١٤.....	١٢-التدجين الشيطاني
١٧.....	بنو اسرائيل والاستضعاف الفرعوني
١٧.....	المجتمع الفرعوني وأقسامه وفق نظرة المفكر الاسلامي الشهيد الصدر الأول (قدس سره)
٣٢.....	مقارنة بين إصلاحات الإمام السجاد (عليه السلام) والرئيس الأمريكي (ابراهيم لنكولن).. ٣٤
٣٨.....	رجال الدين المزيفين وشرعنة الطغيان والاستبداد - الكنيسة في العصور الوسطى نموذجاً
٤٣.....	أساليب التدجين البعثي الصدامي مع الشعب العراقي

- المخططات اليهودية لتركيع الشعوب وتدجينها ٥٧
- عالم الاجتماع (ناعوم تشومسكي) واستراتيجيات التحكّم العشر بالشعوب ٦٦
- علماء السوء وسياسة تدجين الأمة وتجهيلها ٧١
- السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) ونهضة التحرير الأولى ٩٥
- السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) ونهضة التحرير الثانية ٩٧
- المرجع اليعقوبي وعلاج ظاهرة التدجين ١٣٦
- أسباب تدجين الشعب العراقي ورضوخه للظلم ١٤٣
- علاج ظاهرة تدجين المجتمع ١٩٤
- الفرق بين تجربة الشعب العراقي والشعب الإيراني في إسقاط رموز الظلم ٢٣٣
- خصائص ومميزات المجتمع العراقي في الميزان ٢٣٨
- الاستضعاف الإيجابي ٢٤٩
- أقوال بعض مشاهير العالم حول ظاهرة الخنوع والعبودية للأسياذ ٢٥٥
- الفهرس ٢٦١